المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الثاني من المجلد الثالث والثمانين

١ يوليو سنة ١٩٣٣ — ٨ ربيع الاول سنة ١٣٥٢

مصير العالم الاقتصادي

اي السبيلين نختار

اصلاح النظام الرأسمالي او القضاء عليه

يقف الناس اليوم ، وهم في غمرات ازمة طاحنة ، مرتابين مترددين لا يدرون اي السبل يسلكون . اما القلائل الذين لا يزالون يظنون انهُ لابدَّ للعناية من اصلاح الحال ، وان ذلك لا يقتضي من جانب الناس اي سعي يبذل ، فيصحُّ ان نُقرَّ بآرائهم مرَّ الكرام ، اذ يعرف القراء عما نشرناه في الشؤون الاقتصادية ، ان اسباب الازمة متغلغلة في صميم نظامنا الاقتصادي . فلا يمكن لازالتها القعود مكتوفي الايدي بانتظار العون الالهي ، بل لا يسلح الآن الا السعي الحازم المقرون بالمعرفة والتعاون . والعالم في شديد الحاجة الى خطط عملية توضع بالاتفاق وتنفذ بالاشتراك الدولي ، حتى يستطيع الخروج من كهف الظلمة الى طريق الانعتاق فالرخاء . ولكن ما هذه الخطط ؟ ان المؤتمر الاقتصادي والنقدي العالمي الملتئم في لندن ونحن نكتب هذه السطور ، يحاول ان يقرِّر أهمها اذا أُلهم اعضاؤهُ الحكمة والتعاون

وليس امام زعماء الشعوب الا أحد سبيلين . اما ان يحاولوا في عزم وصفاء نيَّة اصلاح النظام الرأسمالي ، بازالة اسباب الاضطراب في شؤون كل دولة وفي صلات الدول بعضها ببعض ، وبتصفية المساوىء الاقتصادية التي نشأت عن الحرب الكبرى ومعاهدات الصلح ، وتنظيم المجتمع من الناحية الاقتصادية والمالية تنظيماً يقيهِ مما يُبلَى بهِ النظام الرأسمالي في الفينة بعد الفينة من عجز قوة الشراء عن مجاراة اتساع قوى الانتاج — او ان يعترفوا اعترافاً صريحاً بان

النظام الرأسمالي على جلالة فوائده في القرنين المنصرمين ، اصبح لا يصلح للعالم في العصر الحديث ، وان يُتبلوا بسعي منظَّم وحزم وعلم ، على انشاء نظام اقتصادي آخر يقوم على مبادىء تختلف عن المبادىء التي يقوم عليها نظامنا الحالي .

فأي السبيلين يختارون ؟ ان الاتفاق على الجواب عن هذا السؤال متعذر الآن . ففي الناحية الواحدة نجد الولايات المتحدة الاميركية على السبيل الاول لا ترضى عنهُ بديلاً . وفي الناحية الاخرى يقوم اتحاد الجمهوريات السوفيتية بتجربة اجتماعية اقتصادية واسعة النطاق ويرى زعماؤها ان لا طريق الا طريقهم يفضي الى الخير . وسائر الدول بين الاثنتين ، حائرة مضطربة ، وهي تعاني من آثار حيرتها واضطرابها ما تعاني

تراث الحرب الكبرى

زعزعت الحرب الكبرى اركان التجارة العالمية ، واحدثت اضطراباً في اتزان النظام الاقتصادي في البلدان المحاربة والمحايدة على السواء . ففيها جميعاً نشطت الصناعات الخاصة بادوات الحرب وذخيرتها نشاطاً عظيماً . واصيبت الصناعات الاخرى المتجهة الى صنع ما تحتاج اليهِ الشعوب التي لا صلة مباشرة لها بالحرب ، بقسط وافر من التراخي والفتور . وحوّلت سمة الانتاج في كل بلاد تحويلاً مفتعلاً ، فارغمت البلدان التي كانت تعتمد على تجارة الصادر الى تحويل صناعاتها حتى تصنع ما تستوردهُ داخل حدودها فتكفَّ عن الاستيراد ، وعوّدت الناس في البلدان المحاربة ان يتحدثوا بالملايين ومئات الملايين من المال ، وان يحسبوا ان المشكلة الاقتصادية العظمى هي الحصول على السلع التي يطلبونها في مقادير كبيرة وبسرعة فائقة من دون اي نظر الى نفقة انتاجها . ومكّنت قوى الانتاج بتنظيمها والسيطرة عليها من اخراج مقادير من المصنوعات تزيد على متوسط الانتاج قبل الحرب زيادة عظيمة — ثم كانت هذه المصنوعات تدمَّر تدميراً يساوق في سرعته سرعة انتاجها — وضخّمت رؤوس الاموال بتمكين اصحابها من حساب ثروتهم بحسب الاسعار التي ضخّمتها الحرب وكان لا بدَّ ان تتقلّص قيمتها بعد الحرب ، اذ تسرّح الدول جيوشها فتنقص الحاجة الى كلّ ما تنفقهُ الجيوش وتبدّدهُ من الذخيرة الحربية والمطعم والمشرب والملبس

كل ذلك يدلُّ على ما تستطيعهُ قوى الانتاج العالمية من التوسُّع لانهُ رغماً عن اشتغال زهرة شباب العالم بتقتيل بعضهم بعضاً وتدمير المنشآت الصناعية والمدنية ، وانشغالهم عن العمل المنتج في المعامل والحقول ، استطاع جانب كبير من سكان العالم ان يعيشوا في مستوى عالٍ ، وينتجوا إنتاجاً وافراً ، وهذا يثبت ما بلغت اليهِ سيطرة الانسان على الطبيعة والى اي مدًى يمكن ان تتسع قوى الانتاج اذا عرف الانسان كيف ينظمها ويسيطر عليها

ولكن ساءت الحال ، بعد ما وضعت الحرب اوزارها وعقدت معاهدات الصلح ، وشرع الناس يحاولون العودة الى الاحوال السوية التي كانت سائدة قبل نشوب الحرب . على ان هذه العودة كانت امراً متعذراً بسبب الانقلاب الاقتصادي في طبيعة الانتاج وفي تخطيط العالم السياسي . ذلك ان البلدان التي اضطرت في خلال الحرب الى ان تكتفي بما تنتجهُ هي ، وان تنتج ما كانت تستوردهُ ، لم يحتمل ان تستغني عن صناعاتها الوطنية الناشئة . فبدلاً من تحاول الامم وضع الصناعة على اساس جديد يتفق ومقتضيات الاسواق بعد الحرب حاولت كل امة ان تعيد صناعاتها الى الحالة التي كانت فيها قبل نشوب الحرب . فلما كانت فترة الرخاء القصيرة التي تلت الحرب ، اعتقد الناس انهم على الطريق السوي الى الرخاء الدائم — وكانوا واهمين

ولذلك نرى ان اعمال الترميم الصناعي التي تمت في البلدان الصناعية القديمة وجّهت توجيهاً خاطئاً ، وكثير من الصناعات الجديدة التي انشئت بعد الحرب ، وانفق عليها مال طائل اصبحت لا تجدي نفعاً بعد انقضاء فترة الرخاء القصيرة

ذلك ان معاهدات الصلح خلقت دولاً جديدة على انقاض الامبراطورية النمسوية المجرية وجانب من روسيا . وكل دولة من هذه الدول كانت ترغب في ان تستقل استقلالاً اقتصاديا الى جنب استقلالها السياسي . فشرعت تبني حواليها حواجز جمركية عالية مع عجز اسواقها المحلية عن استهلاك ما تنتجه صناعاتها المستحدثة . ثم ان البلدان الصناعية الكبيرة التي كانت تعتمد على تجارة الصادر اصبحت ذات يوم واذا الاسواق التي تعتمد عليها قد اقفلت في وجهها . ولكن هذه البلدان كانت في الغالب قد اعادت بناء صناعاتها على احدث الاساليب . والصناعات الحديثة لا تعود بربح على اصحابها الا اذا كان انتاجها واسع النطاق ، لكثرة النفقات الاساسية . والانتاج الواسع النطاق يحتاج الى اسواق حرة لبيع المصنوعات . فنشأ عن كل هذا — وبوجه خاص بعد ما اصلحت المانيا صناعاتها ونزلت الى السوق — منافسة شديدة بين البلدان الصناعية ، والفوز في هذه المنافسة لا يتم الا بخفض قيمة النقد او بخفض اجور العمال وحفظ معيشتهم على مستوى واطىء

ثم كل هذا والعالم احوج ما يكون الى التعاون بدلاً من القطيعة والمنافسة

التريوت والتعويضات

ولو ان التجارة الدولية كانت تبادلاً في العروض فقط لكانت الحال التي نشأت بعد الحرب الكبرى كافية لاقلاق بال العارفين بأصول الاقتصاد المعرضين عن التأثر بالنزعات القومية الجامحة . ولكن مما زاد الطين بلّة ان التبادل بين الامم ازداد تعقيداً بالديون الدولية الكثيرة وفي مقدمتها اموال التعويض التي طلبها الحلفاء من المانيا ، وديون الحرب بين الحلفاء ،

وديونهم لاميركا . ثم يضاف الى اموال التعويض وديون الحرب ديون اخرى عقدت بعد الحرب لاتفاقها في ترميم البلدان التي دمّرتها الحرب واصلاح الصناعات وما الى ذلك . ولكن الدول المدينة لم يكن في امكانها ان توفي أقساط دينها — لانها لاتملك زيادة في صادراتها على وارداتها — اذا امسكت الدول الدائنة عن اقراضها المال . ولم يكن للدول المدينة امل ما في زيادة صادراتها على وارداتها الا باستدانة المال لاصلاح الصناعات واقامتها على أساس حديث حتى تستطيع ان تنافس بمصنوعاتها مصنوعات غيرها من الدول الصناعية في الاسواق الحرّة . وكذلك ترى ان عبء الديون الدولية على فداحته عند انتهاء الحرب ، ازداد فداحة بعيدها ، واتضح أنه لا بدّ من المضي في اتجاه تيار المال من الدول الدائنة الى المدينة اذا اريد الاحتفاظ باستقرار النظام الاقتصادي القائم . وليس ادلّ على صحة ذلك من انهُ لما حصل الانهيار العظيم في سوق نيويورك المالية وكفّ الاميركيون عن عقد القروض لالمانيا ، كاد النظام الاقتصادي الالماني ينهار ، ولولا موراتوريوم هوفر لانهار فعلاً ، ومنذ اعلن موراتوريوم هوفر سنة ١٩٣١ لم تسدّد المانيا شيئاً من ديونها السياسية او التجارية

ثم ان عبء الديون حمل الدول على السعي كلّ السعي الى زيادة صادراتها ونقص وارداتها ، فراحت تخفض أسعار صادراتها لكي تنافس بها صادرات البلدان الاخرى ، وترفع حواجزها الجمركية لكي تمنع صادرات البلدان الاخرى من منافسة مصنوعاتها في اسواقها الداخلية

وزادت الحال تفاقماً لما أخذت الدول ترجع الى عيار الذهب . لانها برجوعها فازت من ناحية بتثبيت قيمة نقدها بالنسبة الى النقود الاخرى . ولكنها إذ فعلت ذلك نقصت أسعار الجملة برجوع عام . لان الدول برجوعها الى عيار الذهب ، كأنها اعترفت بأنها تعتمد على الاحتفاظ في خزائن بنوكها بقدر كافٍ من الذهب . ولكن هذا كان متعذراً لوجوب تسديد أقساط الديون الدولية الكبيرة . وهذه الاقساط كان تسديدها متعذراً الا بالذهب . لان تجارة الصادر كانت مقيدة بقيود الحواجز الجمركية العالية . والدولة المدينة ليس أمامها الا أحد سبيلين لتسديد دينها ، فاما ان تسدّده ذهباً ، او ان تزيد صادراتها على وارداتها فتسدد بثمن الفرق جانباً من دينها . فنشأ عن ذلك ان معظم الذهب خزن في خزائن أمم قليلة اي ساء توزيعهُ . فاذا قلّ الذهب — أساس النقود — ارتفعت أسعارهُ ونقصت اسعار العروض . والذهب في خزائن بعض الدول كان «متجمداً» لا يستعمل للتجارة . فكأن مقدار الذهب في عالم التجارة نقص . ونقصه يفضي دائماً الى ارتفاع ثمنه وهبوط ثمن العروض . واذ نقصت اسعار العروض زادت قيمة الديون . فدين مائة جنيه اذ يكون اردب القمح بمائة قرش ، يتضاعف اذ يصبح اردب القمح بخمسين قرشاً . وكل هذا افضى الى زيادة اتجاه الذهب الى البلدان الغنية به حيث يحفظ في الخزائن لا يصلح لعمل مالي ، فضيّق المجال على التجّار في البلدان التي خرج

منها الذهب، وحدّد «الكردية» ورفعت الحواجز الجركية في البلدان المدينة والدائنة على السواء

ولم يطل المطال على قادة الامم حتى ادركوا ان الاموال التي كانوا يتوقعون الحصول عليها من المانيا كانت بعيدة المنال. واذا كان رجال السياسة في فرساي قد اخطأوا التقدير، اذ حسبوا ان الالمان يستطيعون ايفاء هذه المبالغ الطائلة ذهباً، لا بضاعة، فان بعض المفكرين ما لبثوا أنْ ادركوا هذا الوهم ونبهوا عليه. ولكن الامر الذي لم يدرك على صحته حتى الآن، هو ان ما يصح على مال التعويض يصح كذلك على الديون الدولية. فليس في العالم كله ذهب يكفي لتسديد الديون. ولو كان الذهب الموجود كافياً لذلك، لاحدث انتقاله من بلدان مختلفة الى بلاد واحدة — لان سير كل الديون واغلب مال التعويض ينتهي مطافهُ الى اميركا — تقلقلاً كبيراً في الاحوال الاقتصادية. واذاً فلا بد من تسديد الديون، كما تسدد الديون الدولية عادة. اي بالفرق بين الصادر والوارد. وهذا ممتنع بسبب الحواجز الجركية العالية التي رفعت بعد الحرب

ومع وضوح هذه المسائل الاساسية عجلت بريطانيا في تسوية دينها لاميركا، اعتداداً بمكانتها المالية. فتعهدت بايفاء الديون التي عقدتها في الحرب كاملة للولايات المتحدة وبفائدة معتدلة. وليس الاتفاق نفسه حيثاً لا تستطيع بريطانيا حمله فقط، بل هناك ما هو اشد ضرراً. ذلك ان هذا الاتفاق جعل بريطانيا في صف الدول التي تقضي باستيفاء مال التعويض الالماني لكي توفي بحصتها منهُ دينها لاميركا

فلما ذهب مندوبو الدول الاخرى الى اميركا ليسوّوا ديون حكوماتهم لها، كان رجال السياسة ووزراء المالية قد اصبحوا ابعد فهماً للمصاعب التي تحول دون تسديد مبالغ طائلة من المال — كأقساط الديون الدولية — اذا لم تسدد بضاعة وعملاً، تخفضت مبالغ ديونها وفوائدها تخفيضاً كبيراً عما تقضي بهِ التسوية البريطانية الاميركية

وفي خلال ذلك كان مبلغ التعويضات الاول المطلوب من المانيا قد خفض بموجب برنامج دوز سنة ١٩٢٤ ولكنهُ ظل مبلغاً كبيراً من المتعذر على المانيا توفيتهُ. بل ان برنامج دوز اسفر عن نتيجة خطرة، ذلك انهُ اقترن في اذهان الناس باستقرار الامور في المانيا، فاقبل اصحاب الاموال على تثميرها في قروض تعقد لالمانيا. وكذلك بدلاً من ان ينقص مجموع الديون الخارجية المطلوبة من المانيا زادت زيادة فاحشة بعقد هذه القروض لها في الخارج. وحاولت الامم في برنامج ينغ ان تنقص المطلوب من المانيا من مال التعويض فزادتهُ فعلاً. ذلك ان برنامج دوز كان يقضي بنقص الاقساط اذ انخفضت الاسعار. ولكن برنامج ينغ لم يحفل بهذا الشرط وعينت الاقساط من دون نظر الى الاسعار؛ فلما انهارت الاسعار هذا الانهيار العظيم، زادت قيمة الاقساط الفعلية المطلوبة من المانيا زيادة فاحشة

الريبرد وهبوط الاسعار

وكذلك نرى ان رفع الحواجز الجمركية ، وعبء الديون الدولية سدّا سبل التجارة العالمية . ولكن الغريب ، ان اوربا ظهرت في خلال ١٩٢٤ — ١٩٢٩ بمظهر المقدرة على الانتعاش ، فزاد ما تنتجهُ مصانعها ، واتسع نطاق تجارتها ، وتمكنت الثقة اذ بدا ان اوربا قادرة على تخطي المشكلات التي نشأت عن الحرب . ولكنّ عاملين حالا دون تحقيق الاحلام . الاول هبوط عام في مستوى الاسعار زاده تضييق نطاق «الكردية» الناشيء عن احتكار الذهب وتجمده في خزائن قليلة . وثانياً اعتماد اوربا على مقدرة اميركا على عقد القروض لها . فلما راجت الاعمال في اميركا ذلك الرواج العظيم سنتي ١٩٢٨ و١٩٢٩ كفّ الاميركيون عن ادانة اموالهم في اوربا لكي يشتروها في بورصة نيويورك وجني الربح الطائل منها هناك . فكانت النتيجة ان اتجه تيّار الذهب الاوربي الى اميركا . فلما وقع الانهيار في وول ستريت وهبطت الاسعار بدأ الاميركيون يستردّون من اوربا ما يستطيعون استردادهُ من المال المثمّر فيها . فاكمل الانهيار ما بدأه الرواج . ديون الحرب يجب ان توفى ، ولا يمكن دفعها الاّ ذهباً . والديون التجارية يجب ان تسدّد اقساطها وفوائدها ، ولا يمكن ان تسدّد الاّ ذهباً . ذلك لان الحواجز الجمركية الاميركية تمنع كثرة الواردات الى اميركا . فلا المانيا ولا بريطانيا ولا غيرهما تستطيع ان تسدّد جانباً مما عليها بزيادة صادرها على واردها الى اميركا أو الى غير اميركا لان رفع الحواجز الجمركية كان عامّاً . وزاد هبوط الاسعار فزادت فداحة الديون . لذلك نرى على اثر الانهيار في سوق اميركا المالية سنة ١٩٢٩ ، ميلاً عالميّاً الى الغاء الديون بانكارها ، وهذا الميل كان شاملاً لاوربا واستراليا واميركا الجنوبية والشرق الاقصى حيث زادت مشكلتهُ تعقيداً هبوط اسعار الفضة وهي اساس نقدهم فهبوط ثمنها ، زاد قيمة ديونهم ، ونقص مقدرتهُ على الشراء

كل هذه المصائب نشأت في اثناء او عقب الحرب . ويسهل ان نحسبها من نتائج الحرب الاقتصادية . ففي المقام الاول ، كانت الحرب نفسها ، من ناحية التفكير الاقتصادي ، خطأً كبيراً . لانهُ لا ريب في ان المنتصرين والمهزومين خسروا في الحرب . فالامبراطورية البريطانية ، رغم ما ضمّ اليها من بلدان واسعة خصبة ، افقر الآن مما كانت قبل نشوب الحرب وقبل ان تضمّ اليها هذه البلدان باسم الانتداب . وفرنسا رغم الثروة التي جمعتها الآن ، ورغم تفوقها في شؤون اوربا السياسية والحربية ، لم تعز بالسلامة التي كانت ترمي اليها ، ولا تزال مرغمة على الذود عن سلامتها بالمدافع والحراب . وكنا نحسب ان الولايات المتحدة الاميركية هي الدولة الوحيدة التي ربحت من الحرب . ولكن تجمد الذهب في خزائنها لم يفدها شيئاً ، فقد عمدت اخيراً ، وهي اكبر دولة خازنة للذهب الى الخروج عن قاعدة الذهب

وقررت وهي اكبر دولة دائنة ، انها لا تدفع فوائد ديونها الا بالعملة الورق . العمال العاطلون في بلادها يزيدون على ١٢ مليوناً . وفلاحوها في حالة يرثى لها لما بلوا به من هبوط اسعار المحاصلات الزراعية . فاذا كان هذا هو الغنم الاقتصادي من الحرب فأين هو الغرم

ضعف جمعية الامم

واذا كان السماح بنشوب الحرب خطأً فادحاً من الناحية الاقتصادية ، فالتسليم بوضع معاهدة صلح كالمعاهدة التي وضعت كان خطأً وجهلاً . فتقسيم بلاد النمسا والمجر وانشاء دويلات متعددة في اواسط اوربا كانا مصيبة اقتصادية من الطبقة الاولى ، لانهما زادا الوحدات المتنافسة في العالم ، والعالم في اشد الحاجة الى التعاون والتوحيد . ولا ريب في أن انشاء هذه الدول كان له مسوغ سياسي . ولكن لا مفرّ من الحكم بأن انشاءها عزز روح القومية — والقومية الجامحة في الغالب — في حين ان الروح القومية لم تكن الروح الصالحة لتنظيم العالم من الناحيتين السياسية والاقتصادية بعد الحرب . لان الدولة القائمة على مبدإ القومية تقتضي استقلالاً سياسيًّا وسيادة قومية ، وهذان من شأنهما رفع الحواجز الجمركية لحماية الصناعة الوطنية وتعزيز الاستقلال الاقتصادي ، في حين ان حاجة العالم الاولى انما كانت لحفظ مساري التجارة مفتوحة . وانشاء جمعية الامم لم يكن كافياً لتعديل هذه النزعة القومية المكتسحة . لان عمل الجمعية نفسه كان محدوداً بفكرة السيادة القومية ، فلم تفز حتى الآن بالوصول الى اي توحيد اقتصادي بين الوحدات السياسية المنفصلة . بل ان منبرها في الغالب كان ميداناً للمنافسة بين القوميات المتنافسة والدول الكبرى التي تتنازع السلطان فلم تقدم الجمعية على استعمال ما يخولهُ اياها دستورها خشية ان تفقد التأييد الذي تمنحها اياهُ احدى الدول الكبرى . وبعض الدول الصغرى — كالدول السكندينافية — رغب في فهم جمعية الامم على ما هو مقصود منها حقيقة ، فحاول ان يجعلها أداة للتعاون الدولي ، ولكنهُ لم يصب من النجاح الا قسطاً يسيراً . وجلُّ ما قامت به جمعية الامم هو جمعها الحقائق الدولية ونشرها وهذا سبيل لا بأس به الى خلق رأي عام دولي في مختلف البلدان

ان خيبة الرئيس ولسن في ضمّ اميركا الى الجمعية قضى عليها بأن لا ترتفع كثيراً عن المنازعات الاوربية . ثم ان فوز الاشتراكية المتطرفة في روسيا ، حوّلها أداة تستعملها الامم التي تخاف الاشتراكية المتطرفة ، للاحتفاظ بالحالة الراهنة . ودول اميركا الجنوبية لا تستعملها الا لتؤكد على خشبة منبرها استقلالها عن الولايات المتحدة الاميركية . وطريقة معالجتها لمسألة منشوريا وشنغهاي جعلت الشرق الاقصى ازال اية ثقة لهُ فيها

وسرُّ ضعفها انها بطبيعة نظامها تدافع عن التسوية التي تمت سنة ١٩١٩ وهي تسوية كما بيّنا تنطوي على اخطاء كثيرة يكفي كل خطإ منها ، اذا استفحل ان يفضي الى حرب كبيرة

العقدة الاقتصادية الاوربية

اما وقد وضعت التسوية السياسية والاقتصادية للحالة الناشئة عن الحرب الكبرى ، فمن المتعذر تأوها . والحدود الجديدة التي رسمت على خريطة اوربا بالغة ما بلغت من الخطإ والضرر على المصلحة الاقتصادية العامة ، لا يمكن تنقيحها الا بالعودة الى حالة اوربا قبل الحرب . فاذا شئنا انشاء وحدات مستقلة كبيرة في اوربا ، لم يكن ذلك مستطاعاً الآن ، الا باسترضاء الدول الصغيرة ومحاولة التوفيق بينها بوضع خطة شاملة للتعاون . وهذا متعذر ، او هو على الاقل صعب . لان كل ميل الى الاتحاد بين دولتين او اكثر يثير الريب الدولية . ففي سنة ١٩٣٢ حاولت الدول التي حول نهر الدانوب ان توثق عرى الصلات الاقتصادية بينها ، بالوصول الى اتفاق تخفض بموجبه الحواجز الجمركية خفضاً متبادلاً . ولكن هذه المحاولة لقيت مقاومة عنيفة . ذلك ان دول الدانوب اكثرها زراعي . وهي سوق لمصنوعات المانيا وايطاليا فهما تخشيان انهُ اذا تمَّ هذا الاتفاق — ولا بدَّ ان تكون تشكو سلوفاكيا أحد اعضائه وهي دولة صناعية — اصبح لمصنوعات تشكوسلوفاكيا ميزة ظاهرة على مصنوعات المانيا وايطاليا في اسواق البلدان الزراعية . وهما لذلك تقاومانه . وتزداد المسألة تعقداً اذا عرفت رغبة المانيا الملحة في الاتفاق مع النمسا بل الاتحاد بها ، ونزعة المانيا وايطاليا الى النظر في تنقيح المعاهدات وهو عمل تقاومهُ فرنسا وحلفاؤها . فالعقدة الاقتصادية الاوربية مرتبطة بالعقدة السياسية ، ورغم عهدة الدول الاربع واقتناع بعض الغيوم التي كانت ملبدة في جوّ اوربا في مايو الماضي ، ما تزال الحرب الى الانتعاش الاقتصادي مبهمة على الرواد

شروط الاصلاح

ان المصاعب التي خلفتها الحرب الكبرى ، والمصائب التي نشأت بعيدها عن معاهدات الصلح ، تقف حائلاً دون كل محاولة غرضها اصلاح النظام الرأسمالي واقامته على اساس راسخ . ومع ذلك فليس بالامر العسير تعيين الخطوات التي يجب ان تخطوها الامم نحو ذلك الغرض . فالخطوة الاولى هي اعادة النظر في مشكلة الديون الدولية — والمقصود هنا بالديون الدولية مال التعويض وديون الحرب والديون التجارية الخاصة والعامة التي عقدت بعد الحرب — وقد زادت فداحة اعبائها بهبوط اسعار العروض زيادة جعلت الدول المدينة عاجزة عن حملها . ولعل افضل طريقة لمعالجة هذه المشكلة هي تقسيمها الى مراحل فينظر اولاً في مال التعويض وقد تمَّ ذلك في مؤتمر لوزان في صيف ١٩٣٢ اذ خفض باقي المطلوب من التعويضات الالمانية الى نحو ١٥٠ مليون جنيه . ثم النظر في ديون الحرب ثم التدرج الى تسوية كل الديون الدولية العامة والخاصة

وكلُّ حلٍّ لمشكلة الديون يقتضي موافقة اميركا عليه، لان مطاف الديون من مال التعويض الى ديون الحرب، ينتهي في الغالب اليها. ولكن السواد من الاميركيين ما يزال يجهل مقام الديون الدولية في اقلاق التبادل المالي والتجاري، ومَن لا يرون فيها الاَّ ديوناً عقدت لامم يصكوك موقعة، وانها اذا لم توفَّ هذه الديون وقع عبء توفيتها على دافع الضرائب الاميركي. لذلك تعجز كل حكومة اميركية عن ان تتساهل في حلِّ مشكلة الديون الاَّ اذا أمكنها الحصول على تعويض يفهمهُ الشعب الاميركي. ولعلَّ الامر الوحيد الذي يستطيع ان يؤثر في نفوس الاميركيين، هو تعهُّد دول اوربا بالوصول الى اتفاق معقول في خفض السلاح، يضمن انها لا تبدِّد الاموال التي تتخلى اميركا عنها في اعداد معدَّات الحرب. فمشكلة الديون مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمشكلة نزع السلاح. ومؤتمر نزع السلاح ما يزال بطيئاً يتردد بين خفض السلاح وضمان السلامة. ففريق يقدم الأول على الثاني، وفريق يصرُّ على ضمان سلامته بمعاهدات تعقد وتوقَّع قبل ان يسلم بخفض سلاحه. فاذا اتيح لمؤتمر نزع السلاح ان يصل الى نتيجة يصحُّ الاعتماد عليها، بعد الموافقة على اقتراح مكدونلد، وتصريح اميركا الذي يخرجها من عزلتها الدهرية، تمهدت الطريق الى قسطٍ من التعاون الاقتصادي. وعندئذ لا تتأخر اميركا عن النظر في خفض الديون او الغائها، لان ما تربحهُ اميركا، اذا تمَّ ما تقدَّم، يفوق اضعاف ما تخسرهُ اذ خفضت الديون التي لها خفضاً كبيراً (١)

على كلٍّ لابدَّ من البحث في هذه المسألة قبل ١٥ دسمبر القادم وهو الميعاد الذي تستحق فيه الاقساط التالية. وقبول روزفلت من الدول المدينة التي سدَّدت اقساطها السابقة، وتسليمهُ بأن لا توفى من الاقساط المستحقة في ١٥ يونيو الماضي إلا اجانباً يسيراً منها علامة على اعترافها بها، يدلُّ على ان الحكومة في وشنطن، اذا لم يخرج زمامها من يد روزفلت، قد تتمكن من اقتراح حلٍّ معقولٍ، او قبول حلٍّ معقول. واميركا بين أحد امرين، فاما ان تخفض حواجزها الجركية حتى تمكن مدينيها من اصدار بضائعهم الى اسواقها فيوفوا بذلك ديونهم او ان تلغي الديون او ان تسكت عن عدم ترفيتها

ولكن المسألة لا تنتهي عند هذا الحدّ. فمعظم المال الذي عقد قروضاً تجارية خاصة بعد الحرب كان مالاً اميركيًّا وبريطانيًّا. وهذه الديون التجارية لابدَّ من الاتفاق على قضها في سبيل عودة الرخاء لانها تجري مجرى مال التعويض وديون الحرب في اقلاق الحال الاقتصادية العامة. ولعلَّ أفضل طريقة لخفض هذه الديون هو السعي الدولي المشترك لرفع الاسعار. لانهُ اذا ارتفعت الاسعار قلَّت الديون، واصبح عبؤها محمولاً

وحلُّ مشكلة الديون يقتضي ان يصحبهُ اتفاق على خفض الحواجز الجركية وتثبيت اسعار

(١) جاءت الانباء ونحن نكتب هذه السطور ان مؤتمر نزع السلاح قد اجل اجتماعه الى ١٥ سبتمبر اذ لا فائدة من اجتماعه قبل الوقوف على نتائج المؤتمر الاقتصادي وهذا يزيد المسألة تعقيداً

النقد . وكلاهما من آثار الاضطراب الذي احدثتهُ الديون في توزيع الذهب

فقد كان الذهب قبل سنة ١٩٢٨ موزعاً توزيعاً نسبياً عادلاً . وكانت القروض التي عقدت في اميركا وانكلترا ، تمكن الدول المدينة من توفية ديونها بالاعتمادات التي تفتح لها بمقتضى هذه القروض . فلم تضطر في يوم ما ان تخرج الذهب من خزائنها لتوفي به قسطاً من دين او فرقاً بين صادرها ووارداتها . فلما حلّقت الاسعار في بورصة اميركا الى مستوى غير طبيعي وصار جني الربح بالمضاربة امراً مؤكداً ، كفّ الناس عن شراء سندات القروض الاجنبية لكي يشتروا اسهمهم في البورصة . فلما انهارت الاسعار ، حول اصحاب الاموال المثمرة في البلدان الخارجية ان يستردوا ما يمكن استرداده منها . فعجزت الدول المدينة عن الحصول على الاعتمادات التي توفي بها ما عليها . فاضطرت ان تسدده بالذهب . فلما رأت المخزون من الذهب عندها يذوب بين يديها عمدت الى تحديد المبالغ التي تخرجها لتسوية الصفقات الدولية . ثم خرجت من قاعدة الذهب . فسقطت اسعار نقدها . ثم رفعت حواجزها الجركية لكي تقلل الوارد اليها . واصبحت بعد خروجها عن قاعدة الذهب قادرة ان تنافس بمصنوعاتها مصنوعات البلدان الاخرى الباقية على قاعدة الذهب . فاضطرت هذه البلدان ، وغيرها من البلدان الدائنة ان تتأثر لنفسها ، برفع حواجزها الجركية وتحديد الوارد من أصناف معينة او من بلدان معينة (الكوتا Quota) وكل هذا افضى الى هبوط اسعار العروض فنشأ عن ذلك المنافسة في خفض الاسعار للمزاحمة في الاسواق الدولية وسد المنافذ لعروض البلدان الاخرى برفع الحواجز الجركية والوسائل الاخرى وهز الثقة العامة لاضطراب اسعار النقود وتقلقبها . فهبط مقدار التجارة الدولية من نحو ١٤ الف مليون جنيه سنة ١٩٢٩ الى ٥ آلاف مليون جنيه سنة ١٩٣٢ وهو ادنى ما بلغتهُ التجارة الدولية بين سنتي ١٩١٠ و١٩٣٢

ولما كانت الامم الزراعية ، والصناعية تتنافس للاستئثار بالاسواق العالمية ولما كانت المقادير التي تخرجها الحقول والمزارع ، والعروض التي تصنعها المصانع ، تفيض عن الحاجة وجب على الامم الوصول الى اتفاق على توزيع الفائض من الانتاج الزراعي والصناعي في كل بلاد . وهذا لا بدَّ منه اذا اريد جعل الاسعار مستقرة بعض الاستقرار . وقد ابدت حكومة اميركا رغبتها في استطلاع رأي الحكومات الاخرى في ما يتعلق بتحديد مساحة الحقول التي تزرع حنطة . وقد عهد الى احدى اللجان الفرعية في المؤتمر الاقتصادي العالمي في درس هذا الموضوع

ولا بدَّ من الاتفاق على تشجيع عقد القروض الدولية ضمن حدود معينة . فهذه القروض كانت من عوامل الرخاء قبل سنة ١٩٢٩ لانها مكنت الامم المدينة من تسديد ما عليها من دون اخراج الذهب من بلادها — ومن تثبيت النسبة بين الفضة والذهب لان ذلك يزيد مقدرة الصين والهند الشرقية على الشراء ووهما نحو ٨٠٠ مليون من الناس

ان هذه المقترحات يشدُّ بعضها بعضاً ، فالاتفاق على بعضها دون البعض الآخر لا يكفي

لامرتين في ربوع الشرق

هي زجة المحاضرة التي القاها مريوس بك شبل في الحفلة التي اجراها النادي الكاثوليكي للشبيبة السورية في فندق الكونتنتال مساء ٢٢ مايو سنة ١٩٣٣ برآسة شاعر القطرين خليل بك مطران وذلك احتفاء بمرور مائة سنة على زيارة لامرتين للشرق وقد حضر الاحتفال جمهور كبير من نخبة المثقفين والسوريين يتقدمهم مندوب الحكومة الفرنسية ومندوب وزارة المعارف المصرية. والترجمة بقلم الاديب عادل الخياط

قد يكون من الاساءة إليكم ايها السادة ان احاول تعريفكم بلامرتين قبل الوصول به الى الشرق. فحسبي ان أنقل لكم ما ذكره عنهُ جول لومتر في ختام البحث الذي خصَّه بشعره في كتابه « المعاصرين » حيث قال : « ان لامرتين هو أعظم الشعراء ان لم يكن أنبغهم » أضيفوا الى هذا ما كتبهُ عنهُ الناقد المشهور لويس فيو بعد وفاة لامرتين بايام قلائل قال: «ان لامرتين منذ اكثر من عام لم يكن بين احياء هذا العالم فلم يفعل الموت به الاّ انهُ أثقل نعشه حتى لكأنهُ احتاج الى زمن طويل لكي يستطيع ان ينقل بقايا هيكل كان عظيماً »

وخلاصة ما قاله به هذان الناقدان ان لامرتين كان رجلاً عظيما وشاعراً عظيماً وحديثي الليلة معكم مقصور على سياحته في الشرق ولذلك فاني لن احجم في تصوير الرجل كما كان عن ان أوقفكم على آيات من نثره وشعره بالقدر الذي يسمح لي به وقتكم

كان لامرتين أعظم شاعر حطمت قلبه الاحزان والحسرات ولعل سبب رحلته الى الشرق هو ذلك الحزن الذي كان مستعر اللهب بين ضلوعه لوفاة وحيده في باريس عقب عودته من لندن وكان قد ذهب اليها مستشفياً صحبة والده . لم تمنع هذه الضربة القاضية لامرتين من ان يفكر في رحلته الى الشرق مصطحباً ابنته جوليا العليلة راجياً لها ان تلقى في بلاد الشمس المشرقة والنسيم العليل ما لم تلقه في بلاد الضباب . اما حبه لابنته جوليا فقد كان حبًّا يقارب العبادة وهذه قصيدته المشهورة في رثائها قطعة من فؤاده نظمها آيات من الشعر في البكاء عليها والتفجع على غصنها الذابل. وقد يكون الدافع الحقيقي الى زيارة الشرق هو كون لامرتين شرقيًّا بطبعه فلبّى داعي الحنين الى الشرق واستقاءه على ما ذكرهُ جول لومتر في هذا الصدد قال :—

«ان لامرتين شرقي كما كثر رؤساء الشعوب فهو كباقي افراد اسرته كابراً عن كابر طويل القامة اسود العينين اقنى الانف مرتفع بطن القدم

« وقد نشأت اسرته في بلدة ما كونِي وهي لا تزال عربية حتى ايامنا هذه . ولقد جاء في مذكرات كرندي انهُ في سنة ١٥٧٢ عرفت هذه البلدة رجلاً يسمى ألامرتين وهذا الاسم

مركب لا شك من كلمة الله ولامرتين فيستدل من هذا على شرقية هذه الأسرة »

ومهما يكن في كلام جول لومتر من امثال الفكرة لاثبات شرقية لامرتين فمن ما لا يرضى به ولا يقبل ان يكون لامرتين واحداً منا. اما هو فقبيل إبحاره من مارسيليا ذكر السبب الذي حداه على زيارة الشرق فقال :

هلم اسمع صيحات الشعوب يتجاوب صداها في ارجاء ذلك الارز الخالد لم ار من فوق ذرى لبنان تلك العقبان تعطدم بقبة السماء وهي في اعالي قصور صور الشاهقة لم يتح لي أن أرى تدمر التي ليس لها اليوم الا صدى اسمها كذلك لم ارسل صوتي في جوف مملكة صنون الخالية الخاوية »

كل هذا اراد الشاعر ان يراه كما كان يحلم دائماً ان ينظم ملحمة يلهمهُ بها الشرق ولم يكن احب على قلب هذا الشاعر من ان ينقش على قلبه هذه الكلمات الثلاث : الله والحب والشاعر

في الساعة الخامسة والدقيقة الثلاثين من يوم ١١ يوليو سنة ١٨٣٢ أقلع المركب الست Alceste بلامرتين وزوجته وابنته جوليا يصحبهم ثلاثة من اصدقائه وهم اميديه دي پارسفال Amédée de Parseval والمسيو دي كاباماس M. de Capmas والطبيب دي لاروايير Dr. de la Royère. ليس السفر بالمراكب الشراعية مثل السفر بالمراكب البخارية ولذلك اضطرت الرياح المعاكسة مركب هؤلاء المسافرين الى الوقوف وقتاً طويلاً فكان القضاء قدّر للامرتين ان يحذو حذو اوميرس وورجيل واذ يستسلم استسلام عولوس وقد ذهب يبحث عن محبوبته ايتاك وما ايتاك لامرتين الا الشرق الذي يسعى اليه ليجلو عبقريته ويترك لهذا العالم عالم الظلمات والشك والمآسي ثروة تغذيه وتنفح فيه روح الشباب مدة قرن كامل . ذهب لامرتين الى الشرق طالباً على غرار قابليون ولكنهُ ذهب لتثبيت مجده ان لم يكن في سبيل الحصول على مجد جديد

بقي المركب الشراعي يتنقل بركابه بين جزيرة كالبسو وماطه وبلاد اليونان وافريطش ورودس حتى حاذى في آخر اغسطس شواطىء كارامانيا وقد بدت ركّابه القمم العالية البيض التي ذكّرتهم بجبال سويسرا . وفي اثناء مرورهم كانت تبدو لهم وجوه نساء حسان جلسن في ضوء القمر على سطوح المنازل فرأوا في عيونهنّ عيون نساء ايطاليا ولكنها أكثر عذوبة وحياة وحناناً كما رأوا في قدودهنّ قدود نساء الاغريق ولكنها اكثر ليناناً وفي جباههنّ العريضة حياء حسان بلاد الشمال . وفي ظهر يوم ٢٧ اغسطس وصلوا الى قبرص وفي ٥ سبتمبر بعد ان قضوا ٥٦ يوماً في عرض البحار بدا لهم لبنان بجباله البيض العالية تتوّجها قمم صنين المرتفعة حوالي ٣٠٠٠ متر فوق سطح الارض فاخذت لامرتين نشوة من السرور لا توصف رجا بها ان تعود الصحة الى ابنته جوليا اذا ما استقرّوا في هذه البلاد الجميلة الساحرة سنة او سنتين . وفي الساعة التاسعة من صباح يوم ٦ سبتمبر رسا المركب في مرفأ بيروت وهي مدينة قائمة على مرتفع من الارض تغسل اقدامها مياه البحر الابيض المتوسط فبدت لهم منازلها

الحمرا المفتقة وقد امتد الى شرقها سهل خصيب واسع ينتهي عند سفوح سلسلة من جبال لبنان . اما البناء فيكتنفهُ لبنان من الارض يمنعه عنهُ عصف الرياح وعلى امتداد الشواطىء المجاورة قامت أشجار الخروب والتين والبرتقال والرمّان الى مجموعة من الشجيرات التي يجهلها ابناء الغرب وهنالك على اول قفز من الارض قامت أشجار الزيتون وعلى بعد فرسخ من المدينة تبتدىء سلسلة جبال لبنان بالنهوض فاغرة افواهها تنكب منها الانهار هذه تذهب الى صور وصيدا وتلك الى طرابلس واللاذقية والقمم اللامعة التي يغطيها السحاب تشبه قمم جبال الألب الدائمة الجليد

كان لامرتين يحمل كتب توصية لقنصل فرنسا ببيروت المسيو جي ولكن اتفق ان كان المسيو جي متغيباً عن بيروت في ذلك الحين فاستضاف لامرتين واصحابه المسيو جوربل مترجم القنصلية. ولقد أثرت في قلب لامرتين تلك المناظر التي شاهدها لاول وهلة بعد سفر طويل عاصف. فانها لساعة ممتعة تلك الساعة التي يصل فيها المرء بعد سفر مضن شاق لا يشبه ابداً أسفارنا التي لا تستغرق في هذه الايام اكثر من ثلاثة أيام او اربعة على تلك القصور العائمة من مثل شامبوليون واوزونيا ، أجل انها ساعة ممتعة عند ما يبلغ المرء بلاداً يجهلها فيأخذ بجميل الطرف حوله مبهوتاً كذلك كان تأثير البلاد التي وصل اليها لامرتين على ذلك المركب الذي ما برحت تتقاذفه الامواج في مرفأ بيروت المضطرب حتى قدر له ان يعود بجثمان ابنته بعد انتهاء الرحلة . وان امرءاً تطأ قدماه الارض بعد قضائه اياماً في عرض البحار لكالعليل الذي يقضي ايام النقاهة بعد مرض عضال قال لامرتين بصف اول يوم من وصولهم : —

« لقد قضينا ليلتنا في صفاء وغبطة ونحن في ضيافة مدام جوربل الحلبية الحسناء التي قد حافظت على اللباس الفاخر للنساء العرب من منديل يعصب رأسها الى صدرية مزركشة عُلّق في وسطها خنجر جميل وكان هذا اللباس الشرقي يزيد في جمالها وبهائها»

غير ان لامرتين لم يكن ليرى الحسن الا في ابنته جوليا فاسمعوه يقول: «لم أجد أجمل من ابنتي جوليا في لباسها الحلبي المؤلف من ثوب ذهبي مخطط تتفرع منه شُرُط مزركشة محلاة باللؤلؤ ضمن سلاسل من الذهب هذا وقد استرسلت ضفائر شعرها على كتفيها واخذت بجميل الطرف بيني وبين امها مبتسمة ولسان حالها يقول ما اجملني»

سألت مدام جوربل لامرتين ان يخلد زيارتهم بتذكار ترسله الى ابيها بحلب فخلا بنفسه قليلا ونظم القصيدة المشهورة التي عنوانها «عربية تدخن النرجيلة في بستان من بساتين حلب»

كان المنزل الذي اختاره لامرتين لسكنه في الحي الذي تقوم اليوم فيه مدرسة راهبات الناصرة وقد يكون كثيرات منكنّ يا سيداتي قد تلقين علومهنّ هنالك وهي تبعد مسير عشر دقائق عن البلدة ويكتنف الطريق المؤدي اليها سلسلة من الأشجار العظيمة الرامية بثمارها على رؤوس المارة . وكان المنزل وهو مؤلف من خمسة بيوت متفرقة تجمع بينها سلالم خشبية او

بعض ثغرات، يشبه مجموعة «فيلا» ايطالية على طراز تلك التي نراها على شواطىء لقورن

وصل لامرتين الى سورية بعد أشهر من افتتاح ابراهيم باشا الكبير لها وكان هذا القائد العظيم يكرم العلم والادب شأن جلالة ملكنا فؤاد الاول فاستبق بقدوم الشاعر العظيم حتى أمر كل القواد المصريين ان يحتفوا به ويكرموه الاكرام اللائق به وكان لامرتين إذ ذاك في ابان مجده فيما نشره من «التأملات» و«الانغام» وهو منذ سنة ١٨٢٩ عضو في المجمع العلمي حلَّ محل الكونت دي دارو. وبعد وصوله الى بيروت باربعة أيام زاره الحاكم المصري حاملاً اليه تحية سيده ورعايته طول مدة اقامته وكان لامرتين قد سمع بابراهيم باشا وعظمته وكانت الألسنة إذ ذاك تتناقل عنه الحكاية التالية:

لما دخل ابراهيم باشا بيروت وصار على مسافة قريبة من بابها اعترضت سيره حية عظيمة زحفت على الرمل حتى وصلت الى جواده فاجفل هذا وهرع بعض العبيد الحفاة الى ضرب الحية فاستوقفهم ابراهيم باشا باشارة منه ثم استلَّ سيفه وضرب به الافعى فشطرها نصفين وروى لنا لامرتين بعد هذا ان الجند صاح صيحة اعجاب بشجاعة قائده الذي ابتسم واتم سيره متفائلاً بالنصر الذي ابتدأ بهذه الحادثة

اغتنم الامير الفرنجي (كما كانت العامة تسمي لامرتين) فرصة تمتعه برعاية ابراهيم باشا وذهب يزور اللادي استير ستانهوب في عزلتها في جون

كانت اللادي ستانهوب ابنة اخي وليم بت (الوزير البريطاني). فبعد موت عمها لم تستطع ان تتحمل حياة الالم فهجرت انكلترا الى غير رجوع

جاءت الى الشرق وهي فتاة في ريعان الشباب تتمتع بقسط كبير من الجمال والفن والشجاعة والذكاء فاستقبلت استقبالاً حافلاً حيثما حلت وكانت رحلتها الى تدمر عاصمة الزباء واقامتها هناك مدة قد اكسبتها لقب ملكة تدمر. وبعد حوادث عدة اظهرت فيها من الشجاعة والاستخفاف بالموت ما طبعت بذكرها الالسن انقطعت بما بقي لها من ثروة في دير من ادبرة جون كان حاكم عكا قد وهبها اياه. ود لامرتين بنفسه الشاعرة ان يزورها ولو قطع عليها عزلتها لما هي فكانت تأبى كل زورة تعكر عليها صفاء خلوتها غير ان شهرة الشاعر حملتها على ان لا تتأخر في استقبال زائرها. وكان ذلك في الساعة الثالثة في يوم من ايام اكتوبر سنة ١٨٣٢ فاستقبلته في منزل اشبه بوكر النسر تحيط به ظلمات لا يستطاع معها ان يستوضح قسمات ذلك الوجه النبيل. وما كاد لامرتين يصل حتى نهضت من مضجعها وخفت الى استقباله وكانت اذ ذاك في السنة السادسة والخمسين من عمرها الا انها ما زالت مشرقة الوجه وضاحة الجبين. ان المشيب ينعي النضارة والزهو ولكن الجمال اذا كان تمثلاً في النقد المشوق والقسمات المنتظمة والعظمة فهو يتغير مع العمر ولكنه لا يزول. تجاذب الزائر والمزور الحديث فكان من كلامها له:

كان يجول في خاطري ان كوكبينا صديقان وها اني ارى والبشر يضم قلبي ان هاجسي لم يخطىء فان قسمات وجهك التي اراها ووقع خطاك الذي سمعته وانت تجتاز الممرّ كل هذا جعلني ألاّ اندم في قبولي زيارتك. ان لي مشاركة في علم الفلك فهل تريد ان انظر في مستقبلك

غير ان لامرتين الحكيم كان يخافه جداً من الحقيقة وكان يحب الحياة حبًّا جمًّا ولو انهُ كان يتمثل الموت في كثير من قصائده فخشي ان يتقلص عنه ظل السعادة في استماعه لعرافة ولو انها اللادي استير ستانهوب فقال : —

عذري يا سيدتي اختي إن انا استوضحت امر مستقبلي مخلوقاً من الناس ان ادنس هيكل الله الذي يخبيء لي هذا المستقبل . انا لا اعتقد الاّ بالله والحرية والفضيلة وليس غير الله من يملك الحقيقة اما نحن فلا نملك منها الاّ الايمان. ان المسيح الذي اومن به قد جلب للارض الدين القويم السمح الذي لم يعرفه من قبل ذكاء البشر فالدين يعرف بثماره ومبادئه فثمار المسيحية هي غير محدودة كاملة الهية فالدين نفسه اذن هو إلهي

قالت لكن ألا ترى العالم في الاجتماع والسياسة والدين حسن النظام ألا تشعر ان في نفسك حاجة الى المنقذ المنتظر ؟ قال:

ليس من يشكو من النظام الاجتماعي والسياسي والديني شكواي منه ولئن انتظرت انت المهدي فاني انتظره مثلك بفارغ الصبر. اني ارى كما ترين في معتقدات الانسان القلقة في ظلام افكاره في خلو قلبه في هيأته الاجتماعية في كل هذه التقلبات السياسية اري في كل هذا عناصر انقلاب شديد . ولكني اعتقد ان الله يظهر دائماً في كل ما يعجز عنه البشر . اعتقد بمنقذ مقبل ولكني ارى فيه المسيح الذي تنبأ عنه الله فأنا انتظره بشوق يفوق شوقك

قالت اعتقد كما تهوى فاني استشرت الكواكب فقالت لي انك شاعر وان لك كواكب عدة هي كلها متحدة على خدمتك واسعادك فستعود انت الى الغرب ولكن لن يطول بك المقام حتى ترجع الى الشرق فهو وطنك . انظر الى قدمك الى بطنها المرتفعة عن الارض ارتفاعاً يمر من تحته الماء فهي قدم العربي قدم الشرقي

وعلى هذا استمر حديثهما اللاذع الغريب بما لا طائل تحته فان اللادي ستانهوب شعرت بعطف شديد على لامرتين فخصته بضيافة شرقية كريمة وطافت به في انحاء حدائقها الجميلة اللابسة من وشي الطبيعة ثوباً سندسيًّا وقد انتشرت فيها رائحة الياسمين وازدانت ارجاؤها بالبرك من الرخام تنسكب فيها المياه كسيل من البلور وقامت الاشجار منبراً لكل انواع الطيور. وما زالا يطوفان حتى وصلا الى باب مغلق ففتحته وأرته جوادين من الجياد العربية الاصيلة كانت تفخر بها وهي العرافة مستقبلاً ياهراً ثم لما انقضى الليل ودّعته بقولها : —

تذكر انك تارك صديقة متعزلة في لبنان ثم حيته وحياها بتحية عربية وخرج وزار لامرتين

بعد اللادي ستانهوب الامير بشير الكبير وقد احتفل اخيراً في بيت الدين بتذكار هذه الزيارة

ان الامير بشير هو لا شك بعد الامير فخر الدين اكبر حكام لبنان شأناً ولئن كان حذراً ذا دهاء وحيلة مثل لويس الحادي عشر فلانه اراد ان يجعل من لبنان بلداً كبيراً ولم يكن ذلك سهلاً في بلاد كسورية تتلاعب بها الاهواء الشرقية والمطامع الاوربية المختلفة الاغراض. فهو اول من عبّد تلك الطرق التي كانت دروباً تقضم والبغال فاستطاع الناس في عهده ان يتجولوا في انحاء الجبل بلا خوف. ذلك هو الشرط الاساسي لتقدم يريد ان يتقدم. كذلك كان من العدل على اعظم جانب فقد ضرب على ايدي المستبدين من امراء الجبل ولعل احسن ما يسجل له بعداد الفخر ان لبنان على عهده كان ملجأ اميناً لضحايا الدين والسياسة

اهتمّ الامير بشير مدة نصف قرن بالقيام بمنشآت سلفه ولقد اضطر اربع مرات الى ان يهجر لبنان فكان يرجع في كل مرة قوياً شديد العزم وافر الهيبة. والامير بشير هو مثال صادق للامير الشرقي الذي يلتي في القلوب الروعة والهيبة والاحترام بدهائه وذكائه وقوته حيناً وليانه حيناً آخر فاستطاع ان يضمن للبنان حياة رغيدة ولو انهُ اثار حقائظ الاحزاب المختلفة بعضها على الآخر وكان في الاساطير اللبنانية يلقب بنابليون سورية حتى تنازل عن الامارة بعد مؤتمر اوربا سنة ١٨٤٠ فسمح له ان يعتزل الحكم في جزيرة مالطه التي انتخبها مقراً له ثم سار منها الى القسطنطينية فمات فيها سنة ١٨٥٠ وعمره ٨٧ سنة وكانت مدة حكمه ٥٣ سنة وذلك من سنة ١٧٨٧ الى ١٨٤٠ وهي مدة ما قضاها في الحكم حاكم قبله

كان الامير بشير في غضون زيارة لامرتين للشرق في ابان مجده قد اتخذ بيت الدين مقراً له وها نحن اولاء نتبع لامرتين في زيارته لهذا الامير العظيم

تقوم على جانبي الطريق سلسلة جبال يبلغ ارتفاعها ٣٠٠ الى ٤٠٠ قدم كأن بارئها البشر قد فصلهما حديثاً بضربة من مطرقته

بعد مسير ساعة في هبوط وصعود يصل المرء الى ذلك القصر العظيم قصر بيت الدين بالقرب من دير القمر. يرى المشاهد هناك وادياً عميقاً واسعاً يفيض نضرة وخضرة وقد انتشرت على سطوح الجبال بعض القرى ثم اذا اتجه الرائي بنظره نحو الافق شاهد البحر من فوق قمم بعض التلاع

وفي بطن الوادي مرتفع من الارض يقوم عليه القصر العالي كأنه أحد الابراج يحيط به صخور قد نبت بين شقوقها العشب الاخضر وقد القصر تشرف بعظمة على بقاع بيت الدين. وكأني بالامير كان يعنى بالعظمة حتى قصره بكل ما يدل على ذلك وجلب له المياه بأقنية يبلغ طولها ثلاثة فراسخ اما نفقة اسطبله وعدد الصيد والقنص فيه فحدّث عنها ولا حرج فقد تناقلتها الألسن على انها أساطير لغرابتها

في زوايا القصر وداخله تتحدر عيون المياه وفي الصدر بعد سلسلة من الاعمدة الموصولة

بالحديد والزجاج يشاهد الداخل بيراً هائلاً قد أسند رأسه الى قدميه المتشابكتين ولا شك ان الامير قد استعار نظره الحاد من هذا البير الجاثم على انه لم يقلق لامرتين

كان الامير جالساً في زاوية البهو على مضجع أحمر وهو شيخ جليل حاد النظر اغبر اللحية زاهي اللون تتدفق منه الحياة وكان مرتدياً ثوباً أبيض ومتمنطقاً بنطاق من الكشمير وقد ظهرت بين طيات ثوبه قرب خصره قبضة خنجر طويل عريض محلى بباقة من الالماس في شكل رتقالة . وكان لامرتين قد قدر في الامير ثقافة ومعرفة بالامور وذكاء في تصريفها قد يندر في ذلك العهد ان تجتمع في امير شرقي. وكان قد عقد له قبيل ذلك على حسناء تبلغ من العمر ١٥ سنة وكان هو إذ ذاك في التاسعة والستين من عمره وعلى زعم لامرتين انه كان في الثانية والسبعين ولكن لامرتين لا يُسأل عن التدقيق وانما يسأل على الوحي والالهام. غير ان هذه الحسناء قد يكون عمرها ٢٠ سنة اذا اتبعنا قاعدة اجدادنا في معرفة السنين من ان سنة المرأة ١٥ شهراً

استقبل الامير بشير لامرتين استقبالاً فخماً فطاف واياه على كنوزه في قصره الملكي حتى خيّل للشاعر الفرنسي انه يطوف في قصر من قصور الف ليلة وليلة وبعد حديث طويل اعجب فيه لامرتين بحكمة الامير ونبله دعاه هذا الى مرافقته الى قاعات الحمام

لن أصف لكم ايها السادة هذه القاعات فانتم تعرفونها فهي ككل حمامات الوجهاء في الشرق. وكأني بالامير اراد ان يغرق في اكرام لامرتين فدعاه الى الاستحمام معه هو ورفقته غير ان لامرتين تنحى بلطف عن هذه الدعوة لانهُ رأى فيها مظهراً من مظاهر الحفاوة التي اراد الامير ان يخصه بها. وانتهى بلامرتين المطاف الى اسطبلات الامير يسمع منها صهيل الجياد العربية الاصيلة ومن لم يزر هذه الاسطبلات او اسطبلات دمشق فلا يعرف شيئاً عن الجواد العربي ومن فاته ذلك فليقف عليه في قصيدة لامرتين التي يصف فيها الجواد «سلطان» وهو الجواد الذي اشتراه لامرتين لابنته جوليا وكان آخر نزهة قامت بها عليه نزهتها في انحاء القديس دعتري

رجع لامرتين الى بيروت في ٧ نوفمبر واستطاع في مأدبة أدبها بعض فضلاء بيروت ان يرى ابناء الامير بشير نزلوا الى بيروت بأمر من ابرهيم باشا لحضور شوكة من محاولون شق عصا الطاعة . قال لامرتين يصفهم :

« ان هؤلاء الامراء ولاسيما البكر هم عنوان على الحضارة الشرقية التي هي في مستوى حضارتنا بل هي أقدم وانقى مورداً واكمل اصلاً فانهُ يبدو لعين الرائي النزيه ان ليس هناك فرق بين ما عندنا وعند الشرقيين من نبل وقسوة حكيمة في التقاليد والعادات فنحن قوم حديثو الحضارة خرجنا من حضارات قاسية ضخمة ناقصة اما هم فتشعر عند رؤيتهم انهم ابناء بيت أصيل وحفدة قوم عرفوا منذ القدم بالحكمة والفضيلة »

علينا نحن الشرقيين ان لا نؤخذ بجمال هذا المدح وان لا ننتشي برحيقه المسكر فقد يحتاج

الى تحقيق ولمعان نظره. اما الاسرة الشرقية والفتاة الشرقية فقد وصفها لامرتين بما يأتي :

« الاسر القاطنة في سفوح الجبال ليس فيها أثر من الوحشية . والقروي منهم أعلم من القروي في اريافنا فضلا عن انهُ اللين شريكة واكثر مسالمة واقدر على العمل وأصبر. وكثيراً ما رأيت في الحقول وجوه نساء وفتيات ما كان رفائيل ليراها في احلامه الفنيّة »

لم يخطىء الشاعر الذي يقول في وصف سورية

« ان بلادي هي الارض التي ينبعث السحر من عيون غادتها اللواتي يشبهنَ العذراء في جمالها الخالد »

سُحر لامرتين بكلّ شيء رآه في ربوع الشام فلا عجب ان نقرأ في « هبوط ملاك » كل الانغام السحرية التي استلهمها لامرتين من لبنان وأهداها اليهِ. وصف لنا لامرتين جمال جبال القديس دمتري ونهر بيروت يوم كان يتنزه مع ابنته جوليا في تلك الانحاء فلما جابه تلك المحاسن الطبيعية الخلاّبة لم يستطع الاّ ان يصيح باعجاب

« اللهم ما اعظمك انفي كل بقعة من هذه البقاع شعاعاً تعكسه تلك المرآة التي تصور فيها نفسك »

طالما رددت الافواه صيحات الاعجاب والدهش امام جمال الطبيعة فما بالك بالمنبع البعيد الغور اللانهائي الذي يفيض بذلك الجمال . شاركت لامرتين ابنتهُ جوليا في اظهار ذلك الاعجاب فلم تملك هي ايضاً ان صاحت قائلة « ما اكرم الله الذي قدر لي ان اشاهد هذه المظاهر من الجمال »

والحق لا يظهر صريحاً نبيلاً الاّ على افواه الاطفال ولكنها كانت النزهة الاخيرة التي قام بها لامرتين مع ابنته جوليا التي يحبها حبًّا يقارب العبادة. ففي ٦ دسمبر سنة ١٨٣٢ في ذلك الوقت الذي كان يخيل فيهِ الى لامرتين ان ابنته جوليا متمتعة بالصحة والعافية لفظت روحها بين يدي والديها في المنزل الذي اختاروه في ضاحية من ضواحي بيروت حيث ظنوا انهم يجدون فيهِ اسباب السعادة والهناءة. وفي شهر مايو من السنة التالية سار المركب ألسست Alceste الذي جاء بهم الى بيروت في سبتمبر سنة ١٨٣٢ يحمل الى فرنسا جثمان الفتاة المحبوبة حيث دفن في مدفن العائلة في سان بوان. اما لامرتين وزوجته التاعسان فقد عادا الى فرنسا في الوقت نفسه على المركب لاسوفي La Sophie

كذلك اراد الحزن والاسى ان يظل لامرتين متعلقاً بالشرق وطنه الثاني

قلت لكم ان لامرتين كان يظهر اعجابه حيثما حلّ وايما اتجه سواء كان ذلك فيما كان يراه من جمال وروعة او فيما يقف عليه من اخلاق الناس. واذا رغبتم ان تطلعوا على رأي لامرتين في الطائفة المارونية التي يرعاها في هذه الآونة شيخ بكركي الجليل فها كم ما قاله في هذا الصدد:

« ان الشعب الماروني يؤلف شعباً منفرداً في كل الشرق رجاله طوال القامة وسام الطلعة لهم نظرات تدل على الصراحة والفخر وابتسامة حلوة فطنة عيونهم زرق وانوفهم قنى ولحاهم

شقر وحركتهم نبيلة وصوتهم خطير وعاداتهم تدل على التهذيب والادب فكأنهم جالية اوربية وماها النهر بين قبائل الصحراء . على ان قسماً منهم عربية وان من يمر بقرية من قراهم ويرى الشيخ جالساً امام داره ويسمع صهيل جياده ويشاهد اعيان القرية تحيط به وهم لابسون اغلى ثيابهم وعمائمهم ومتقلدون خناجرهم لا يشك الا انهُ امام شعب متحدر من سلالة الملوك

«ان الموارنة هم ابطال شجعان ميالون بطبيعتهم الى الغزو والفتك كباقي سكان الجبل فاذا دافعوا عن جبلهم دافعوا عنهُ دفاع رجل واحد ولا مغالاة اذا قلت ان اللبناني هو شعب بنفسه»

يقال ان لامرتين تغنى شعراً بوادي حمانا وهذا خطأ فان اشهر قصائد لامرتين من مثل «التأملات» و «الانغام» نظمها قبل سفره الى الشرق ولم ينظم بعد عودته الا مجموعته المسماة «وحي الاستجهام» اذا استثنينا «جوسلان» و «هبوط ملاك» وليس في هذه المجموعة ما يدل على زورته للشرق الا قصيدة «الحسناء تدخن النرجيلة» و «القفر» و «سلطان: الجواد العربي» . اما وادي حمانا فان لامرتين قد وصفه نثراً وصفاً بديعاً سأذكر لكم شيئاً منهُ

لما رجع لامرتين من فلسطين وقع في ابنته جوليا غادر بيروت في الثامن والعشرين من شهر مارس ميماً بعلبك ودمشق ماراً ثانية بغابات الصنوبر حيث يلتقي في كل خطوة يخطوها تذكارات مؤلمة . ويرجع عهد هذه الغابات غابات فخر الدين الى ما قبل القرن الثالث عشر وهي ذات مساحات واسعة غربي المدينة وعند سفوح الجبال

صعد لامرتين الجبل بحاشيته المؤلفة من ٢٦ جواداً ومن ثمانية عبيد مشاة او عشرة كانوا خدمه وحراسه فمرّ بطرق صخرية صفر منقطة بلون وردي تبدو للناظر اليها عن بعد انها مفتحة ثوب بنفسجي وردي يسحر الالباب وليس ما يسترعي النظر في هذه الرحلة حتى بلغ حمانا. قال يصف هذا الوادي

« ان اروع منظر يستطيع المرء ان يرى بدائع صنع الله هو وادي حمانا فهو وادٍ يتدىء بهوة مظلمة عميقة حفرت في قلب صخور مرتفعة تكللت بالثلج وهذا الوادي يمتاز بسيل من الزبد يتحدر من قمم الجبال ويخط في تلك الظلمة اخاديد متحركة ساطعة تعرض قليلاً قليلاً حتى ينسكب سيلها من شلال لآخر ثم يتجه فجأة الى المغرب ويسيل في وادٍ متسع مجتازاً ما يعترضه من بطاح وتلاع

« ما شعرت قط بجمال للجبال قبل رؤيتي لهذه البقعة المتشحة بجمال حزين خطير حلو يختلف عن جمال البحر وجمال السهول فهو جمال يقبض الصدر بدل ان يشرحه كأنهُ صورة للعاطفة الدينية في ايام المحن بدل ان يكون صورة لعاطفة الدين ايام الهناءة»

بعد ان غادر لامرتين حمانا وصل الى سهل البقاع ثم ذهب الى زحلة حتى وصل الى بعلبك في اواخر مارس سنة ١٨٣٣ . تترك الكلام هنيهة عن بعلبك وارز لبنان وننتقل مع الشاعر الى دمشق

حط لامرتين رحاله بدمشق في اول ابريل فتجلت لديه هناك صور الشرق بأجلى مظاهرها. يسوءني ان الوقت لا يتسع لي حتى اقضي معكم ومع الشاعر وقتاً طويلاً في هذه المدينة نستجلي بدائعها من قفرها الذي لا يدرك الطرف آخره وحواجزها الرخامية ما بين صغر وسرد الى غابات مآذنها الى نهرها ذي السواقي والجداول التي لا تحصى الى بساتينها المزهرة الزاهرة الى قصورها ومنازلها وقراها. ان العالم كتاب وكل خطوة نخطوها في اسفارنا تقلب لنا صفحة منهُ والذي لم يقرأ منهُ غير صفحة واحدة فهو لا يعرف شيئاً كثيراً ولذلك يجدر بنا ان نقلب باقي صفحات هذا الكتاب السحري

لقي لامرتين في دمشق طبيعة جميلة ونساء أجمل مما رأى حتى وصوله اليها. ان المرأة في دمشق قامة كاملة كما في التماثيل اليونانية ونظراً تلمع منهُ الحياة كعادات سكان الجنوب وبساطة في الهيئة كما هي الحال في الشعوب الاولى فاذا اجتمعت هذه الشروط الثلاثة في وجه صبية حسناء منظم القسمات كاد جمالها يكون كاملاً

يشعر المرء ازاء هذا المنظر الجميل بعاطفة من الاغتباط ليست هي عاطفة الحب ولكنها عاطفة حب الذكاء حب الفن حب الابداع المجسم في عمل كامل واتفق للامرتين ان يجلس الى فتاة قد خصها الله بكل هذه المواهب في مجتمع من المجتمعات التي سارعت الى اكرامه والحفاوة به وكان الحفل غاصًّا بشعراء البلدة فتنافسوا جميعاً في التغني شعراً بجمال هذه الفتاة الحسناء فنظم لامرتين لهذا الغرض قصيدته المشهورة في حسناء دمشق. وكذلك كان لامرتين يتنقل من عجيب الى أعجب ومن جميل الى أجمل حتى وصل الى الارز فمنعته الثلوج المتراكمة من ان يدنو منه

كان لا بد للامرتين وهو في طريقه الى الارز ان يمر بطرابلس الشام في ١٤ ابريل فاستقبلتهُ هناك اسرة كاتسفليس المشهورة وهي أسرة يونانية الاصل يزاول افرادها التجارة فضلاً عن انهم قناصل روسيا في طرابلس ولا يزال الخلف منهم في الشام مثالاً يحتذى في الكرم والنبل والجمال

وصل لامرتين الى الارز الى أشهر ما جادت بهِ الطبيعة وتغنى بجمالهِ الكتاب المقدس والانبياء الذين كانوا يرون في الارز عدا القوة النباتية التي تجعله يعيش أبد الدهر، نفساً على شاكلة الغريزة في الحيوان والذكاء في الرجل فكانوا يعتبرون الارز الهاً اتخذ له شكل الشجر

على ان هذا الشجر يقلُّ قرناً فقرناً ففي الوقت الذي وصل فيه لامرتين اليه لم يبق منه غير سبع شجرات يرجع عهدها الى العصور الاولى

وفي شهر يوليو من كل سنة يصعد سكان بشري واهدن وما حواليهما الى الارز يسمعون القداس في ظلال الشجر. فما أجمل تلك الصلوات التي يرن صداها في تلك الغاب وما أجمل ذلك الهيكل المجاور للسماء. فاحب بالارز الخالد الذي ظل ويظل اجيالاً مختلفة من الناس كلها

تدعو الله وتصلي للعلي بلهجات وعقائد مختلفة على انها كلها تشيد بذكره في أعماله المجيدة وتمجده في مجالي الطبيعة التي تظهر قوته وعظمته

ولما وصل لامرتين الى الارز كان ذلك حوالي ١٤ ابريل والشتاء لم يكد فقد يختفي فكان من الصعب جداً على لامرتين وحاشيته ان يقتربوا منه فظفروا مع الجهد الذي بذلوه على بعد ٥٠٠ او ٦٠٠ خطوة فلم يستطع ان يمس بيده بقايا الطبيعة والدهور قد حالت دون ذلك وحالت

كنت اودُّ ان اركبكم أيها السادة في هذا العلاء الالهي غير اني وعدتكم ان ارجع معكم الى بعلبك فلنرجع اذن الى ٢٩ مارس حيث كان لامرتين يجتاز قمم صنين الى ان انتهى بعد جهد ولأى الى قفر عين شمس

يمتد من ناحية الافق مجموعة خرب صفر القت عليها الشمس الغاربة حلتها الذهبية هي بعلبك المحبوبة بجدرانها الضخمة واعمدتها العظيمة

يعجز قلم الكاتب وريشة المصور ان يصف تأثير هذا في نفس مشاهده

في مجرى النهر بين الحقول في جذوع الشجر الباقية على الزمن في كتل الجرانيت الاحمر او الاغبر في الرخام الابيض في الحجر الاصفر في قطع الاعمدة والتيجان المحلاة بالبارز من النقوش في القبب والعقود والقواعد في التماثيل والاعمدة التي رماها عصف الرياح والزلازل كل هذا يتمثل المشاهد بقايا مملكة عظيمة هي صدى الماضي وعلامة الفناء

جن الليل وضرب بمخيله ورجله وبدا القمر في السماء الصافية من ذلك المكان فكان لذلك السكون المخيم اكبر الاثر في نفس لامرتين وهو بين انقاض عالم يخيم عليه الموت والفناء بين انقاض هي شهود خرس على ماض مجهول بين انقاض لا تجاريها اي انقاض اخرى في العالم بالقوة والعظمة لقد اوحت هذه الخرب الى لامرتين بقصائد قوية عظيمة توازي عظمتها وقد ختم احداها بقوله يتحدث عن نفسه

«لا اسمع وانا جالس على حافة هذه الهوة العميقة الا صفير الرياح يسمعني الهزء والسخرية لقد اثقل الاسى كاهلي واحنى رأسي وضاق به صدري فأصبحت وانا لا فكر لي ولا قلب »

ايها السادة : ان هذه الابيات التي ختم بها لامرتين قصيدته ما هي الا نفثات شاعر لان لامرتين كان عليه ان يحيا ليذهب من سورية الى القسطنطينية ليذهب من قلبه الى فكره ففي سورية خلف قلبه والقسطنطينية خلف بفكره . لقد عاش لامرتين بعد ذلك عمراً طويلاً وكان يحلم دائماً وهو رجل الدولة والخطيب المصقع في تحقيق امانيّ قلبه وفكره

ولا اخال الا ان لامرتين لو عاش حتى هذه الايام لكان مغتبطاً مسروراً اذ يرى ان ما كان يضمره لبنان من آمال وأمان قد تحقق واذ يثبت لهُ ان الشعب اللبناني فيما بذله من صبر وجهد وتضحية قد كوفئ او سيكافأ — على ما نتمناه لهُ — باستقلال مجيد سعيد تام

جرازيلا

للشاعر الفرنسي الفرنسي دي لامرتين

جرازيلا فتاة ايطالية من سكان نابولي كان أهلها صيادي سمك فقطن في منزلهم الفونس دي لامرتين في اثناء سياحته في البلاد الايطالية. وكان وقتئذٍ في الثامنة عشرة من عمره فأحبته الفتاة حباً تملك كل مشاعرها وتسلل الى سويداء قلبها. لكنه سلاها عندما غادر ايطاليا عائداً الى موطنه تلبية لنداء أمه. فماتت تلك العاشقة حزناً وكمداً بعد شهور من فراقه. حتى اذا كانت سنة ١٨٣٠ اي بعد الحادثة باثنتين وعشرين سنة تذكرها وهو في احدى كنائس باريس يحضر جنازة فتاة تماثلها سناً. فبكى بكاء مراً. وتمثل له غدره وخيانته لتلك التي تمثلها صدره وبعاده. فيمم صوب ايطاليا وزار نابولي باحثاً عن قبر تلك التي ذهبت ضحية على مذبح اثمه حتى تمرغ عليه في مكان موحش بقلبه على أديم وبلل ثراه بدموعه مستغفراً عما جناه. وشم هذه المرثية التي هي بلسم للجرح. وندى للقلب. وعطر الزهور التي نبتت على ارماس المحبين

على شاطئ البحر المتوسط، الذي ترتسم على صفحاته مباني سورانت[1]، حيث الامواج الزرق تنبسط تحت اقدام شجر البرتقال، قبالة سياج الأجمة العطر، اقيم نصب صغير، لا رواء له ولا بهاء، قد غطته الاعشاب، ووارته الزهور، فاختفى تحت اوراقها اسم الراقدة الذي لم يفكر فيه احد، ولم يردده صدى

فاذا ما مرّ عابر سبيل، واستوقفته عاطفة رأفة وحنان، فأزاح بيده النباتات، مستطلعاً طلع ساكنة الرمس، استعبرت عيناه، وفاضت مدامعه، فكفكف عبراته، وعاود سيره آسفاً حزيناً، وهو يتمتم: ستة عشر ربيعاً! لم تستتمها! لقد ماتت قبل اوانها

اجل! ستة عشر ربيعاً غير كاملة، عمرٌ قصير الامد، لكنه لم يسطع البتة على جبهة اجمل من هذه وابدع، ولم ينعكس بهاء هذا الشاطئ المحرق، في عين اشد صبابة ولا اكثر هياماً، اني اراها وحدي، كما تركتها الذكرى حية في النفس، حيث يبقى الشيء دون ان تناله يد الموت، اراها حيةً كما كانت في تلك الساعة، والفُلك يسري بنا على متن الامواج،

---

(١) مدينة في ايطاليا على خليج نابولي

وقد علق نظرها بنظري ، فتكلمت عيناها ، وصمتت شفتاها ، مخافة ان يقطع الكلام لذيذ هنائنا وشعرها الاسود الفاحم ، مستسلم الى الهواء يحمله ويداعبه ، وظل الشراعيتين على خدها الجوري[1] ، وهي تستنشق عبير النسيم العليل ، فأشارت بيمناها الوردي الى القمر المتلألىء ، ثم الى زبد الماء الفضي ، وصاحت بتدلل : « لماذا كل شيء يسطع في الفضاء وفي نفسي ، فهذا الحقل السماوي ، ذو البنوذ الازرق السنجوفي ، المنزرع شهباً منيرة ، وهذا الرمل الذهبي حيث تتكسر الامواج ، وهذه الجبال التي ترتعد قننها في اقصى الفضاء ، وهذه الخلجان المتوجة بالغابات الهادئة الساكنة ، وهذه الاضواء على الساحل ، والاغاني على الامواج لم تهيج قط حواسي ، وتملأها لذة مبهمة ، وحبوراً خفيًّا ، مثلما فعلته الآن

« لماذا لم يذهب بي التأمل فيما مضى مذهبه الآن ؟ فهل اعترى حياتي حدثٌ يرقق من شعوري ، ويلطف من احساسي ؟ وهل يزغ في فؤادي كوكب ، مثل ذلك البازغ في السماء ؟ »

***

وكانت عينها صافية نقية ، وشفتها طاهرة عفة ، وجبناها لم يكونا ليحولا بين نظرها المملوء عفافاً وقدساً ، وكانت السماء تغمر نفسها بالضياء ، وروحها اشبه بتلك البحيرة التي لا تجعّد سطحها نسمةٌ ، غير نسمة الشعوف والنقاء ، وجبينها البديع لم يصل اليه الهم ليسمّه بميسمه ، لكل شيء فيها بطرٌ مرحٌ ، وهذا الابتسام الباقه ، الذي مات بعدئذ بحزن على فمها كان دائماً طافياً على شفتيها المنفرجتين كأنه قوس قزح نقيٌّ ، في يوم بهيٍّ ذي سناء ، وذلك الوجه الفتان لم يستره ظل ، ولم يحجبه حزن ، لان هذا الشعاع لم ينقد بعد خلال الغمام

وكان صوتها الذي يحاكي رنين اكواب الفضة ، صدى نقيًّا صافياً لنفسها الطفلة ، وموسيقى لتلك الروح ، تنشد على قيثارتها اغاني العواطف ، فتسبي العقول ، وتأسر الافئدة وتهيج حتى الهواء الذي تسعد على جناحيه

لقد كانت صورتي هي الاولى التي حفرت في قلبها ، فتقبلتها كما تتقبل العين اول شعاع من ضوء النهار ، فتغدو لا ترى غير ذلك النور الذي فاض عليها ، فملأها من سنائه وضيائه ، فعندما احبتني ، اصبح العالم كله لها حبًّا وسعادة ، فامتزجت بي ، وامتزجت بها ، فنبذت الماضي ، واشاحت بوجهها عن المستقبل ، ولم تعد تهتم إلا بالساعة التي هي فيها ، فتسلاق من تلاقينا الليلي هو كل مُنى نفسها ، بل هو حياتها وروحها وريحانها ، فكانت تستسلم الى الطبيعة الهادئة ، فتبتسم لها هذه ، عند ما تقوم بصلاتها الحارة الورعة ، فتقصد صوب الهيكل المقدس ، حاملة بيدٍ ازاهير التقدمة ، وقابضة بالاخرى على يدي ، فأسير معها طائعاً كطفل ، حتى اقف في أسفل الدرج ، فتسر اليَّ بصوتها الملائكي : « صلّ معي : لترتفع

(١) نسبة الى الورد الجوري

تسانا الى السماء ، لاني لا أصبو الى جنة الخلد ، ولا « اتمناها، اذا كانت خلواً منك »

***

غاب شخصي فرتعد كل شيء في اعماق تلك النفس ، وانطفأت تلك الشعلة المتصعدة طيبها المائت الى السماء، وتفعل فيها دون ان يرجى له عود ، ذهبت تلك الحبيبة ولم تضن فؤادها بالتعلة والأمل، ذهبت ولم تنازع الآلام حياتها ، بل شربت كأس المرارة والاحزان نهلة واحدة ، فغرقت قلبها في اول دمعة ذرفتها عينها ، فماتت ذلك الطائر الذي اذا حن ليلة ، لوى عنقه تحت جناحه ونام ، فالتحفت باليأس الصامت ونامت هي ايضاً نومها الابدي، ولكن قبل ان يزور غسق حياتها ، وتبدو طلائع ليلها

نامت خمس عشرة سنة في مرقدها الصلصالي . ولا احد يسبل بدموعه ثرى ملجأها الأخير ، فالنسيان السريع الذي هو كفن الميت الثاني ، قد غطى الممر المؤدي الى تلك الحفرة ، فليس من يزور ذلك الحجر الذي تحت نقوشه يد الزمن ، لا احد يفكر بها ويصلي لاجلها ، غير ذهني الذي علقت به كل ذكريات الماضي، اذا ما صعدت على امواج ايامي السالفة ، وساءلت نفسي عن الذين رحلوا من هذه الفانية ، وطفقت عيناي على آثارهم العزيزة ، وبكيت في سماء حياتي ، على نجوم عدة غارت وخبا ضياؤها ، كانت تلك الحبيبة اول الكواكب التي اندب خسوفها ، مع ان ضوءها الهادىء اللطيف ، لم يزل ينير قلبي بنور التقوى والخشوع

***

نسيها الناس طراً ، لكن الطبيعة لم تنسها ، فقد حلت قبرها بشجيرة شائكة صفراء الورق ، يابسة العروق، امتصت عصارتها رياح البحار ، واوقدت نموها حرارة الشمس فدبت على الصخر دبيباً، دون أن ترفع رأسها ، فأشبهت تلك الحسرة الميتة ، التي تتسلل الى القلب وتتأصل فيه . ولا تزال تتغلغل في صميمه حتى تأتي عليه

فاذا ما اقبل الربيع ، وتبسمت الطبيعة . نبتت على ذيّاك القبر زهرة بيضاء ، كأنها الثلج في نقائها ونصوعها ، فتحاصرها الريح ، وتضيق عليها من كل جانب ، ولا يدور الفلك دورة او دورتين ، حتى تنتثر اوراقها ، قبل ان يعطر أريجها الفضاء

فما اشبه هذه الزهرة بساكنة الرمس ، التي هصر غصنها الغض ، قبل ان تبهج الحياة فؤادها ، وتسرها بنيل المنى وإدراك الأماني . . . . ألا بالله خبريني أيتها الزهرة الذابلة ، هل لا يوجد مكان غير دنيانا ، تزدهر فيه الاشياء ازدهاراً ، لا يصيبه ذبول ، ولا يعتريه أفول ؟ ؟ ؟

القاهرة جورج نيقولاوس

القضايا الاجتماعية الكبرى

في العالم العربي

للدكتور عبد الرحمن شهبندر

معرض المذاهب السياسية

الاشتراكية والبولشفية

﴿ الاشتراكية ﴾: اول ما وضعت هذه الكلمة في معاجم اللغات الاوربية حوالي سنة ١٨٣٥ وضعها (روبرت اون) المتوفى سنة ١٨٥٨ وتتجلى البواعث التي ادت الى الاشتراكية بعض التجلي بالاشارة الى حياة هذا الرجل الانكليزي الغريب في اطواره والى الاعمال الفذة الثمينة التي قام بها . فقد كان من كبار رجال الاعمال ولهُ محدثاتٌ جمّة في صناعة غزل القطن تشف عن قدرة وذكاء متوقد ، وجمع ثروة لا بأس بها ، وقد رأى بام العين الشقاء المخيم على العمال في معمله في (مانشستر) وضياع شطر عظيم من حياتهم عبثاً فاخذ على عاتقه اصلاح حالهم وتحسين العلائق بينهم وبين مخدوميهم ، ومن سنة ١٨٠٠ الى سنة ١٨٢٠ ادخل من الاصلاحات على من كان في خدمته من العمال في معمله في (نيولنارك) وعددهم الفان ما يعد عجباً عجاباً . قال الكاتب الشهير ج . ولز[1] عنه انهُ خفض ساعات العمل تخفيضاً محسوساً وابطل تشغيل الاطفال وحسّن البناء من الوجهة الصحية وزاد في مصارف العمال وعمّر بيوتهم العلمي العملي وخصص لهم راتباً يتقاضونهُ في اوقات البطالة وكساد الاسواق وانشأ المدارس الحديثة وذهب الى ان النساء والرجال هم ابناء البيئة التهذيبية التي يعيشون فيها ، ثم بفضل جهوده والدعاية الواسعة النطاق التي بثها اصدر البرلمان الانكليزي في سنة ١٨١٩ القانون المشهور باسم « قانون المصانع » وبموجبهِ لا يجوز لاصحاب المعامل ان يستخدموا الاطفال من سن التاسعة فما دون ولا ان تتجاوز ساعات العمل الاثنتي عشرة في اليوم ، ولكن اهل الجمود من اعداء التجديد والذين لا يحسبون حساباً للفقراء والذين لهم مصالح يخشون عليها من البدع التي ادخلها (اون) — ان هؤلاء جميعاً تربصوا بهِ واعدوا العدة لمحاربتهِ فلم يجدوا خيراً من اخذه بالآراء الحرة التي يدين بها مما يخالف النصرانية وعقائدها فحملوا عليهِ حملة كنسية قروسطية كان لها في تلك الايام السحيقة أثر سيء عليهِ

(1) The Outline of History p. 109

ومن الطف انتقاداته للعملة وتقلب اسعارها قوله اننا ما دمنا نؤدي ثمناً على الاعمال بعملة متقلبة فأملنا بالحصول على العدالة الاقتصادية لن يزيد على املنا بالحصول على ذنب زيدها مضبوطة في حين تتقلب ساعاتها تقلب الحرباء

ومن تجاربه انهُ حاول اصدار اوراق مالية تقدر قيمتها بساعات العمل لعقيدته ان العمل هو القيمة الثابتة ، فهنالك ورقة مالية بساعة واحدة من العمل وورقة بخمس ساعات وورقة بعشرين ساعة . وقد تولدت من تأثيره المباشر وآرائهِ المبتكرة النقابات التي تملأ الاوساط الاقتصادية في عصرنا هذا وربما بلغ اعضاؤها ثلاثين مليوناً او اربعين مليوناً من الخلق

وهذه الاشتراكية التي وضع اساسها العملي (روبرت اون) هي اشتراكية سامية علقت جميع آمالها على الذوق السليم في الناس بان ينهضوا ويعيدوا تنظيم المجتمع ويصلحوا ما فيهِ من عيوب سياسية واقتصادية واجتماعية . فهذا كما يرى القارئ مخالف لاشتراكية (ماركس) وما فيها من الاعتماد التام على الكره المتغلغل في صدور العماليك لاهتضام حقوقهم ولتجردهم من الاموال والاملاك واتخاذ هذا الكره قوة عنيفة دافعة لاحداث الانقلاب الاشتراكي المنشود . فهذه الاشتراكية العنيفة هي اساس الشيوعية التي تهدد النظم الحاضرة . وقد نجح (ماركس) في اذكاء نار الثورة الاجتماعية حتى ان تعاليمه ادت الى تأليف عصبة من العمال من انحاء الارض وهي العصبة التي تسمى (الدولية الاولى) ويقال بالاجمال ان الصراع العنيف بين الاشتراكيتين — اشتراكية (اون) واشتراكية (ماركس)— انتهى بتغلب هذه على تلك كما هو ظاهر من ميل الاشتراكيين في انحاء الارض الى تنظيم حركة العمال لاتخاذها كما يدعون سلاحاً ماضياً يتقدون بهِ النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية من ايدي محتكريها من اهل التملك الخاص

وتفرق الاشتراكية الحديثة تفريقاً جليًّا بين التملك الشخصي والتملك الجمهوري ، ومدار حركتها ان تكون الارض وجميع الوسائل الطبيعية للانتاج والنقل والتوزيع بيد الجمهور ، وان يكون للفرد في ضمن هذه الحدود الشيء الكثير من التملك الشخصي والحرية الذاتية الطليقة

ولكن ليت شعري كما قال (ولز) من هو الجمهور الذي يستولي على هذه الثروة المشتركة؟ أيكون مؤلفاً من الملك وحاشيته ام من اهل المدينة ، من اهل المقاطعة ام من اهل المملكة من الامة ام من الانسانية جمعاء ؟ وهنا نجد الاشتراكية صامتة لا تحير جواباً . ثم اذا انكر الاشتراكيون على الفرد ان يدعي حق التصرف في منجم من المناجم او في قطعة من الارض فكيف يسمحون لامة من الامم ان تحتكر المناجم او طرق المواصلات او الثروة الطبيعية في الارض التي تقيم بها وتمنع منها سائر العالم ؟

اما الشيوعية فهي الغاء التملك بتاتاً اي جعل جميع الاشياء ملك جميع الاشخاص

﴿ البولشفية ﴾ : ابتدأت الثورة الروسية في سنة ١٩١٧ بتفكك الجيش الروسي في الجبهة

الالمانية ورجوع افراده الى القرى والمدن يحرقون وينهبون ويقطعون السابلة الى ان ازل التبصر الضعيف عن عرش آل رومانوف وتبوأت الحكومة المؤقتة مقعدها في الحكم وعلى رأسها (كرنسكي) الرجل الاشتراكي الديموقراطي الوهمي الهستيري ولكن ما عتم ان اكتسحه البولشفيك بزعامة (نيقولاي لنين) فقبض هذا على ازمة الامور بيد من حديد ونشر على حكومات العالم منشوراً يعد اعظم تحدٍ حازم ظهر منذ سنة ١٧٨٩ الى اليوم وفيه الدعوة الى فكرة صريحة في الحكم لم تكن معهودة من قبل

والواقع ان البولشفية او الشيوعية هي نظرية (ماركس) مفسرة تفسيراً ينطبق على الافكار والاحوال في القرن العشرين ، ومع ما كان عليه تلاميذ هذا الرجل الثائر من الاتفاق على أساس تعاليمه الاقتصادية فقد اختلفوا جد الاختلاف على مضامين هذه التعاليم العملية والسياسية. فالحزب الاشتراكي الديموقراطي الجرماني الذي يتفكك اليوم أمام الحملات الهتلرية الوطنية ومن حذا حذوه من الفرق ومنهم المنشفيك الروس اشتغلوا بتنظيم الأحزاب الاشتراكية البرلمانية واستخدموها عند سنوح الفرصة لتأييد الاصلاحات الاجتماعية ، على ان تكون الغاية المنشودة الانتصار على الدولة انتصاراً تدريجيًّا وتحويل الرأسمالية على مهل الى الاشتراكية وذلك باتخاذ اجراآت تشريعية تبدل شكل الحياة في المجتمع شيئاً فشيئاً . لكن البولشفيك عرضوا تفسيراً آخر لتعاليم (ماركس) خلاصته ان الدولة الرأسمالية لا يمكن انقاذها من القابضين على زمامها واستخدامها في المصالح الاشتراكية فلا بدَّ من سحقها اولاً ثم يتوجب على العمال بعد تتويج هامتهم باكاليل الظفر في هذا الصراع العنيف ان يخلقوا في محلها غداة ثورتهم دولة جديدة مختلفة في نوعها وروحها تكون سلماً لخدمة الاغراض البعيدة التي ينشدونها

بيد ان هذه الدولة الجديدة لا يمكن ان تكون في حدّ ذاتها اشتراكية او شيوعية بالمعنى التام لان فكرة «دولة اشتراكية» في نظر الرجل الاشتراكي القح هي فكرة يناقض بعضها بعضاً ، فالدولة في نظره اداة تستولي عليها طبقة من الناس كالطبقة الرأسمالية لارغام طبقة أخرى كطبقة العمال. ولكن متى توطدت اركان الاشتراكية في العالم فارغام طبقة لاخرى يتلاشى من الوجود لانه لا تبقى ثمة طبقات بالكلية ، بل الذي يستحدث هو اداة لتسيير أمور الناس تدعى «الآلة الادارية»

غير ان الانتقال الى الشيوعية من بعد سحق الرأسمالية لا يتم دفعة واحدة بل لا بد من فترة تكون فيها السلطة قاهرة بيد « الصعاليك » فان هؤلاء مضطرون في الدفاع عن حوزتهم الى تنظيم صفوفهم ومحاربة « الرجعي » في بلادهم والقضاء على الرأسماليين قضاء مبرماً لا تقوم لهم قائمة من بعده واستئصال شأفة الطبقة التي كانت حاكمة بعد تجريدها من مالها ثم يأخذون في التمرن على المعيشة في نظام ليس فيه طبقات الى ان يكتسبوا العادات الاجتماعية والاشكال النظامية الضرورية لتسيير المجتمع الخالي من الطبقات. وتعرف هذه الفترة بفترة « استبداد

الصماليك انتاهر » وهذه الجملة هي مما كتبه (ماركس) نفسه وتنبأ به ويقول الشيوعيون ان الروسيا لا تزال تجتاز هذه المحنة منذ سنة ١٩١٧ الى اليوم

وعلى القارىء ألا ينسى ان المثل الاعلى الذي ينشده الشيوعيون من كل الانقلاب الذي يحدثونه هو عند التحليل النهائي لا يختلف في شيء عن الاشتراكيين الا في هذه الفترة الاستبدادية الحاسمة ، فالشيوعيون والاشتراكيون متفقون على ان يكون التدرج هو من الحالة الرأسمالية التي نحن عليها الى الحالة الاشتراكية المنشودة بيد ان اولئك يطلبون ان يكون الانفصال بين الحالتين حاسماً مطلقاً وان يبنى الجديد من أسس جديدة مباشرة في بيئة مستعدة قد هيأها العاملون للعقول بالعناية التامة وان يكون بناؤها بايدي دولة تتمتع بسلطان قاهر لا حد له وهي تعمل باسم طبقة الصماليك ثم تزول من الوجود حالما يصبح الاصلاح الاشتراكي وطيد الاركان . وقصارى القول ان الشيوعيين يذهبون الى وجوب هذه الفترة الانتقالية بين سقوط الرأسمالية وقيام الاشتراكية تكون فيها طبقة الصماليك ذات سلطان قاهر تتوسل الى تحقيق غايتها العظمى بدولة من صنع يدها

على ان الطبقة بمجموع افرادها لا تستطيع ان تملي ارادتها ولا ان تدير شؤون الحكم مباشرة بل لا بدَّ لها من وسيط يقف بينها وبين القوة الاجرائية يعني لا بدَّ لها من رأي عام منظم يمثل طبقة الصماليك ويعبر عن افكارها ، وهذا والحق يقال هو وظيفة (الحزب الشيوعي) المفتَّح الابواب لكل سلوك يشعر بطبقته ويظهر الاستعداد الكافي للاشتراك في الاعمال والتبعات الملقاة على عاتق الحكومة المستجدة . وما أشبه هذا الحزب الشيوعي بجمعية (الاتحاد والترقي) العثمانية وسيطرة مركزها العام على الدولة وعلى مجلس النواب . ويجري الدستور (السوفيتي) على خلاف القواعد الاساسية في الديموقراطيات النيابية — يعني ان حقوق الانتخاب وان كانت متسعة الا انها حقوق محصورة في الطبقة العاملة ومحرَّمة على سائر الافراد التابعين للطبقات المستثمرة ، ويعد من هذه الطبقات المستثمرة اهل التجارات الخاصة والفلاحون الذين يستخدمون الاطباء والمحامون . والقاعدة التي يتمشى عليها الانتخاب ان ليس « لكل فرد واحد صوت واحد » بل « لكل عامل واحد صوت واحد » تحاشياً من ان يتمتع الطفيليون والذين هم عبء على المجتمع بمثل هذا الحق الغالي . ولما كان الاقتراع في روسيا السوفيتية يجري علناً او «على المكشوف » فلا مجال كثيراً للرأي الفردي في انتقاء الافراد بل القائمة المبسطرة التي لا ترد هي قائمة الحزب الشيوعي . ويراعى في التمثيل جانب الصناع من أهل المدن دائماً لئلا يغرقهم سواد الفلاحين الذين يملأون السهل والجبل

وفي نظر الروس الحمر ان الاجراآت المتخذة لنيل عروش التجار والفلاحين المتخومين ، وان الحملة المنظمة لجعل الزراعة مشتركة ، وان مشروع السنوات الخمس لتقوية الصناعة — وقد تجدَّد

حديثاً — كل ذلك خطوات ثابتة في الطريق الموصلة الى النظام الاشتراكي، ومتى توطد هذا النظام تصبح حكومة الطبقات عملاً لاغياً لان الاشتراكية تكون قد قضت على وجود الطبقات نفسها

ولا بدّ لنا هنا من تنبيه القارىء الى أن الثورة الروسية في نظر الشيوعيين ليست نهضة وطنية محلية مستقلة غايتها احداث مجتمع اشتراكي في روسيا فقط وانما هي جزء من انقلاب عالمي لا تكون انتصاراتها وطيدة الاركان من غير تحقيقه والحصول عليه . وستبقى الدولة الطبقية في روسيا — وهي دولة الصعاليك — مادامت الرأسمالية في الخارج تهدد نظام «الاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية» بخطر الرجعى او ما دام في اية ناحية من انحاء الارض جزء من طبقة الصعاليك ينتظر ساعة الفرج ويوم التحرير . لاجرم ان زوال الدولة في البلاد الروسية تأخر الى اجل غير مسمى . وما العلائق السلمية التي عقدها الاتحاد السوفيتي بالعالم الخارجي الرأسمالي سوى انواع من الهدنة المؤقتة في حرب طبقية ستنتهي فقط في مجتمع تطمئن فيه الاشتراكية وتأمن على حياتها من الاخطار

ولا يألو الحزب الشيوعي جهداً منذ الآن في بناء الهيئات المتنوعة كالمتحدات او المؤسسات القائمة على الادارة الاقتصادية حتى اذا حان الزمن اصبحت عاملة من نفسها مكتفية بطريقتها من غير حاجة الى ادارة سياسية تشرف عليها . ومن هذه الهيئات ما يسمى «ترست» اي المتحدات التي تدير صناعات الدولة ومنها «اللجان التصميمية» وهي التي تضع الخطط العملية ومنها «المجالس الادارية» وهي التي تنظم الحياة الاقتصادية ، ومنها المتحدات التجارية والجمعيات التعاونية وهي النقابات ذات المقام المعترف به في ادارة الشؤون ، فهذه الهيئات جميعاً هي ادوات الحكم الاجتماعي والغاية منها ان تحل محل الدولة الطبقية وادارة الصعاليك القاهرة وذلك عند ما تحل الساعة التي تختلف فيها الادارة الاقتصادية الحكومة السياسية

هذه بالاجمال هي الطريقة السوفيتية وما فيها من التقسيم الثنائي المبني على تمثيل الصعاليك تمثيلاً مزدوجاً في الادارة ، الواحد باعتبارهم الطبقة الغالبة في المجالس السوفيتية في المديريات والمقاطعات وفي مؤتمر الدولة العام والثاني باعتبارهم الطبقة الحاكمة في الحزب الشيوعي وهو مؤلف من النخبة المنتخبة من افرادهم ولهُ فروع منتشرة في طول البلاد وعرضها وما اشبه هذه الحالة بالحالة التي كانت عليها الدولة العثمانية عقب ثورة سنة ١٩٠٨ كما قلنا يوم تربع الاتحاديون على دست الحكم فكانت المجالس على انواعها — مجالس الادارة ومجالس الولايات ومجلس المبعوثان — مؤلفة منهم او من اكثريتهم من جهة وكان المركز العام للاتحاد والترقي من جهة اخرى مهيمناً على الحكومة مباشرة وهو يعين لها السياسة التي تسير عليها . ووراء ذلك قوة ثالثة هي قوة التنظيم الاقتصادي من نقابات ومتحدات ومشروعها الاقتصادي المستمدة من تنفيذه وهو مشروع السنوات الخمس ثم الايمان المنتهب بالقوة الكامنة في الشعب

وامكان استنهاضها الى العمل الدائم الذي لا ينضب

فهذا السعي لاستمالة الصعاليك واستثارة حماستهم وتوجيه ارادتهم شطر هذا النظام المستحدث وتأييده ، ثم هذا الجد في حض الناس على العمل وعلى الصراع لتثبيت المجتمع الجديد وتوثيق عراه واحداث جماعة مؤلفة من وطنيين على اساس التساوي بدلاً من وطنيين داخيين فقط — هذا كله هو الجوهر في الشيوعية اكثر من ذلك النظام الدستوري الجاف المطبق في الدولة الروسية

اما مشروع السنوات الخمس فقد ابتدأ في منتصف الليل من اول سنة ١٩٢٨ وانتهى في منتصف الليل من اول سنة ١٩٣٣ والغاية منه انعاش الصناعة والتجارة بتسخير ابناء البلاد في بذل الجهود مضاعفة على الانتاج والتوزيع وعمارة المباني العامة وفتح الطرق وما اشبه ذلك من الاعمال العمومية — يعني ان الحكومة السوفيتية ارادت الاسراع في تنظيم البلاد تنظيماً صناعيًّا اقتصاديًّا على حساب المعيشة العامة وانقاص مستواها فتحمل الروس ولا سيما العمال منهم في هذا السبيل ما كادت تنوء به ظهورهم لولا العقيدة المتأصلة في النفوس من ان ايمان الصعاليك يزحزح الجبال الراسيات . وذكرت الصحف ان البلاشفة لم ينجزوا مما وعدوا في هذا المشروع الذي جددوه سوى سبعين في المائة وان هم اعلنوا في مشارق الارض ومغاربها ان نجاحهم كان مائة في المائة . وهم لم يعدموا مع ذلك منتقداً مثل المستر (بتريك مرفي) يقول لهم في (الصنداي اكسبرس) مستهزئاً ان روسيا السوفيتية « حولت صناعتها من فوضى متفرقة عقيمة الى فوضى مركزية منتجة وحولت حياة سكانها من عبودية يتخبطون فيها كالاعمى الى رق ميكانيكي تحت اشراف ، وقد انجزت في تلك السنوات اعمالاً جليلة القدر ولكن تحت الجلد بالسياط . ويعجب المرء بتلك الاعمال اعجابه بالاهرام ولكنه يكره في نفس الوقت ان يسمع الخبر المحض عن طريقة بنائها »

ولا يفوتني في الختام ان اوجه انظار النخبة المنتخبة في العالم العربي ولا سيما الشبيبة منهم الى القوة الهائلة التي يستطيع التنظيم الدقيق مع الايمان الصادق ان يقوم بها ، وهذا التنظيم ظاهر في الفاشستية كما هو ظاهر في النازية ولكنني اعتقد انهُ كان في البولشفية اتم واجراً واكثر نشاطاً ، يدلك على ذلك ان الحزب الشيوعي في روسيا ما ادعى قط ان انصاره يزيدون على مليون ، والواقع ان عدد اعضائه لم يتجاوز في سنة ١٩٢٥ ربع مليون . « ولما كان هذا الحزب المنظم — على صغره — حازماً ومخلصاً ولم يوجد في جميع تلك البلاد المنكبكة العرى حزب آخر فيه من الشرف او الحزم او الكفاءة ما يمكنهُ ان يعتمد له أوان ينازعهُ فقد تمكن من الاستيلاء على بطرسبرج وموسكو ومعظم المدن الروسية وان يستميل اليه بحارة لاسطول الذين فتكوا بمعظم ضباطهم وان يصبح الأمر الناهي في الروسيا جميعاً »[1]

(1) Outline of History p 694

الاعضاء الآثرية

في جسم الحيوان والانسان

ان جسم الانسان مؤلف ، كآية آلة ، من اجزاء كثيرة تعمل معاً لتحقيق غرض معيَّن . اما في جسم الحيوان فتعرف هذه الاجزاء بالاعضاء . ولكل عضو عمل خاصّ فالعين واليد والقلب ثلاثة اعضاء في جسم الانسان ، الاول للنظر والثاني للقبض والثالث لدفع الدم في الجسم . والاجزاء في الآلة تتفاضل من حيث خطرها . كذلك الاعضاء في الجسم ، فبعضها اعظم خطراً من غيرها في عمل الجسم الحيّ

وقد يكون في الآلة «سيور» و«مسامير» و«عجلات» لا عمل لها او ان عملها ثانوي . وجسم الحيوان كذلك ، قد تجد فيه اعضاء لا عمل لها ، ولا هي ضرورية للحياة ، فقد تقطع ذراع رجل او يده ، ولكنهُ يظلُّ حيًّا ، ويلعب التنس بذراعٍ واحدة او يقذف واحدة على ما رأى كاتب هذه السطور بامّ عينيهِ . وقد تزال احد الكليتين فيتعود الجسم الاكتفاء بواحدة ، فتكبر حجماً وتعمل عمل الكليتين . وما يصدق على الكليتين يصدق بوجهٍ عام على الاعضاء المزدوجة ، كالرئتين والخصيتين والمبيضين ، بل قد تنزع بعض الاعضاء الفردة كالطحال ، او المعدة من دون ان يموت الجسم الذي نزعت منهُ . ذلك ان عملها تقوم بهِ اعضاء اخرى ، وتمضي الحياة في سبيلها من دونها

ولكن ثمة أعضاء لا ندحة للجسم الحيّ عنها ، فاذا فقدها فقد الحياة . فليس بين الحيوانات العليا حيوان يستطيع ان يبقى حيًّا بعد انتزاع قلبهِ من جسمه ، وكلٌّ منها يحتاج على الاقل الى كلية واحدة ورئةٍ واحدة . بل ان الغدة الكلوية (adrenal) وهي فصان صغيران فوق الكليتين ، اذا ازيلت زالت معها الحياة من الجسم . فالاعضاء التي لا يستغني عنها الجسم الحيّ تعرف بالاعضاء الحيوية . وعليهِ ترى ان الاعضاء تتفاوت من حيث صلتها بالحياة ، فبعضها يستغنى عنهُ وبعضها لا يستغنى عنهُ

والاعضاء الآثرية لا فائدة منها ، ولا هي لازمة لاصحابها . وليس بالامر السهل ان تثبت بالبرهان ان عضواً من الاعضاء هو من هذا القبيل . لان هذا البرهان يقتضي امرين . اما الاول فممكنٌ في الغالب وهو ازالة العضو من الجسم من دون ان يتعرَّض الجسم بازالتهِ للموت . اما الثاني وهو اثباتُ ان لا عمل لعضو ما وهو في الجسم ، فينطوي على صعوبة كبيرة ، لان

علمنا لا يشمل كلَّ شيء ، وقد نعتقد ان عضواً ما لا وظيفة لهُ ، ويكون الباعث على اعتقادنا جهلنا. ومع ذلك فقد ثبت للباحثين وجود طائفة من الاعضاء الأثرية في كل طوائف الحيوان

***

اكثر الحشرات قادرة على الطيران، ولها زوج من الاجنحة او اكثر من زوج لهذا الغرض. ولكن بعض الحشرات فيها اجنحة لا تجني منها فائدة ما . فذكر عث الفجر Gipsy moth لهُ اجنحة ويطير بها كسائر الفراش. اما الانثى فلها جناحان ولكنها لا تطير . فأنها لدى خروجها من الشرنقة تزحف مسافة قصيرة وتلتقي ببعلها ، ولكنها لا تطير . فجناحاها لا عمل لها . فهما من الاعضاء الأثرية حقًّا . وفي بعض الحشرات نجد ان الاجنحة صغيرة علاوة على انها لا تستعمل . ففي فصيلة الخلقيديدة (فصيلة من الحشرات وتعرف بالذبان النحامي) حشرات صغيرة جدًّا وتتطفل على غيرها وهي مثل بليغ على ما تقدم. وقد وصف الاستاذ هوبلر من عهد قريب نملةً استرالية جناحا انثاها نصف الجناحين السويين ، ولا عملَ لهما . فهذان الجناحان من الاعضاء الأثرية

ثم ان العيون في بعض حيوانات الكهوف من الاعضاء الأثرية. ففي بعض أسماك الكهوف نجد العيون اجساماً كروية صغيرة مختفية تحت الجلد ، ولا عمل لها على الاطلاق . ومن هذا القبيل عيون بعض اصناف السرطان والحشرات والعناكب

والمشهور ان الحيّات زواحف لا قوائم لها . ولكن الاصلة (وهي جنس من الثعابين كبير جدًّا وموطنهُ افريقية والهند) لها اثرا قائمتين على جانبي مؤخرها ، وليس هذان الأثران في الجلد الخارجي فقط بل هما عظام متصلة بهيكل الجسم اتصالاً يدلُّ على انهما اثر قائمتين خلفيتين لا ريب فيهما . ثم ان الحيات تمتاز ببناء رئاتها بناءً خاصًّا . فمعظم الحيوانات التي تمكن على سطح الارض او في الهواء لها رئتان واحدة الى يمين الجسم وواحدة الى يساره . ولكن عدداً كبيراً من الافاعي ليس لهُ الاَّ رئة واحدة ، هي الرئة اليمنى ؛ واما الرئة اليسرى فليس منها الاَّ أثر تتروبسيط

وفي الطيور اعضاء أثرية عجيبة. فالمبيضان والقناتان اللتان تنقلان البيض من المبيضين الى الرحم متنقة النمو في معظم الحيوانات . فمبيض الى اليمين ومبيض الى اليسار . وقناة من كل من المبيضين الى الرحم . ولكن الطيور لا نجد فيها الاَّ المبيض الايسر والقناة اليسرى. اما المبيض الايمن وقناتهُ فلا يعدوان كونهما أثراً مما كانا في الزمن الماضي

حتى الاجنحة ، اعضاء أثرية ، في بعض الطيور . والاجنحة من الاعضاء التي تتميز بها الطيور عن غيرها من الحيوانات . ولكن الاجنحة في بعض الطيور العدّاءة كالنعامة والشِّبْنَم (وهو طائر كالنعامة موطنهُ استرالية وجزائر الهند نقلها المعلوف عن بوسط عن

انثى نملة ولها جناحان

انثى نملة اخرى ولها جناحان أثريان

اذن الانسان والخطوط تمثل العضلات الاثرية فيها وحواليها

الى اليمين : المبيض الايمن والقناة في الحمام . والى اليسار: المبيض الايسر والقناة اليسرى وهما ضامران

امام صفحة ١٦١

احد فارس : Cassowary لا تفيدها شيئاً لانها لا تستطيع ان ترتفع بها عن سطح الارض . واذا قابلت بين اجنحة الطيور العدائة واجنحة الطيور الطيارة وجدت الريش والعظم والعضل في اجنحة الاولى ضامرة وضعيفة اذا قيست بالريش والعظم والعضل في اجنحة الثانية . بل ان الجناح في طائر الكيوي (وهو من طيور زيلندة الجديدة) ضامر صغير حتى يختفي تحت الريش الذي يغطي جسم الطائر ، فيبدو هذا الطائر وكأنه ليس لهُ اجنحة على الاطلاق . فجناح «الكيوي» لا فائدة تجنى منهُ قط ، وهو مثل بليغ على الاعضاء الاثرية

***

فاذا انتقلنا بالبحث الى الحيوانات الثديية وجدنا امثلة كثيرة على الاعضاء الاثرية . فالحيتان حيوانات ثديية وليست من الاسماك كما يظن عادةً . وهي حيوانات ثديية لاءمت بينها وبين المعيشة في البحر . فهي حيوانات حارة الدم ، وتتقي تقلب الحرارة بطبقة من الدهن . ثم انها تطلع الى سطح الماء بين الفينة والفينة لكي تتنفس . ودورتها الدموية مركبة تركيباً عجيباً تمكنها من استعمال الاكسجين المخزون في دمها في خلال الغوص . اما انتقالها فيتم بحركة ذيلها العريض المشقوق ، الممتد امتداداً افقياً ، بدلاً من امتداده امتداداً قائماً كذيال الاسماك . اما زعنفتا الحوت — وهما تقابلان الذراعين في الانسان والقائمتين الاماميتين في الحيوانات الثديية — فتستعملان لتوجيه حركة الحوت في الماء ، اي انهما كالدفة في المركب . ولكن اذا نظرت الى جسم الحوت من الخارج لم ترَ اثراً فيهِ لما يقابل القوائم الخلفية في الثديات . فاذا فحصت هيكله في المكان المقابل للقوائم الخلفية وجدت عظيمات تقابل قصف الفخذ . هذه العظيمات مدفونة في جسم الحوت ، وليس لها عمل ما على ما نعلم فهي امثلة بليغة على الاعضاء الاثرية

واذا فحصنا قوائم الفرس الامامية والخلفية وجدنا فيها كذلك اجزاء اثرية . فاذا اخذنا القائمة الامامية وفحصناها وجدناها مكونة من عدة عظام كذراع الانسان ويده ، ففي اعلى القائمة عظمة تقابل عظمة العضد في ذراع الانسان ويليها عظمتان تقابلان عظمتي الساعد . ثم يلي ذلك في الفرس والانسان عظام صغيرة هي عظام الرسغ — وهي في الفرس في المكان الذي يعرف بركبة الفرس . ثم من ركبة الفرس الى حافره اربع عظام تقابل في يد الانسان عقد الوسطى . فالاولى تقابل العظمة التي تمتد في كف الانسان من الرسغ الى قاعدة الوسطى فاذا فحصت هذه العظمة في قائمة الفرس ثبت ان على جانبيها عظمتين طويلتين رفيعتين مدفونتين في لحم القائمة ولا يستند اليهما الفرس في شيء وهما تقابلان العقدتين الثانية والرابعة من وسطى الكف . فهما بقايا عظام كان لها شأن في تطور الفرس فلم يبقَ منها الا آثارها

* * *

وليس الانسان بخارج عن هذه القاعدة العامة — قاعدة وجود الاعضاء الاثرية في تركيب

الحيوانات . فالاذن الخارجية عضوٌ مركب من قطعة من الجلد وقطعة من الخضروف ولها مكان معين على جانبي الرأس . اما من حيث السماع فليس لها شأن كبير . بل اذا نزعت لم يفقد صاحبها مقدرته على السمع . ولكنا اذا اردنا ان نتبين بعض الاصوات الخافتة احطنا الاذن الخارجية بكفنا كانما نعينها على التقاط الامواج الصوتية

ومع ضآلة شأن الاذن الخارجية كعضوٍ ذي عمل خاص ، لها عضلات مركبة تركيباً عجيباً تمتد من متصل الأذن بالرأس . وهي ثلاث عضلات تكفي حركاتها لجني الاذن الخارجية الى الامام او الى الوراء او الى فوق . ثم هناك ست عضلاتٍ اخرى ممتدة على سطح الاذن نفسها ، تغيّر شكلَ الاذن بانقباضها . وكل هذه العضلات بالغة حدًّا بعيداً من النموّ والقوة في الحيوانات كالخيل والكلاب . فالعضلات الثلاث الاولى توجه الاذن في جهة الصوت ، والعضلات الاخرى تغيّر شكلها لتلقي الصوت . اما اذن الانسان فعاجزة عن هذه الحركات . والعضلات رغم وجودها ، لا تقوم بالغرض من وجودها اي تحريك الاذن وتغيير شكلها . واذا وجدنا من الناس من يستطيع تحريك اذنه ليدلّ على سيطرته على العضلات المحركة لها ، وجدنا كذلك ان تحريكهُ لها محصور في مدى ضيّق ، لا شأن لهُ في تغيير مقدرة الاذن على السماع . فهذه العضلات في الاذن الخارجية في الانسان من الاعضاء الاثرية حقًّا

وفي عين الانسان عضو اثري كذلك . فانك اذا نظرت الى طرف العين من ناحية الانف وجدت نسيجاً مبيضًّا هلالي الشكل . وليس لهذا النسيج شأن كبير في عمل العين . ولكن اذا تقصّينا تركيب العيون في الحيوانات التي دون الانسان فهمنا انهُ بقايا عضو كان لهُ شأن في قيام العين بوظيفتها . ذلك اننا اذا فحصنا طرف عين الهر المقابل لطرف عين الانسان حيث نجد هذا النسيج المبيض ، رأينا في عين الهر جفناً ثالثاً . ولهذا الجفن عضلات تمكنهُ من الامتداد فوق الحدقة وتحت الجفنين الآخرين بسرعة ، فيغطي الحدقة . وهذا الغشاء معروف في كل الثدييات والغرض منهُ وقاية العين . فما نراه في عين الانسان هو اثر من هذا العضو ، ولكنهُ فقد ما يجعله ذا فائدة في وقاية العين فاصبح عضواً اثريًّا . والقرود تشارك الانسان في ذلك

***

ولا يقتصر وجود الاعضاء الاثرية في جسم الانسان على ظاهر الجسم . بل نجدها كذلك في باطنهِ . ومن أشهرها على الاطلاق الزائدة الدودية . حيث تتصل المعى الدقاق بالمعى الغلاظ ينشأ من المعى الغلاظ نتوءٌ (يعرف بالاعور) في نهايتهِ زائدة أشبه شيءٍ بالدودة ، لذلك دعيت بالزائدة الدودية . وقد تنتهب هذه الزائدة احياناً فتؤلم صاحبها المًّا شديداً ، فاذا اجريت عملية استئصالها قبل فوات الاوان ، استغنى عنها الانسان من دون ان يختلّ نظام جسمهِ في

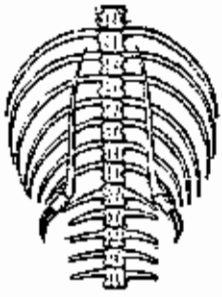

العظمتان على جانبي مؤخر الأسلة وهما بقايا قائمتين خلفيتين

الزائدة الدودية في الارنب

الزائدة الدودية في الانسان

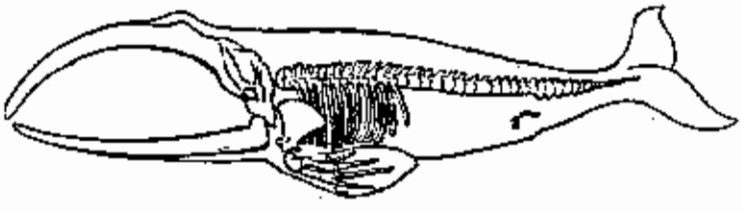

الخط الاسود تحت السلسلة الفقارية في
مؤخر الحوت يمثل بقايا قائمتيه الخلفيتين

مقتطف يوليو ١٩٣٣

امام صفحة ١٦٣

اقلّ وظائفه . بل اصبح من عادة الاطباء ان يستأصلوها في خلال القيام بأية عملية في البطن اذ لا فائدة ترجى منها على ما نعلم ، وقد تكون مصدر ألم وخطر على الحياة اذا التهبت

والزائدة الدودية — في غير الانسان — تظهر باشكال مختلفة . وليس بالسهل في بعض هذه الحيوانات التمييز بين آخر المعى الغلاظ واول الزائدة الدودية . ولكن آخر المعى الغلاظ (اي الاعور) في الارنب عضو كبير شبيه بجانب ورقة من ورق الاشجار وفيه في نهايته الزائدة الدودية كأنها جزء منهُ . والظاهر ان للاعور وللزائدة الدودية وظيفة ذات شأن في جهاز الهضم في الارنب . وهما كذلك في كثير من الحيوانات الثديية الاخرى . ولكنهما يضمران في القردة والقردة الشبيهة بالانسان حيث تشبه حالتهما ما هما عليه في الانسان . فالزائدة الدودية في الانسان عضوٌ اثريٌّ ولكنها ليست كذلك في الارنب

ثم ان النواجذ (اضراس العقل) في الانسان يمكن حسبانها اعضاء أثرية في بعض الاحيان. فمن الامور المعروفة ان اسنان الاطفال المشهورة بالرواضع (اسنان اللبن) تشتمل في كل فك على اربع ثنايا (قواطع) واربع انياب وضرسان (طواحن) . فاذا زالت الرواضع وحلّت محلها الاسنان الدائمة كانت كما يأتي: اربع ثنايا واربع انياب وثمانية اضراس . اي بزيادة ٦ اضراس في كل فك ثلاثة منها في كل جانب من جانبي الفك . واربعة من هذه الاضراس تنبت حوالي الخامسة والعشرين من العمر وتعرف بأضراس العقل (النواجذ) وقد اطلق عليها الاسم الاول لانها تشق اللثة حوالي السن التي يكتمل فيها عقل الشاب . ولكن هذه النواجذ لا تظهر في افواه بعض الناس. فتنقص اسنانهم اربعاً عن العدد السوي اي تكون ٢٨ سناً. والاسنان التي لا تشق اللثة ولا تظهر فوقها لا تصلح للقيام بعملها ، وعمل الاضراس طحن الطعام ومضغه . بل قد تكون الاضراس التي لا تشق اللثة ، مصدر الم وخطر ، كالزائدة الدودية ، اذا كان تكوينها مشوهاً فتصبح في حاجة الى عملية جراحية

على ان قردة العالم الجديد لها ٣٦ سناً بدلاً من ٣٢ سناً في فم الانسان . واما قردة العالم القديم اي الغورلّى والبعام وغيرها من القردة الشبيهة بالانسان ، فعدد أسنانها شبيهٌ بعدد اسنان الانسان . ولكنها اسنان دائمة وتظهر كلّها في الفكين . لا يتلكأ سنٌّ منها عن شق اللثة والظهور . والظاهر ان الانسان يخطو الآن خطوة ثانية في نقص اسنانه . فنواجذهُ تنبت احياناً ولا تنبت احياناً اخرى فاذا جاء زمن لم تنبت فيه النواجذ في فكي الانسان ، اصبح عدد اسنانه الدائمة ٢٨ يقابلها ٣٢ في قردة العالم القديم و ٣٦ في قردة العالم الجديد . فالنواجذ أو اضراس العقل التي لا تشق اللثة وتنبت جنباً الى جنب مع الاضراس الاخرى هي اعضاء أثرية لانها في هذه الحالة لا فائدة تجنى منها

الفن والادب

في حضارة مصر اليوم

لمراسلنا « س »

(٣) نظرة عجلى في أقسام الأدب

الادب الحديث في جوهره أصح الآن في مصر منه في كثير من البلدان الأخرى حيث شغلوا بمناحتات لا طائل تحتها حول ما يسمونه المذاهب الادبية . فلا رومنتيكية عندنا ، ولا رمزية ، ولا مستقبلية . ولا غيرها . الخصومات تدور حول الجديد والقديم مما سبق ذكره ، وإن نشطت الخصومات في التطرف تناولت موضوعاً طارئاً أحدثه الادب المستور والادب المكشوف . وفي ما عدا ذلك فالنزعة العامة واحدة رغم التفاصيل الثانوية القليلة

الشعر والنثر

الأدب النثري يسبق الأدب الشعري بمراحل . أليست التجديد في الشعر العربي ؟ لست أدري ولكني أدري ان كثيراً جداً من القصائد التي نعتها كسلاً أو مجاملة بالعصماء قد كان يمكن أن تنظم في أي عصر من العصور الغابرة ، وما زالت قصائد « للمدح » شائعة عندنا . واذا استثنينا فئة صغيرة من الشعراء المطبوعين الذين يستوحون موضوعات جديدة ويطلقونها في نص جديد ولو في صيغة قديمة في الغالب — فيمكننا ان نقول بأننا لا نلمح في الشعر الجد الحاسم الجلي الذي نراه في النثر ولئن انفجت الحركة القومية عدة مواهب شعرية فانها لم تخلق شاعراً واحداً تفرد بعبقريته الفني فأرسل الصيحة التي تغزو القلوب وتفتح النفوس فتحاً مبيناً

فنحن في هذا والشعوب الاخرى سواء ، لاننا لا نعرف شاعراً واحداً جباراً خلقته الحرب في أية لغة من اللغات ، بل القحط الشعري يبدو في كل مكان . وقد يكون هذا راجعاً الى روح العصر الذي نعيش فيه . وقد يكون النثر التي صيغة أوفق لاختبارتنا الشعرية في هذه الايام

ولقد هناك ملاحظة لها أهميتها الاجتماعية ، وهي ان الشعراء يخاطبون المرأة في قصائدهم بضمير المؤنث ، وقد كانوا من قبل يستعملون في مخاطبتها ضمير المذكر وقد أقلع كبار الشعراء عن الاساليب المألوفة في المدح والمفاخرة ، ولكن قصائد الرثاء تجري أنهاراً كلما غمض امرؤ عينيه ليمضي الى ربه . ولما كان الموت على رقاب العباد . . . !

أما النثر فهو الذي يبدو فيه الخصب والتنوع والثروة والحياة ، وخلاله ترتسم الشخصيات الادبية ، وهو الرسالة الادبية العالية التي تبدع ابداعاً في هذا الطور الحاضر . لا أظن أن

اللغة العربية في أي عصر من العصور السالفة عرفت مثل هذا التنوع الذي نشهده اليوم . فالموضوعات الادبية والسياسية والاجتماعية والقانونية والعلمية والتهذيبية والفنية والتاريخية شيء مألوف يقع تحت أنظارنا كل يوم ، ومنها ما يتناهى أحسن ما يكتب في صحف الغرب دقة وإحكاماً في رشاقة ولباقة . والمقالة تفوز بالجائزة — لو كان هناك مسابقة — بين سائر أقسام الادب . ويجاري فن المقالة فن الخطابة والمحاضرة فهو اليوم في مصر أرقى ما يكون ، بل قد يبدو لك تدرجه عاماً بعد عام من حسن الى أحسن . ومن دواعي السرور ان المرأة أيضا تمتلي المنبر وتخطب في الجماهير الغفيرة فلا تكون أقل تأثيراً من أمهر الخطباء وأشهرهم ، حتى في موضوعات عصية . والملحمة والمسرحية في هذا سواء . وهناك الكتب المترجمة والمؤلفات العديدة في كل فن وخبر ، تبحث في الاجتماع والتاريخ والادب والفلسفة والاخلاق والعلوم الفنية . وغيرها وصف جميل للرحلات والاسفار ووصف لعادات الشعوب وخصائصها ووسائل تقدمها . وغيرها ذكريات شجية وترجمات عن حالات نفسية . وغيرها يبتكر أدباً للاطفال يستوحيه المؤلفون من قصص الشرق القديمة وأحاديث رحاليه ، أو يقتبسونه عن آداب الغرب

. . . . والرواية كذلك تخصص هنا وهناك ، ولكن فن الرواية يتطلب وقتاً آخر للنضج . لأن الرواية تخلق عالماً تاماً مستقلاً في ذاته لهُ خصائصه وسيكولوجيته ووجوه نزعاته وفكرته الخاصة ووجوده المتصل بمحيطه المنفصل عنهُ في آن واحد . فهو يتطلب من العزلة والسكون ما لا قبل لأدبائنا به في هذا الوقت لانهماكهم في عدة موضوعات في آن واحد ، وعندما ننظر الى كثرة ما ينهب وقتهم من المشاغل نعجب كيف استطاعوا أن يؤلفوا هذه الروايات على قلتها ونعجب من وفرة ما ينتجون

أما القصة القصيرة فقد تقدمت بالعدد أختها الكبيرة . وقد قصر بعض الكتاب نشاطهم عليها فنجحوا خصوصاً في القصة الوصفية ، وستليها حتماً القصة السيكولوجية

ولا مندوحة عن أن يجاهد الأدباء في وضع الرواية العصرية لوصف هذه العادات وتسجيل هذه التقاليد في مجتمع هو سائر بطبيعة الحال نحو العادات الأوروبية . فالحجاب يتناثر شيء منهُ كل يوم ، ووجوده وحي كبير للأديب المستعد لتلقي هذا النوع من الوحي . وهذا الفن الروائي لو هو وجد بمصر يصح فريداً في بابه بين صنوف الروايات العصرية بسبب هذا الحجاب نفسه وبسبب جميع الحوادث السيكولوجية التي تخلقها في النفس صعوبة اللقاء بين المحبين — ما دام الحب هو « الحبكة » التي لا تقوم لرواية قائمة بدونها ، مع ما يستفزه من خفايا الطوية ويعلنهُ من غامض الأسرار

كذلك تفتقر الى النقد وإن كان ما يكتب في النقد غير قليل . ولكن أكثره إما يرمي إلى المجاملة والثناء وإما ينفي الطعن والتحقير . ويندر جداً البحث النقدي النزيه الدال على تمام

استيعاب الناقد لموضوعه وعلى اكتمال نضج شخصيته من نواح شتى . والغريب ان نفس الكتّاب الذين يجيدون في نقد كاتب غربي وتحليل شخصيته يكونون أقل اجادة وبخاصة أقل اصابة عندما يبحثون شخصية أدبية مصرية حديثة . وعندي ان الناقد البارع رواني على نوعه ، وان الرواية والنقد انما تحاذيا اليوم في تخلفهما فسيكونان كذلك متحاذيين في تقدمهما . لان الكثير من خصائص الناقد السيكولوجية هي نفس خصائص مؤلف الرواية

الأدب الشعبي أو أدب العامة

في مصر أدب يجب أن لا يهمل . هو أدب العامة الذي نذر من عني به من الأدباء ، مع أنه قادر على احراج جنى خصيب طالما اهتم كل كاتب بحكايات مدينته واقليمه فدوّن ما يتناشده الشعب الساذج في حفلات الاعراس والمآتم ، وما يرويه الرواة عن أبطال القرون الغابرة . غير أن فرعاً من ذلك الادب في ازدهار ، أعني الزجل ، الشعر العامي الجميل الذي يفصح عن الروح المصرية برشاقة وطلاوة وباللهجة المصرية لهجة التخاطب العادي والمحادثة اليومية . وقد تألفت حديثاً « رابطة الزجالين » قرب عدة جماعات أخرى أدبية وثقافية — أخذ الله بيدهم جميعاً !

ان لكل اقليم بيانه الادبي المروي الذي يترجم عن الروح القديم في أساطير وأناشيد بالهنات العامية ، وحكايات تضمنت اعتقادات سرية مقبلة عن أعماق الدهور ، وذكريات حب وحنان وتضحية وتفجع ، ونغمات شعرية ذات سحر مستغرب حنان . ألحان الشعب وأساطيره وحكاياته تعبر عن خلقه المقيم وصبره واحتماله وتحدث عن عبقريته الفطرية وعن آماله وأحلامه . ومن الخسارة الفادحة أن تهمل تلك الآثار وتلك الألحان لأنها مأثرة شيئاً فشيئاً الى النسيان والفناء

(٤) الفن

الادب النثري أرقى الفنون جميعاً وأنضجها وان كان بعض الفنون أوسع رواجاً في الجمهور وأقرب الى أذواق العامة . وهاك ترتيب الفنون بموجب رقيها ونضجها :

(١) — التمثيل . (٢) — النحت والرسم والتصوير . (٣) — الموسيقى

التمثيل

هذا أظهر الفنون في مصر تقدماً وقد برزت فيه شخصيات موهوبة عرفت أن تكسب الادوار التي تمثلها روعة وتنوعاً واستطاعت ان تبعث فيها نفحة حيوية غنية

والتمثيل يرتبط بالادب وبالتأليف المسرحي وبالحركة الفكرية والاجتماعية وبتطور اللغة . فنطق الممثلين والممثلات فصيح بالاجمال ، وأوضاعهم المسرحية في تقدم محسوس . وقد ترجمت الى العربية روايات من غرر الادب المسرحي في العالم فجاء بعضها مطابقاً والاصل الذي نقلت عنه ، و« معصّر » غيرها تعصيراً لينفق وذوق الجمهور ، ومسخ غيرها مسخاً . وقد عني جماعة من المؤلفين بوضع روايات باللغة العربية فنجح بعضها نجاحاً عظيماً ، وكان للمرحوم

شوقي بك الفضل في استيحاء موضوعات قديمة من تاريخ مصر وتاريخ العرب وصوغها في روايات مسرحية شعرية ونثرية . ويمكن القول ان التأليف المسرحي الآن في حالة التكون . والنقاد المسرحيون أبرع في ملاحظاتهم وانتقاداتهم من نقاد الكتب الحديثة

وقام في الاعوام الاخيرة التمثيل السينمائي يسابق التمثيل المسرحي وهم الممثلون في المسرح الذين يسابقون أنفسهم على الشاشة الفضية : فما أشق هذه الجهود وما أكبر هذا الاقدام ! وهم يعنون في ادخال آثار مصر الفرعونية أو آثار الاسلام بمصر وغيرها — في كل رواية سينمية تقريباً مع عرض بعض العادات والتقاليد خلال تلك المناظر المتعاقبة . ولكن الى الآن لم نر رواية واحدة مستكملة النضج السيكولوجي والفني . بيد أنه يمكن البت في أن التمثيل السينمي المصري لن يقف عند هذا الحد

النحت والرسم والتصوير

باستثناء فوائد فنية وموسيقية سبقت التقدم المسرحي من حيث كمال الصنعة ونضج الفكرة — يمكن ترتيب المنتوجات في هذه الفنون الثلاثة بعد الفن المسرحي وقبل الفن الموسيقي . في المعارض السنوية الرسمية كما في المعارض الجزئية العديدة تستطيع أن تهتدي الى شخصيات فنية هي على ثقة من وحيها ومن مقدرتها في اتقان الصنعة معاً ؛ فنرى أنها تتقدم عاماً بعد عام في احكام الصلة بين وحيها وبين افصاحها عنه

وعدد المشتغلين بهذه الفنون كل سنة في تزايد . وليس التقدم ليبدو في الكمية وحدها بل في الكيفية أيضاً . يشهد بذلك الذين زاروا أول معرض أقيم من هذا النوع قبل ١٤ عاماً، فهم يزورون معارض اليوم فيسبحون الله ولا يبطرون ! ولئن كان الفن الى الآن يستوحي الصناعة الاوربية والفكرة الاوربية فالفنانون يميلون الى اخراج موضوعات مصرية . وعلام لا تنطلق يوماً الوراثة القديمة الكامنة في فناني هذه البلاد فيبتكرون فناً حديثاً هو غير فن الغرب ؟

الموسيقى

الموسيقى الوترية أرقى من الموسيقى الصوتية . فمن العازفين من يعزف بفطرته الموسيقية وبسليقته الطروبة . ومنهم من يتبع الاساليب الحديثة التي روجها نادي الموسيقى الشرقي من ضبط الالحان بالنوتة وتوقيعها على أصول الثقافة الموسيقية في الغرب ، وهو تجديد لم يعهد من قبل في تعليم الموسيقى العربية

يتسنى لك أن تسمع من بعض « التخوت » أو جوقات الموسيقى الوترية أو من الافراد العازفين على مختلف الآلات — عزفاً هو في منتهى الجودة والاتقان . لولا أن مجموعة الالحان تستمر غالباً على وتيرة واحدة وليس من الميسور أن تميز الفرق بين القطعة وأختها.

فكلهن يتشابهن فيما بينهن ، مما يثير الملل عند الملم بالموسيقى الغربية الذي ألف فيها التنوع والتفنن والتلوين الى مدى لا يحد

أما اقرب الفنون الى الجمهور الكبير من مختلف المراتب فهو الموسيقى الصوتية ، والناس على اجتماعات الطرب والانشاد أشد إقبالاً منهم على أية حفلة فنية أخرى، ويرون في الحفلات والسهرات نقصاً وجفافاً إن لم يشجها الغناء ويلقي في جوها عاطفة الشجن الشرقي التي لا توصف. انما ترتكن الموسيقى الغائية في مصر على صوت المغني اكثر من ارتكانها على فن الغناء . وهنا أصوات جميلة حنونة مؤثرة ، إلاّ ان أحسن ما تنشده في نظري هو الادوار القديمة بألحانها القديمة بما فيها للواويل والقصائد الغزلية . واكثر ما يسمونه « تجديداً » في الغناء خير له أن لا يكون . لان بعضه مقتبس عن الموسيقى الغربية التي لا تعتبر من الفن في شيء بل هي من النوع التافه (musiquette) ، والبعض الآخر تطويل وتباطؤ وإعادة وتكرار. ما زالوا يعيدون في الآهات وقتاً طويلاً جداً ويعيدون « يا ليلي يا عيني » في تبسط وتراخ يستحيل معه الصبر لاعصاب تنظمت للطرب المحكم. بيد أن الجمهور يحب ذلك التطويل المخدر للاعصاب ويستلذه ، والمنشدون يعاشون ذوق الجمهور ولكنهم لا يتقفون فيه العاطفة الفنية ولا مقدرة لهم على ازدجار تلك العاطفة ولنهاضها من تثاقلها الدهري . وعلى ذلك ما زال العاشق في الاغاني يسهر الليل مناجياً النجوم موضوع حسرته وجواه ، وما زال قلبهُ يذوب وروحه تكتوي بنار الغرام . والمحبوب — ما أقساه ! — لا يرحم المتيم المسكين ! والعذول — لعاه الله ! — ما زال واقفاً بالمرصاد يريد الايقاع بالعاشقين !

والمغنون يحملون تقرحهم فوق طاقتها لأن كلاً منهم يأبى الاّ ان يكون منشداً وملحناً في آن واحد ، وهو أمر لا يتفق مع قانون تقسيم العمل ولا مع الموهبة الفنية. فالانشاد شيء والتلحين شيء آخر. وقد يكون الملحن صاحب صوت غير حسن وغير قابل للتوقيع المطرب. ولم يشذ عن هذه القاعدة من كبار الموسيقيين في الغرب الاّ النفر اليسير

ولكن ما لا ينكر هو الجهود العظيمة التي يبذلها أهل الفن . وان لم يبد الى الآن شيء يصح أن يسمى تجديداً بمعنى التقدم في نظر الناقد الخبير فذلك راجع الى صعوبة هذا التجديد في موسيقى لا قائمة لها الاّ بالنغم فقط ولا تقبل طبيعتها التطرق إلى فن اصطحاب الألحان الذي قطعت فيه موسيقى الغرب شأواً بعيداً. مهما ضاعفت الآلات في الاركسترة أو ضاعفت الأصوات في النشيد فأنت لا تكون الاّ مقوياً النغم الواحد ومفخمه . وهذا مشكل كبير لا حل لهُ إلاّ بتنويع النغم تنويعاً بارعاً ينزع عنهُ ما يرافقهُ عادةً من التراخي والملل ، على أن يبقى لهُ النكهة الساحرة ذات العوارض الخفية الدقيقة التي تحتفظ للموسيقى الشرقية بطبيعتها الخاصة. ثم يجب الاكثار من الاناشيد الحماسية في موضوعات مشوقة تستولي على قلب الجمهور وتعلقهُ

التجاوز عن الموضوعات الغرامية الكثيرة إلى ما لا صلة له بالعشق والغرام والدلال والنوح

الخلاصة

الخلاصة ان الحركة الأدبية والفنية في مصر شيء ذو وجود محسوس ، في بعض نواحيه تقدم وفي بعض نواحيه تأخر ، ونواحيه الاخرى بين بين . غير أن النشاط لا يمكن إنكاره

الصورة التي رسمتها هنا مطابقة للواقع في تقديري . وأنا لم اعتبر في الأدب والفن الا كونهما تعبيراً عن الروح الجديدة الناجمة عن اليقظة القومية ، هذا التعبير الفني والادبي الذي هو من أدل الدلائل على ثقافة قوم وحضارتهم وعلى مبلغ ما اكتمل من تكوّن مجتمعهم . والفن والادب يدلان على أن المجتمع الجديد هو فعلاً في حالة التكون . وهذه الحركة سائرة الى الامام بلا ريب بفضل انتشار التعليم وتنوع الشخصيات والاحتكاك المتتابع بالحضارة الغربية والاشتراك اقتصادياً وفنياً وأدبياً وسياسياً وعلمياً في جميع المشاكل الطارئة على العالم

عندما نقول «قديم» يفهم من هذه الكلمة عهد الفراعنة ثم عهد الاسلام ، وعند ما نقول جديد يفهم الحضارة الغربية بوجه عام . ولكن الموضوع في نظري أبعد مدًى واكثر ارتباكاً . إذ ليس من بلد كمصر هبطته جميع الشعوب وضربت فيه جميع الحضارات وانتشرت فيه جميع الثقافات واختلطت دماؤه بجميع الدماء . فمن العناصر الفرعونية الى العناصر المكدونية إلى اللاتينية فالاغريقية ، فالعربية بتنوعها العديد ، فالتركية وما كان ينضم تحت لوائها من العناصر العثمانية الكثيرة ، الى عناصر اوربا الجديدة كلها تقريباً ، الى غير ذلك مما يحصى ولا يحصى — جميع هذه العناصر تتمخض الآن وتتبلور في الشخصية المصرية الكبرى . والمصريون الذين زاوجوا خلال تاريخهم الطويل شتى الشعوب ، ما زالوا اليوم يزاوجون الشعوب الغربية ، وهذا الامر — على ما يستوجبه من الانتقاد في بعض الوجوه — يصب الدماء الشتيتة في دم هذا البلد القديم . فهنا العالم كله في حالة « التمصر » . وقد عرف دائماً لمصر السحر في تحويل ما يقبل عليها الى جزء منها دون أن تفقد فيه شخصيتها العميقة . وفي هذه الثروة الزاخرة من الوجهة الادبية والحسية معاً ما يمكن من تكوين شخصية رحيبة الجوانب ، متعددة النواحي ، غنية نبيلة لا نبالغ في القول انها تستطيع أن تنتج نوعاً خاصًا من الثقافة تقف حيال الثقافة العالمية فلا تتضاءل

وترجمان هذه الثقافة المرجوة هو اللغة العربية . ويخطىء الذي يتطلب التجديد في هذه اللغة إن هو أراد منها أن تصبح نسخة من أي اللغات الغربية . إن هذه اللغة تمثل عقلية خاصة في وسعها أن تحاذي العقليات الغربية وتتفاهم واياها وتأخذ منها وتعطيها ، ولكنها ليست هي ولا يمكن أن تكون . لأنها — وفي هذا أهميتها — مظهر آخر من الحضارة العمرانية وناحية أخرى من النفسية الانسانية

« مي »

نوابغ العرب

في العلوم الرياضية

ابو محمود جابر بن الافلح

اذكر اني قرأت في احدى المجلات العربية ان جابراً بن الافلح هو اول من اكتشف الجبر وان كلمة (جبر) مأخوذة من كلمة جابر وقرأت ايضاً في بعض الكتب الانكليزية ان بعضاً من علماء الغرب وقعوا في الغلط نفسه . يقول سمث في كتابه تاريخ الرياضيات في الجزء الثاني في ص ٣٩٠ ان بعض الفرنجة المتأخرين نسبوا كلمة (جبر) الى (جابر) وقالوا انهُ واضع علم الجبر . والحقيقة ان جابراً لم يكتشف علم الجبر حتى ولم يكن اول من الف فيهِ فقد سبقهُ الى ذلك الخوارزمي وغيره ، كما لا يخفى ، وجلّ ما في الامر ان جابراً من الذين نقلت مؤلفاتهم الرياضية الى اللاتينية قبل غيرها وهذا جعل نفراً من علماء الغرب يظن ان كلمة (جبر) مأخوذة من (جابر) وبعضهم خلط بينهُ (اي بين جابر) وبين جابر بن حيان الكيماوي الشهير

وقد ولد جابر في اشبيلية في اواخر القرن الحادي عشر للميلاد وتوفي في قرطبة في منتصف القرن الثاني عشر

***

في العصر الذي بدأت فيهِ الدولة العباسية تنحل وتتفكك كانت العلوم في المغرب والاندلس تتقدم وتزدهر وظهر في المثلثات الكروية ولا سيما فيما يتعلق بالفلك رجال ابدعوا فيها واجادوا كصاحب الترجمة فقد كان لمؤلفاته أثر كبير في تقدمها خلال عصر اليقظة في اوربا . لقد الف جابر تسعة كتب في الفلك يبحث اولها في المثلثات الكروية وقد نقل جيرارد هذه المؤلفات الى اللاتينية وطبعت سنة ١٥٣٣ في نورمبرغ[1] وتقول دائرة المعارف البريطانية ان هذه الكتب لها مقام كبير في تاريخ المثلثات . ولجابر فيها (في المثلثات) ابحاث مبتكرة لم يُسبق اليها . ولقد استنبط معادلة (سميت بنظرية جابر) تستعمل في حل المثلثات الكروية القائمة الزاوية ، اي انهُ زاد معادلة على الاربعة المنسوبة الى بطلميوس

ويقول سمث في ص ٦٣٢ من الجزء الثاني من كتابه تاريخ الرياضيات انهُ من المحتمل ان يكون ثابت بن قرة عرف هذه المعادلة المنسوبة الى جابر . وعلى كل فمن الصعب الجزم في هذا الموضوع وحتى اليوم لم يستطع علماء تاريخ الرياضيات البت فيه رغم التحريات الدقيقة التي اجريت

---

(١) بول — تاريخ الرياضيات — ص ١٦٥

ابو الحسن علي بن محمد بن محمد بن علي القرشي البسطي القلصادي

هو من اشهر الرياضيين الذين ظهروا في القرن التاسع للهجرة ، ولد في مدينة بسطة في الاندلس وكان صاحب فضل وعلم اعترف له بذلك علماء عصره المشهورون حتى ان القاضي ابا عبد الله بن الازرق سماه بالفقيه وبالاستاذ العالم المتقن

درس القلصادي في بادىء الامر في بسطة على اشهر علمائها ثم رحل الى غرناطة حيث درس كثيراً من العلوم على اساتذة اجلاء كان لهم الفضل الاكبر في تثقيفه وفي إعداده لان يكون في مصاف الرياضيين . ويقال انه لم يكتف بذلك بل رحل الى الشرق حيث اجتمع باعلام الرجال واستمع لدروس فحول العلماء فاستفاد كثيراً وأفاد (فيما بعد) كثيراً . وبعد ذلك ذهب الى الحجاز لاداء فريضة الحج ثم عاد الى غرناطة حيث طابت له الاقامة ولكن صروف الدهر ومفاجآت الايام وما حدث بين امراء ذلك العصر في تلك البلاد كل ذلك اجبره على الهجرة الى افريقيا . وفي اثناء وجوده في غرناطة تتلمذ عليه كثيرون ونبغ منهم نفر غير قليل كاحمد داود البلوي والامام السنوسي[1] وتوفي في باجة من اعمال تونس في اواخر القرن التاسع للهجرة سنة ٨٩١ هـ — ١٤٨٦م

اشتغل القلصادي بالحساب وألف فيه تآليف نفيسة وابدع في نظرية الاعداد وله في ذلك ابتكارات[2] وله ابحاث في الجبر جليلة ومؤلفه كتاب كشف الاسرار عن علم الغبار اول كتاب اثبت للاوربيين بأن الاشارات الجبرية كانت مستعملة عند علماء الرياضة المسلمين. وقد استعمل لعلامة الجذر الحرف الاول من كلمة جذر (ج) وللمجهول الحرف الاول من كلمة شيء (ش) يعني س ولمربع المجهول الحرف الاول من كلمة مال (م) يعني س^{2} ولمكعب المجهول الحرف الاول من كلمة كعب (ك) يعني س^{3}

واستعمل لعلامة المساواة حرف ل وللنسبة ثلاث نقط ∴[3] وقد نقل ووبكه في منتصف القرن التاسع عشر لمبلاد الاشارات الجبرية المستعملة عند العرب من نسخة خطية موجودة عند رمو المستشرق الشهير وترجم ايضاً الى الفرنسية النسخة المذكورة ودرجها في نسخة سنة ١٨٩٥ م من مجموعته[4] وقد اعطى القلصادي قيمة تقريبية للجذر التربيعي للكمية (س^{2}+ص) والقيمة التقريبية هي : $\frac{٤ س^{٣} + ٣ س ص}{٤ س^{٢} + ص}$[5] ويعتقد جُنْتر Gunther ان هذه العملية ابانت طريقة لبيان الجذور الصماء بكسور متسلسلة . وفي ايجاد القيم التقريبية للجذور الصماء استعمل ليوناردو اوف بيزا وتارتاكليا وغيرهما القانون العربي الموجود في كتب ابن

(١) صالح ذكي — آثار باقية — ج ٢ ص ٢٨٣ (٢) سمث — تاريخ الرياضيات ج ١ ص ٢١١
(٣) كنجوري - مختصر تاريخ الرياضيات ص ١١٠ — ١١١ (٤) صالح ذكي — آثار باقية ج ٢ ص ٢٨٢ (٥) كنجوري تاريخ الرياضيات ص ١١١

البناء والقلصادي [١] اما آثاره فاهمها :

كتاب كشف الجلباب عن علم الحساب الذي يقول عنهُ كشف الظنون انهُ من اشهر مؤلفات القلصادي وانه كملها وهو اربعة اجزاء وخاتمة . وكتاب كشف الاسرار عن علم حروف الغبار وهو مختصر كتاب كشف الجلباب . وفيه مقدمة واربعة اجزاء وخاتمة . وقد ارسله الي العدل الاستاذ محمد داود من اعيان تطوان — المغرب وفهمت من بعض التلامذة المراكشيين ان هذا الكتاب (كشف الاسرار) لا يزال يُستعمل في كثير من مدارس المغرب . اما محتوياته فهي كما يلي : المقدمة تبحث في صفة وضع حروف الغبار وما يتعلق بها . والجزء الاول ثمانية ابواب ويبحث في العدد الصحيح ، الباب الاول في الجمع ، الثاني في الطرح ، الثالث في الضرب ، الرابع في القسمة ، الخامس في حل الاعداد ، السادس في النسبة ، السابع في قسمة المخاصات ، الثامن في الاختبار . والجزء الثاني فيه مقدمة وثمانية أبواب ويبحث في الكسور . فالمقدمة تبحث في أسماء الكسور وما يتعلق بذلك ، والباب الاول في جمع الكسور ، الثاني في طرحها ، الثالث في ضربها الرابع في قسمتها ، الخامس في تسميتها ، السادس في جبرها ، السابع في خطها ، الثامن في الصرف . والجزء الثالث يبحث في الجذور وهو مقدمة وثمانية أبواب . فالمقدمة تبحث في معنى كلمة جذر والباب الاول في أخذ جذر العدد الصحيح المجذور ، الثاني في أخذ جذر العدد غير المجذور وبالتقريب ، الثالث في تدقيق التقريب ، الرابع في تجذير الكسور ، الخامس في جمع الجذور ، السادس في ضرب الجذور ، السابع في قسمة الجذور وتسميتها والثامن في ذي الاسمين . والجزء الرابع يبحث في استخراج المجهولات وهو ثمانية أبواب : الاول يبحث في الاعداد المتناسبة ، الثاني في العمل في الكسات ، الثالث في الجبر والمقابلة ، الرابع في الضرب والمركبات ، الخامس في الجمع من علم الجبر والمقابلة ، السادس في الطرح ، السابع في الضرب والثامن في القسمة من علم الجبر والمقابلة — والخاتمة اربعة فصول الاول يتناول هل في المعادلة استثناء . الثاني يبحث في موضوع المسئلة المركبة وهل فيها عدد ، الثالث في الجمع في النسبة والرابع في استخراج العدد التام والناقص [٢]

والقلصادي كتاب قانون الحساب [٣] وكتاب تبصرة في حساب الغبار [٤] وله أيضاً شرحان لكتاب (تلخيص الحساب لابن البناء) أحدهما كبير والآخر صغير وزاد على شرحه الكبير خاتمة تبحث في صورة تشكيل الاعداد التامة والناقصة والزائدة والمتحابة [٥]

نابلس — فلسطين قدري حافظ طوقان

---

(١) مختصر تاريخ الرياضيات لكاجوري ص ١٥٠ (٢) كتاب كشف الاسرار عن علم حروف الغبار للقلصادي (٣) كاتب جلبي — كشف الظنون ج ص ٢١٦ (٤) كاتب جلبي — كشف الظنون ج ١ ص ٢٤٥ (٥) صالح ذكي — آثار باقية ج ٢ ص ٢٥٧

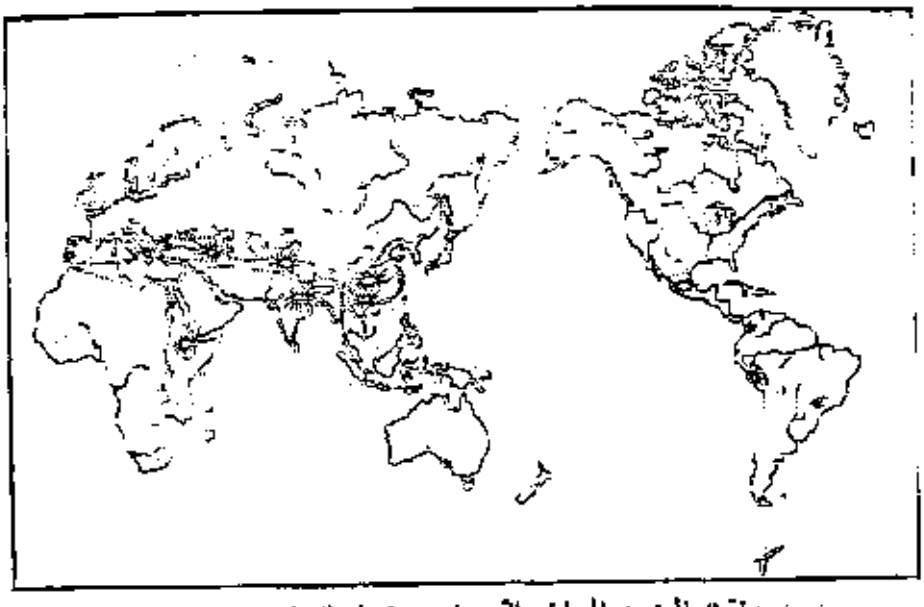

خريطة للعالم تبين المواطن التي ظهرت فيها «النباتات الزراعية»

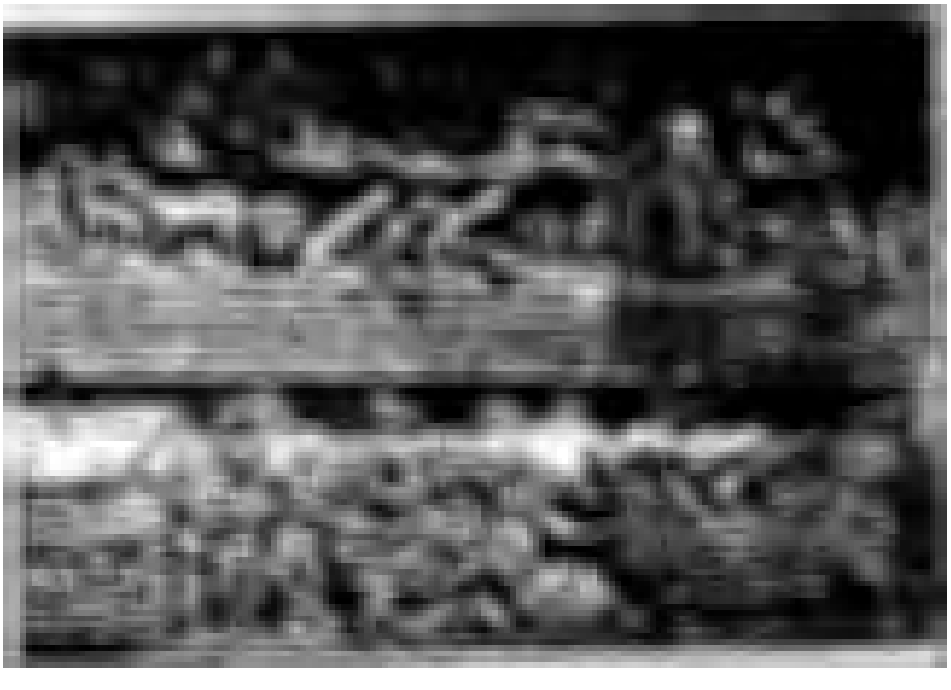

جانب من نقش بارز على جدران هيكل بورو بودور في جاوى يمثل نباتات مختلف

منقطف يوليو ١٩٣٣ امام صفحة ١٧٣

الحضارة والحاصلات الزراعية[1]

النباتات الاليفة واصول الحضارات

نمرُّ بالحيوانات والنباتات الداجنة كلَّ يوم ، كراماً او غير كرام ، او تمرُّ بنا ، فلا يخطر في بالنا ان نسأل ، من اين اتت هذه الحيوانات والنباتات ، واين نشأت ، ومن دجّنها اولاً ، ومن اتى بها من موطنها الاصلي الى هذه البلاد او الى غيرها من البلدان . ومع ذلك فان هذه النباتات التي مضت عليها عشرات القرون وهي تزرع وتحصد ، وهذه الحيوانات التي ألّفها الانسان وأنِسها واستخدمها لاغراضه ، هي اساس كل الحضارات العالية

ولا ريب في ان هذه النباتات والحيوانات نشأت من الاشكال البرية التي استعملها الانسان غذاءً في فجر حياته على الارض. وان استعماله للنبات يرتدُّ الى عصور متغلغلة في جوف التاريخ . ولكنهُ بعد مرانة وتجربة لا نعلم مداهما ، فرَّق بين ما يؤكل من النبات وما لا يؤكل . ولا ريب في ان التطورات المذكورة تمَّت الوفاً من السنين قبل نشوء الزراعة

والزراعة سابقة للتاريخ المدوَّن . بل ان كلَّ النباتات التي تزرع الآن ، وكلَّ الحيوانات الداجنة كانت قد لانت لارادة الانسان قبل ان تدوَّن اخبارهُ الاول نقشاً على الصفا

ويذهب فريق المحافظين من علماء الانتربولوجيا الى ان اصول الحضارة البدائية ترتدُّ الى بداءة العصر الجليدي ، وهذا على المقياس الجولوجي المسلَّم به الآن ، يرجع بمبادىء الحضارة الى قبل مليون سنة . كان الانسان خلال ذلك العهد ، سيداً مستقلاً . والغالب ان وجود الانسان يرجع الى قبل العصر الجليدي . وانما ظل تقدمهُ بطيئاً جداً حتى العصر الحجري الجديد اي من نحو عشرين الف سنة اذ بدأ يخطو الى الامام خطوات حاسمة ، فاخترع النار ، وابتنى الاكواخ يأوي اليها ، واستعمل الملابس ، وزين جسمه ، وابتدع اصول الفن والنقش ، واصطنع بعض الطقوس وخصوصاً فيما يتعلق بدفن الاموات

ومن نحو عشرة آلاف سنة حدث انقلاب خطير في حياة الانسان على الارض . ذلك ان الزراعة الدائمة اي تدجين النباتات والحيوانات القيت اليهِ مقاليدها . ومقدرتهُ على الحصول على قدرٍ معيَّن من الغذاء في مواعيد معيَّنة وفي اماكن معيَّنة ، افضت بالانسان الى الاستقرار في بقعة محدودة من الارض وتقسيم العمل ، فنشأت عن كل ذلك العوامل والاوضاع

(١) نقلت بتصرف من بحث للسنر المرمرل مدير حدائق نيويورك النباتية نشر في مجلة التاريخ الطبيعي

التي نطلق على مجموعها كلمة « الحضارة » . وكان الانسان قد اخترع قبيل ذلك صناعة الخزف والنسيج واستعمل النحاس والذهب والحديد النيزكي ؛ ثم ارتقت معرفتهُ باستعمال المعادن . ومصحب ذلك كلهُ تقدم في الاوضاع الاجتماعية كتنظيم الجماعات ، والخضوع للقانون ، ونشوء فن العمارة ، وتبعهُ استنباط الكتابة

ولا يهمنا هنا ان نقرر هل كان تدجين الحيوانات سابقاً لتدجين النباتات او هل كان تدجين النباتات سابقاً لتدجين الحيوانات . وانما يغلب عندنا ان الانسان في بعض البقاع كان راعياً قبل ان يكون زارعاً . ولكن لا ريب في ان زراعة النباتات التي تؤتي محصولات يحتاج اليها الانسان ، كانت الخطوة الاولى في نشوء الزراعة الثابتة التي شيدت عليها كل الحضارات العليا في العصور القديمة

وهذا الضرب من الزراعة ، الذي بدأ قبل التاريخ المدوَّن ، كان محصوراً في مناطق معينة في نحو الكرة الارضية ، حيث وجدت النباتات والحيوانات الاصلية التي نشأت منها النباتات والحيوانات الداجنة المعروفة الآن . والجدير بالذكر ، ان في هذه المناطق نشأت الحضارات الاولى كذلك

***

مضت قرون طويلة قبل نشوء الزراعة ، والانسان البدائي يجمع البزور والثمار والجذور من النباتات البرية ويستعملها غذاء ، على نحو ما تفعل السلالات المتوحشة الآن في بعض البقاع . وقد ذهب العلماء مذاهب مختلفة لتعليل ابتداء الزراعة . ولكن بسط تلك المذاهب ليس من مقتضيات هذا البحث . فحسبي بأن نقول ان بداءة الزراعة تمَّت في الغالب صدفة

ان عشرين الف سنة او ثلاثين الف سنة زمن طويل اذا قيس بحياة الانسان ، ولكنها فترة قصيرة اذا قيست بألف الف سنة منذ انشأ الانسان يصعد سلم الارتقاء . وكان تقدمهُ بطيئاً في الـ ٩٨٠ الف السنة الاولى التي تحول في خلالها من صياد متنقل الى زارع مستقر . ومرَّت عليه ازمان كان تقدمه يعيب في خلالها حوائل تمنعهُ عن السير الى الامام او تحمله على النكوص الى الوراء . ولكن ارتقاءه امر لا شك فيه اذا قابلنا بين ارتقائهِ في القرن الاخير بارتقائه في الالفي السنة الاخيرة . او اذا قابلنا ارتقاءه في العصر الميلادي بارتقائه في العشرة آلاف السنة التي سبقته . وقد يختلف الباحثون في تعيين العوامل التي دفعت بالانسان الى الامام ، ولكن قلما يختلف اثنان في جعل المقام الاول لاكتشاف حقيقة الزراعة . وحقيقة الزراعة هي التي جعلته يدرك ان العناية الزراعية ببعض النباتات البرية التي يستعملها غذاء ، تمكنهُ من الحصول على غذاء يعتمد عليه في وقت معين . فالزراعة يجب أن توضع في رأس المخترعات التي اخترعها الانسان . واختراعها كان مفتتح انقلاب اقتصادي عظيم في حياته على الارض

اول صورة للذرة ظهرت في الكتب
الاوربية في كتاب طبع سنة ١٥٤٣
ودعيت فيه « بالذرة التركية »
مقتطف يوليو ١٩٣٣

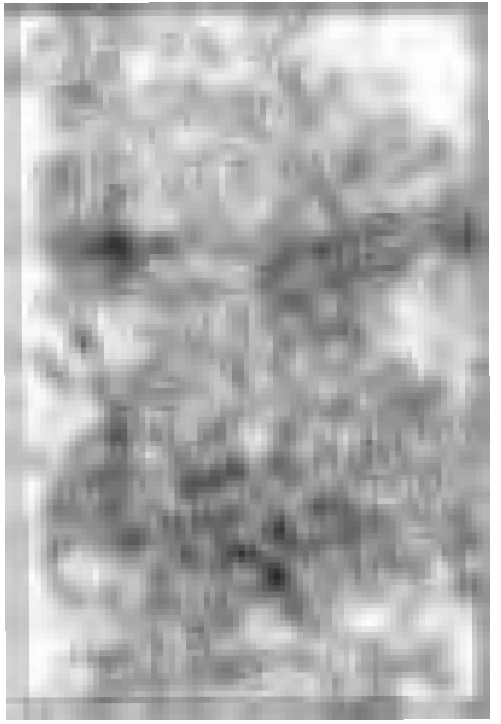

اول صورة للبقطين ظهرت في الكتب
الاوربية في كتاب طبع سنة ١٥٤٣
ودعي فيه «الخيار التركي»
امام صفحة ١٧٥

واذا انتهت بأني اسند الى الانسان الاولي اكثر مما يستحق أحب ان ابيّن ان الانسان الحديث — رغم ما اتقنهُ من وسائل الزراعة وزيادة المحصول واستحداث ضروب جديدة وتربية النباتات والحيوانات حتى تستطيع مقاومة الامراض . وتتمكن من ان تزكو في اقاليم مختلفة — اقول انهُ بالرغم من كل هذا لم يتمكن الانسان الحديث من اضافة نبات جديد او حيوان جديد الى النباتات والحيوانات التي دجّنها اسلافنا الاقدمون . وقد يقال ان ضروباً من العنب والتوت وغيرها استحدثت في العهد الاخير . ولكن الردّ على ذلك ان ليس منها نبات واحد يحسب من نباتات الغذاء الاساسية

***

فنحن اذاً مدينون ديناً عظيماً ، الى اولئك الناس المجهولين ، الذين اختاروا في العصور المتغلغلة في القدم طائفة من النباتات والحيوانات البريّة ، اللازمة لغذاء الانسان ، ولاءموها لما نحتاج اليهِ ، بالزراعة والتدجين . وقد اسدل ستار النسيان على هؤلاء المخترعين العظام ، قبل بداءة عهد التاريخ المدوّن ، لان اصول الزراعة لشدّة قدمها متصلة بالخرافات والاساطير . ففي الحضارات القديمة ، كان الناس يعمدون الى القوى التي من وراء الطبيعة لتعليل حصولهم على محصول ثابت من نبات معيّن ، سواء في ذلك مصر واليونان ورومية والصين وهنود اميركا . فالهة الذرة كان لها ذا مقام كبير بين آلهة الازتك في اميركا الوسطى . وفي مصر القديمة كان الناس يعتقدون ان الحنطة منحة من الاله اوزيريس وفي رومة الوثنية كان الحنطة هبة من الربّة سيريس Ceres ومنها لفظة Cereals في اللغات الفرنجية وهي تطلق على الحبوب بوجهٍ عام

قلنا ان تدجين النباتات والحيوانات ونشوء الحضارات الاولى انحصر في بعض المناطق المختارة . وعلى الضد من ذلك نجد مناطق شاسعة لم يكن لها اي قسط في احدى هاتين الناحيتين . فأميركا الشمالية الى الشمال من بلاد المكسيك ، واوستراليا وجانب كبير من اميركا الجنوبية وافريقية واوربا وآسيا ، كانت سهولاً قاحلة ، في ذلك العهد ، مع انها الآن من اخصب الروج

اما في اميركا فأشهر المناطق التي دجنت فيها النباتات والحيوانات هي البقاع المتوسطة والجنوبية من بلاد المكسيك . وبعض بلدان اميركا الجنوبية وبوجهٍ خاص بيرو واكوادور وبوليفيا وهي من البلدان التابعة لسلسلة جبل الانديس . اما في بر آسيا واوربا فكل البلاد الواقعة حول بحر الروم وآسيا الصغرى وبقاع محدودة في الهند والصين

***

في كل من المناطق المذكورة كان يوجد نباتات عليها العمدة الاولى في الغذاء وبها تمتاز البلاد وتتميز عن غيرها . ففي بلاد المكسيك كانت الذرة الغذاء النباتي الوحيد تقريباً . اما في بوليفيا واكوادور وبيرو فكانت البطاطس . وكان ثمة نباتات ثانوية في كلتا هاتين المنطقتين

مثل نباتات الفول العادي وفول ليما ونباتات واثمار اخرى. اما في برّ آسيا واوربا فكانت نباتات الغذاء الاساسية نباتات الحبوب العادية : القمح والشعير والشوفان oats والجويدار rye في حوض بحر الروم وآسيا الصغرى وجنوب آسيا الغربي. وكان ثمة حيوانات المناطق المعتدلة الآن ونباتاتها واثمارها. اما في الصين واليابان فكان نبات الارز هو النبات الاساسي للغذاء ولكن الحبوب الاخرى اتصلت بهذين البلادين من عهد قديم من آسيا الصغرى. وكان ثمة نباتات ثانوية لا يتسع المقام لتعدادها. وليس يختلف نبات الارز البري الذي ينبت في الهند وجنوب الصين الآن عن اصناف الارز الاليفة. ثم ان الباحثين عثروا على القمح والشعير والجويدار والشوفان والذرة وغيرها من الحبوب تنبت نباتاً بريًّا في بقاع مختلفة من آسيا الصغرى وجنوب آسيا الغربي

وكانت النباتات الغذائية الاليفة قبل اكتشاف كولومبوس لاميركا اي قبل سنة ١٥٠٠ ميلادية غير مشتركة بين برّ آسيا واوربا من جهة وبرّ اميركا من جهة اخرى. فلم يكن ثمة نبات اليف واحد ولا حيوان داجن واحد — عدا الكلب — موجوداً في نصفي الكرة الارضية. فلما بدأت الدول الاوربية تتوسع توسعها الاستعماري في القرن السادس عشر وما يليه، نقل المستعمرون معهم نباتاتهم وحيواناتهم الى مستعمراتهم في اميركا وعادوا من اميركا بنباتاتها وحيواناتها الممتازة بها. ففي العهد الذي تلا طواف مجلان حول الارض (١٥٢٠ ميلادية) كثر تبادل النباتات الاستوائية التي لها شأن اقتصادي بين جزائر الهند الشرقية واميركا عن طريق الملاحة في المحيط الهادىء. وكان للبرتقاليين والهولنديين والبريطانيين اكبر أثر في نشر هذه النباتات

***

واذا اجلت بصرك في مواطن الحضارات القديمة رأيت علماء الآثار مكبّين على البحث فيها للكشف عن اسرارها واستخراج كنوز فنونها وصناعاتها المطمورة في الارض. ففي العراق وفلسطين ومصر وسوريا واوربا الوسطى واميركا الوسطى وافريقية تقع عليهم يعانون كل ضروب المشاق حبًّا بتوسيع نطاق العلم. ومع ذلك ترى طوائفهم مختلفة شرّ اختلاف في تعليل الحقائق التي كشفوا عنها. ففي العالم الجديد طائفة من العلماء يدّعون ان الحضارات القديمة التي كشف عنها في اميركا الوسطى هي حضارة اميركية مستقلة لم تتأثر بحضارات العالم القديمة في فنونها ولا في علومها فكأنهم يريدون ان يطبّقوا مبدأ مونرو السياسي على الحضارات الاميركية. وفي العالم القديم طائفة اخرى لعلّ الاستاذ اليوت سمث — استاذ التشريح سابقاً في مدرسة القصر العيني — والاستاذ السر دانيال هول اكبر زعمائها، يرون ان العالم القديم هو منشأ الحضارة فالاول يرى في مصر هذا المنشأ والثاني يذهب الى ان الحضارة السومرية هي اقدم من الحضارة المصرية

قطعة خزفية تمثل « الدباء »
عند اهل بيرو في اميركا الجنوبية

مقتطف يوليو ١٩٣٣

قطعة خزفية تمثل آلة الذرة
عند اهل بيرو في اميركا الجنوبية

امام صفحة ١٧٧

والموضوع المختلف عليه هو هل الحضارة عمل متصل الحلقات محكمها اشتركت فيه كل امم الارض بالتتابع ولو كان نصيب بعضها اكبر من نصيب البعض الآخر . او هل نشأت الحضارة في أمم مختلفة على سطح الارض من غير اتصال بينها فاسفرت عن نتائج متماثلة . واول من ذهب من العلماء هذا المذهب الثاني كان الدكتور وليم روبرتسن مدير جامعة ادنبره الذي كتب « تاريخ اميركا » سنة ١٧٧٨ وتابعهُ في ذلك بعض علماء الالمان وايّدهُ الاستاذ تيلر بعض التأييد فقط لانهُ كان يرى ان بعض الادلة التي عثر عليها تؤيد المذهب المناقض. واقدم آثار الحضارة على ما نشاهدها في الآثار الفنية وجدت في كهوف فرنسا . والشعوب التي رسمت هذه الصور كانت تعرف الفيل والمموث . وقد دلت المباحث الجديدة في العراق وكريت ومصر ان اقدم آثار الحضارة متغلغلة في جوف التاريخ المظلم. والظاهر ان حضارة الهند وفنونها تلت الحضارة المصرية والسّمرية في النشوء ومنها اتصلت بالبلدان التي الى شرقها مثل كمبوديا . فاذا قيست حضارة اميركا السابقة لكولمبوس بهذه الحضارات ظهرت حديثة العهد لانها لا تشمل الاّ القرون العشرة الاولى من التاريخ المسيحي . فالمسئلة الآن هل نشأت حضارة اميركا الوسطى مستقلة او نقلت اليها اصولها من شرق آسيا عبر المحيط الباسفيكي ؟ فعماء الآثار الاميركيون يقولون انها نشأت مستقلة والاستاذ اليوت سمث يرى ان عناصر الحضارة الاميركية القديمة نقلت اليها من آسيا

فهل في البحث النباتي المتقدم اي دليل لحسم النزاع القائم بين العلماء على اصول الحضارة الاميركية

في سنة ١٨٨٢ وضع العالم ده شاندول كتاباً في اصول النباتات الاليفة ختمهُ بقوله :— « لم اجد في تاريخ النباتات المزروعة اثراً للاتصال بين الامم في العالمين القديم والجديد قبل ان كشف كولمبوس عن اميركا » وقد كان هذا الرأي في نظرهِ بمثابة حقيقة لا تحتاج الى دليل والتأييد والرأيُ في مجملهِ لا يزال مسلّماً بهِ عند معظم العلماء . وقد عاد الى الموضوع من عهد قريب (١٩٣١) الاستاذ فافيلوف الروسي فقال : ان الزراعة في اميركا في العهد السابق لكولمبوس نشأت مستقلة عن نشأتها في العالم القديم . فاذا كانت شعوب العالم الجديد جاءت اصلاً من آسيا كما يذهب معظم الباحثين ، فانها ولا ريب جاءت من دون النباتات التي أنشأتها وزرعتها . فتحويل النباتات البرية الى انيسة وزرعها كان عملاً مستقلاً كل الاستقلال في العالم الجديد

ودرس النباتات الاصيلة في نصف الكرة الغربي ، والنباتات الاصيلة في نصف الكرة الشرقي يسفر عن ان نباتات اميركا لم تظهر في آسيا واوربا ونباتات اوربا وآسيا لم تظهر في اميركا الاّ بعد توسع اوربا الاستعماري . وهذا يؤيد قول ده شاندول وفافيلوف واصحاب المذهب القائل بأن حضارة اميركا الاصلية نشأت مستقلة عن المؤثرات الاجنبية

السفياني

للاستاذ بشرلي جورجي
طلبة باكو

من يطالع كتب الانبياء يامعان يرى ان اليأس استولى عليهم او كاد في بادىء الامر اي على اثر سقوط دولتهم فأظلمت الدنيا في اعينهم وأخذوا يندبون امتهم بعبارات لا مثيل لها في آداب سائر الامم (راجع مراثي ارميا) ولم يعودوا ينتظرون من شدة ما اصابهم مساعدة من احد « لان جميع اخلاء اورشليم غدروا بها وصاروا لها اعداء » (مراثي ارميا ب) ولما لم يبقَ لهم امل في الخلاص القريب اضطروا ان يعلقوه على المستقبل البعيد حين يبعث الله « الفادي » ثم اخذوا يصوّرون هذا المستقبل المتحجب وراء الغيوم بما كانت توحيه اليهم مخيلاتهم المتهيجة المريضة وعواطفهم القومية المهانة ورغبتهم القوية في الانتقام من الصور الساحرة الخلابة التي هي اقرب الى الهذيان وأصنعاث الاحلام منها الى الممكنات المعقولة ولكن سرعان ما تحوّلت هذه الاحلام البعيدة الى آمال قوية في قرب « الخلاص » يوم غلب كورش ملك الفرس البابليين وضم بلادهم الى مملكته ثم اخذ يظهر من العطف على بني اسرائيل والرغبة في استمالتهم اليه لاعتبارات سياسية واقتصادية ما جعلهم ينظرون اليه نظرهم الى مسيحهم المنتظر [1] ليحررهم ويردهم الى بلادهم ويقيم العدل بينهم [2] وقد كان ذلك كما هو معلوم ولكن الى حين حتى اذا فقدوا استقلالهم مرة اخرى في ايام ذي القرنين وخلفائه ثم في عهد الرومانيين والبزنطيين عادوا الى احلامهم القديمة وآمالهم التي لم تتحقق وكذلك ظلوا يتقلبون بين اليأس والامل والشدة والفرج وينتظرون مخلصهم القومي [3] حتى قضي امرهم فتشتتوا في طول البلاد وعرضها يحملون في طيات افئدتهم عقيدتهم المعزّية ويبثونها بين الامم التي نزلوا اراضيها . هذه على ما ارى هي العوامل التي اوجبت ظهور الاعتقاد بالمسيح عند اليهود وقد اسهبت في بيانها لاعتقادي بأنها هي نفسها اوجبت انتشار هذا الفكر بين العرب المسلمين ايضاً وبين من اخذ عنهم الدين الحنيف وعلى الاخص بين الفرس

---

(١) « هكذا قال الرب لمسيحه كورش ... » (اشع ٤٥ : ١) « انتم شهودي وعبدي الذي اخترته » (اشع ٤٣ : ١٠) (٢) « انا اقيمه للعدل وسأقوم جميع طرقه » (اشع ٤٥ : ١٣)

(٣) غلبت الصفة القومية على سائر صفات « المسيح » في كتاب دانيال وذلك في ايام المكابيين في حين ان اشعيا وارميا وعاموس كانوا في بعض الاحيان يجردونه عن هذه الصفة ويصورونه بصورة « مخلص » عام تشمل رسالته الادبية جميع شعوب الارض (international)

لقد اجمع (*) مؤرخو الاسلام (١) ومن كتب في الفرق الدينية (٢) على ان القول بالمهدي او الامام المحتجب ظهر في الاسلام بعد وفاة النبي وانتقل الى العرب خاصة والمسلمين عامة عن اليهود . على اني ارجح ان هذا الاعتقاد كان شائعاً في امم المدن العربية بين بعض الفرق الدينية كالحنفيين والكسائيين والصابئيين قبل الاسلام وان النبي العربي كان يعلم ذلك قبل ان يظهر دعوته وانما اليهود والنصارى المتهودون (٣) نقلوا الى العرب بعض تفاصيل هذا الاعتقاد وبعض خرافات واحاديث خلقها جهلهم وتخيلاتهم المصابة بالحمى. وقد ذكر ابن خلدون بعض هذه الاحاديث في مقدمته فليراجعها هناك من اراد التوسع في هذا الموضوع .فمن ذكروا بين الذين ادخلوا على الاسلام هذا التعليم عبد الله بن سبا وعبد الله بن السوداء وغيرهما وكلهم كانوا من اليهود الذين « اظهروا الاسلام ليفسدوا — كما يقول صاحب « الفرق بين الفرق »(٤) — على المسلمين دينهم بتأويلاتهم في علي وأولاده » الذي غالوا فيه حتى جعلوه إلاهاً وقالوا انه لم يقتل وانما قتل شيطان في صورة انسان (٥) وانه صعد الى السماء كما صعد اليها عيسى بن مريم ثم انه سينزل منها — القول في الرجعة — لينتقم من اعدائه و « يملك الارض بمذافيرها» (٦) وهذه الفرقة تزعم ان المهدي هو علي دون غيره . وقد تبعها في ذلك اكثر الروافض كالزيدية والامامية والكسائية والاسماعيلية وسائر الغلاة مع اختلاف بينهم في شخص المهدي واسمه او الامام المنتظر بين ان يكون عليًّا نفسه او احد ابنائه او احفاده على انهم قد اجمعوا على ان المهدي لا بدَّ ان يخرج من بيت علي او من بيت النبي وعترته وقد تسرب هذا الاعتقاد الذي كان في اول الامر محصوراً في شيعة علي الى اهل السنة والجماعة حتى اصبح عقيدة عندهم او كاد فلم يبق محدث الا تناوله وخاض فيه ووضع فيه من الاحاديث (٧) ما وافق عصره ودرجة ثقافته وشيعته الدينية او السياسية وصفاته الشخصية الى غير ذلك من المؤثرات الداخلية والخارجية . ونحن انما يهمنا من كل ذلك ان نعلم أن القول في المهدي لم ينتشر بين المسلمين الا بعد ان قتل علي بن ابي طالب ولن الذين ادخلوه كانوا من اليهود وان الغرض من مجيء المهدي — وهذا هو الاهم — كان في اول الامر سياسيًّا محضاً ولم يتحول

(*) قول الاستاذ هنا باجماع مؤرخي الاسلام ! ! باطل لا يستند الى دليل قوي ، وكم رجل او رجلين فيما روى من الاحاديث عن ظهور المهدي (ولا قول الامام المحتجب) لا تعد اجماعاً عند مؤرخي الاسلام على هذا القول ، ونحن لا نقر الاستاذ على ما وصف به امة الاسلام في كلامه هذا من اختلاق الاحاديث والجهل والتخيل المحموم [محمود محمد شاكر]

(١) انظر على الاخص الفصلين الذين عقدهما ابن خلدون في مقدمته على « الفاطمي» وما ذهب اليه الناس فيه ثم على الملاحم وما جاء من أهم ما كتب في هذا الموضوع على الاطلاق (الفصلان ٥٣ و٥٤ من طبعة المطبعة البهية ص ٢٧١ — ٢٩٩) (٢) راجع كتاب « الفرق بين الفرق» لابي منصور البغدادي وكتابي ابن حزم والشهرستاني في الملل والنحل وغيرهم (٣) يظهر ان كلة نصارى الواردة في القرآن لم تكن تشمل جميع المسيحيين بل فرقة منهم عرفت قديماً بهذا الاسم (٤) ص ٢٢٥ (٥) وهذا ما ادعته بعض الفرق (Docètes) في عيسى المسيح (سورة ٤ آية ١٥٦) (٦) الفرق بين الفرق ص ٢٢٤ (٧) وقد نقد اكثرها ابن خلدون وغيره من رواة الحديث المحققين

الى غرض اجتماعي واخلاقي الاَّ مع الزمن وبعد ان فشل اصحاب علي مرات عديدة يؤيد ذلك اكثر الاحاديث واقدمها وهي تصرح بأن « المهدي » سيظهر « لينتقم من اعداء علي وبيته ويملك الارض كلها » وانه متى تم مهمتُه هذه عاد الى حيث اتى. وهٰذا اجمعوا او كادوا يجمعون على ان رسالته هذه سوف لا تستغرق اكثر من «سبع او تسع سنوات » « ويكون في امتي المهدي ان قصر فسبع والاَّ فتسع فتنعم امتي فيه نعمة لم ينعموا بمثلها قط تؤتي الارض اكلها ولا يدخر منه شيء والمال يومئذ كدرس فيقوم الرجل فيقول يا مهدي اعطني فيقول خذ »[1]. وجاء في حديث آخر عن جابر ان النبي قال « يكون في آخر امتي خليفة يحثي المال حثياً لا يعده عدًّا »[2] وعن ابي سعيد الخُدْرِيّ « يخرج في آخر امتي المهدي يسقيه الله الغيث وتخرج الارض نباتها ويعطي المال صحاحاً وتكثر الماشية وتعظم الامة يعيش سبعاً او ثمانيا (حجحاً) »[3] الى غير ذلك من الاحاديث التي تنسب الى المهدي اغراضاً سياسية مادية وتحصر رسالته في امته فقط. الاَّ انهُ لم تمضِ على ظهور هذا الاعتقاد مائة سنة او نحو ذلك حتى صاروا ينسبون اليهِ اغراضاً اجتماعية واخلاقية كقولهم بان المهدي المنتظر سيملأ متى ظهر « الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً »[4] ولعلهم انما ارادوا «بالعدل والقسط» الانتقام من اعداء علي وبيتهِ وردّ الحكم ومصادر الثروة والقوة اليهم فيكون حينئذٍ الغرض من مجيء المهدي سياسيًّا محضاً وهو ما ارجحهُ لاسيما وان اكثر شيعة علي والذين غالوا فيهِ وفي ابنائهِ كانوا في هذا الوقت من الفرس الذين لم يتشيعوا لعلي وابنائهِ في بادىء الامر الاَّ لغاية سياسية معلومة ألا وهي استرداد ملكهم وما فقدت ايديهم من خيرات هذه الدنيا

على كل حال لا ريب في ان الغرض الاساسي من ظهور القول بالمهدي بين الشيعيين كان في اول الحركة سياسيًّا وعليهِ لا اظنني بعيداً عن الحقيقة اذا صرّحت بان الاحزاب السياسية الاخرى والقبائل العربية التي ظهر بينها القول بالمهدي او بما يرادفه هذا الاسم اخذت هذا الاعتقاد عن الشيعيين رأساً لا عن اليهود او عن المسيحيين واكبر دليل على ذلك في نظرنا هو ان هذه الاحزاب او القبائل حصرت الغرض من مجيء « المهدي » او الامام في امر واحد وهو اعادة الحكم واسبابهِ اليها اذا كانت اضاعته او اعطاؤها اياه اذا لم تكن بعد وصلت اليهِ. وكل ذلك ظاهر ان كان في خبر « السفياني » او « مهدي » بعض القبائل العربية الذين لم يقدّر لهم ان يلعبوا دوراً هامًّا في تاريخ العرب « كالقحطاني »[5] في اليمن و« التميمي »[6] عند المضرية و« الكلبي »[7] عند بني كلب في اليمن وغيرهم ممن لم تبلغنا اخبارهم ولهذا نعرض عن ذكرهم مقتصرين على خبر « السفياني » مهدي بني سفيان

---

(١) و (٢) و (٣) مقدمة ابن خلدون ص ٧٥ ومسند احمد ٣:٣٦ (٤) ابن خلدون ص ٢٧٤
(٥) و(٦) و(٧) راجع عنهم تأليف van Vloten تحت عنوان Recherches sur la domination arabe, le chiitisme et les croyances messianiques sous le Khalifat des Omayyades p. 61 Amsterdam 1894

جاء في كتاب الاغاني (١٦ : ٨٨) ان اول من وضع خبر السفياني وكتبهُ « هو خالد ابن يزيد بن معاوية وانهُ اراد من ذلك ان يكون للناس فيه طمع حين غلبهُ مروان بن الحكم على الملك وتزوج امهُ ام هاشم » وهذا الحديث مرفوع الى مصعب عم الزبير الا ان صاحب الاغاني او من نقل عنهُ بعد هذا الخبر وهماً من مصعب لان خبر « السفياني قد رواه غير واحد وتتابعت فيهِ رواية الخاصة والعامة وذكر خبر امره ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين وغيره من اهل البيت » على اني ارجح اليوم [1] بان الواهم هو صاحب الاغاني لانهُ خلط على ما يظهر لي بين كلام جعفر المذكور وغيره من اهل البيت في المهدي المنتظر على العموم وبين الكلام عن « السفياني » بطل بني امية او بالاحرى بني سفيان وشتان ما بين هذا وذاك من الفرق فقد رأينا ان دعوة المهدي اصبحت مع الزمن عامة تشمل جميع المسلمين وان الغرض من مجيئهِ اصبح اجتماعيًّا اخلاقيًّا اكثر منهُ سياسيًّا في حين ان رسالة السفياني كانت دائماً سياسية ومحصورة في بني سفيان ثم في بني امية بعد ان سقطت دولتهم وانتقل الملك الى بني العباس ولم يكن غرضها الا اعادة الملك الى بني امية حتى اذا ردّ اليهم انتهت دعوة « السفياني » ولم تعد حاجة اليهِ ولهذا السبب لم يشع خبره والاعتقاد برسالته الا بين شيعتهِ وحلفهم او كلهم من عرب سوريا وفلسطين وبعض الناقمين على بني العباس من العرب وغيرهم ولهذا ايضاً قالوا ان مدة بقاء السفياني في اصحابه لا تزيد على تسعة اشهر او ما يقرب من ذلك كما يؤخذ من الحديث الآتي : « قال ابو جعفر محمد بن علي كم تعدّون بقاء السفياني فيكم قلت حمل امرأة — تسعة اشهر — قال ما اعلمكم يا اهل الكوفة » [2] وجاء في حديث آخر ان منصور بن الاسود قال : أتيت جابر الجعفي أنا والاسود اخي فقلنا لهُ إنا قوم نضرب في هذه التجارات وقد بلغنا ان الرايات قد قطع بها الفرات فماذا تشير علينا وماذا تأمرنا ؟ قال اذهبوا حيث شئتم من ارض الله تعالى حتى اذا خرج السفياني فانطلوا عودكم على بدئكم » [3]

ومما يرجح القول بان خالد بن يزيد بن معاوية هو الذي وضع خبر السفياني هو ان خالداً كان يطمع في الملك لانهُ كان اكبر ابناء يزيد فكان يجب ان يرثهُ طبقاً للنظام الذي وضعهُ معاوية جرياً على سنة البزنطيين الذين كان يتأثرهم في ادارة البلاد الا ان خالداً لم يرث اباه كما هو معلوم بل ورثهُ مروان بن الحكم واولاده من بعده وبذلك انتقل الملك الى المروانيين وهذا ما لم يكن ليرضى عنهُ بنو سفيان او بعضهم . ومن ذلك ايضاً ان خالداً كان من اشهر علماء عصره بين العرب وكان متفرغاً « لطلب الحديث وقراءة الكتب وعمل الكيمياء » [4] ولهذا لم يكن ليخفى عنهُ امر المهدي وخطورة هذا الفكر وسعي اهل الشيعة في حصره في بيت علي واستغلاله في مصلحتهم فهل يلام خالد او يستغرب منهُ اذا هو اخذ هذا الاعتقاد عن اعدائهِ

(١) خلافاً لما قلته في مقالتي « حين العرب الى بني امية » فليصلح هناك (٢) كتاب الاغاني ١٦ : ٨٨
(٣) الاغاني ١٦ : ٨٨ (٤) الاغاني ١٦ : ٩٠

واستعمله لمصلحته ومصلحة بيته؟ ومهما يكن من الامر فلا ريب في ان القول «بالسفياني» ظهر في الاسلام بعد ان انتشر الاعتقاد بالمهدي عن العموم وبعد ان اضاع بنو سفيان الخلافة ولا ريب كذلك في ان سوريا كانت منشأ هذا الاعتقاد وساحة الحروب التي نشأت عنهُ وان كلمة «السفياني» اصبحت شعار عرب سوريا ينادون بهِ كلما ثاروا على اصحاب السلطة الجديدة ويؤلبون تحته غير الراضين عنها وعن نظامها وادارتها. وقد عرف بنو العباس ذلك منهم فكانوا يخشونهم ويكرهون سماع كلمة «السفياني» كما يُستفاد من الحديث الآتي. ذكر الطبري: «ان رجلاً تمرَّض للمأمون بالشام مراراً فقال له يا امير المؤمنين انظر لعرب الشام كما نظرت لعجم اهل خراسان فقال (المأمون) اكثرت عليَّ يا اهل الشام. والله ما ازلت قيساً[1] عن ظهور الخيل الاَّ وانا أرى انهُ لم يبق في بيت مالي درهم واحد واما اليمن فوالله ما احببتها ولا احبتني قط واما قضاعة فسادتها تنتظر السفياني وخروجهِ فتكون من اشياعه[2] اعزب فعل الله بك!»

وقد حاول عرب سوريا — لجنوبية والشمالية — مراراً ان يردوا الملك الى بني امية فلم يوفقوا للاسباب التي بيناها في مقالتنا السابقة وكم من مرة شقوا عصا الطاعة على بني العباس باسم السفياني فلم يفلحوا على ان ذلك لم يكن ليقعد بهم عن القيام ضد الدولة المبغوضة عندهم كلما سنحت لهم فرصة

ذكر أصحاب التاريخ ان اول ثورة ضد حكم بني العباس ذكر فيها اسم السفياني كانت ثورة علي بن عبدالله بن يزيد بن معاوية الملقب بابي العميطر في الشام وذلك في ذي الحجة من سنة ١٩٥هـ — ٨١٠م والذي يؤخذ من كلام الطبري[3] وابن الاثير[4] ان ابا العميطر «دعا لنفسه بالخلافة مدعياً انه السفياني المنتظر وقوي على سليمان بن المنصور (بن أبي جعفر) عامل دمشق فاخرجه عنها بعد حصره اياه واعانه على ذلك الخطاب بن وجه الفلس مولى بني أمية وكان أكثر أصحابه من كلب» ولولا اختلافه[5] مع محمد بن صالح بن يهيس الكلابي الذي كان دعاه الى طاعته فلم يجبه الى ذلك ولولا انقسام بني أمية الى حزبين سياسيين مناوئين على الملك لكان للسفياني شأن آخر في سوريا

ثم ظهرت حركة المبرقع الفلسطيني «السفياني» في فلسطين سنة ٢٢٧هـ/٨٤١م و «السفياني» الموسوس في الشام سنة ٢٩٤هـ — ٩٠٦م وهو «سفياني» آخر في طرابلس (ابن الاثير ٧: آخر الصفحة) وغيرهم ممن ذكرنا اخبارهم في مقالتنا السابقة فلتراجع هناك. ولم ينته أمر السفياني الاَّ بعد ان سقطت دولة بني العباس في أيدي السلاجقة ثم المغول حين لم يبق داعٍ الى النزاع بين الاحزاب العربية السياسية القديمة وحين عمَّ الاعتقاد بوجوب ظهور مهدي عام «يملأ الارض قسطاً وعدلاً» ويحيي الامة العربية جميعها ويرد اليها عزها السالف ويوحد كلمتها ...

فهل يكون ذلك يا ترى ومتى؟ وهل يكون عن يد «السفياني» أم عن يد شخص آخر؟

---

(١) شيعة بني امية وجندهم المجرب (٢) ١٠: ٢٩٦ (٣) ١٠: ١٥٥ (٤) ٦: ٨٩ — ٩٠ من الطبعة المصرية (٥) «ولما عرض ابن يهيس جعم رؤساء بني تميم فقال لهم تزوني ما اصابني من علي هذه فارفقوا ببني سفيان وعليكم بمسلمة بن يعقوب ... ابن مسلمة بن عبد الملك فانه ركيك وهو ابن الخنكم واعلموه انكم لا تتبعون بني ابي سفيان وبايعوه بالخلافة وكيدوا به «السفياني»

فكرة اللانهاية[1]

للدكتور علي مصطفى مشرفة
استاذ الرياضة التطبيقية في كلية العلوم بالجامعة المصرية

اللانهاية كلمة تعبر عن معناها تعبيراً حرفيًّا من دون حاجة من جانبي او جانب اي شخص آخر الى تفسير. فـ«لا» النافية، ونهاية حدٌّ او آخر أو طرف، والمعنى إذن ما لا حدَّ له او ما لا آخر او طرف له. فيقال لشيء انهُ لانهائي إذا لم يوجد له حدّ او نهاية. وعكسه الشيء المتناهي أو المحدود

وقد يخطر لاول وهلة أن كل شيء يجب أن يكون محدوداً قبل أن نستطيع الكلام عنهُ كلاماً مضبوطاً وإلاّ فنحن نتكلم عن شيء نجهل حدوده فنهرف بما لا نعرف. ولكن هذا الخاطر سرعان ما يفارقنا إذا نحن بحثنا في الامر بشيء من التدقيق. ولأضرب لكم مثلاً على ذلك. فنحن نستطيع ان نعدد الاعداد الصحيحة الموجبة بترتيب تصاعدي فنقول واحد اثنين ثلاثة الخ. ثم إنهُ من الصعب على العقل البشري أن يتصور وجود حد أعلى لهذه الاعداد إذ كلما ذكر عدد أمكن دائماً ذكر عدد اكبر منهُ. فعدد هذه الاعداد إذن نستطيع ان نقول عنهُ إنهُ لانهائي. ونستطيع أن نزيد على ذلك فنبحث في خواص هذا العدد فنحكم مثلاً بأننا اذا قسمنا الواحد الصحيح على هذا العدد فإن خارج القسمة يكون اصغر من أي كسر موجب اي يكون الصفر. وكل هذه عبارات مضبوطة لا اعتراض عليها من الناحية المنطقية كما أنها تنطوي على حقائق لها شأنها في المباحث الرياضية البحتة منها والتطبيقية. وربما قبل ان عدد الاعداد الصحيحة الموجبة وإن أمكن الكلام عنهُ الاّ انهُ لا يمكن اعتباره شيئاً موجوداً في العالم الخارجي او حقيقة واقعة كما يمكن اعتبار العدد ٣ مثلاً رمزاً على حقيقة واقعة كثلاث برتقالات وثلاثة رجال الخ. وقبل ان اخوض في هذه الناحية الفلسفية لموضوعي أريد ان اواصل كلامي اولاً عن الكميات اللانهائية باعتبارها اشياء موجودة في ذهن المتكلم لهُ أن يعرّفها ويحدد معانيها وأن يبحث في النتائج المنطقية لهذه التعاريف وفي الارتباط بينها وبين غيرها من المعاني الذهنية

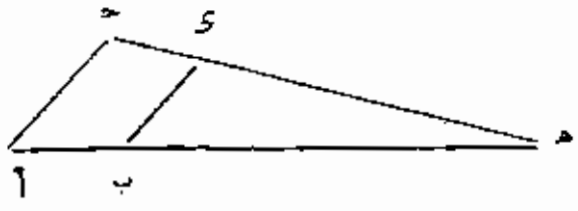

لنفرض اننا رسمنا مستقيمين متوازيين أ حـ ، ب ء من نقطتين ثابتتين أ ، ب ثم وصلنا حـ ء فقطع امتدادها امتداد أ ب في نقطة هـ

(١) من محاضرات المجمع المصري للثقافة العلمية في مؤتمره الرابع

فاذا علم طول كل من أ ب ، أ حـ وعلم الفرق بين طولي أ حـ ، ب ء فان طول أ هـ يتعين بطريقة هندسية بسيطة من العلاقة

$$\text{طول } أ\ هـ = \frac{\text{طول } أ\ ب \times \text{طول } أ\ حـ}{\text{الفرق بين طولي } أ\ حـ ، ب\ ء}$$

واذا نحن تأملنا في هذه العلاقة وافترضنا ان أ حـ ، ب ء اقتربا الواحد من الآخر في الطول بحيث صغر الفرق بينهما فان مقام الكسر الذي على اليسار يصغر وبذلك تكبر قيمة الكسر . ثم أريد أن تعتبروا الحالة التي فيها يكون أ حـ ، ب ء متساويين في الطول تماماً . قد يظهر لاول وهلة أن الكسر على اليسار يصبح عديم المعنى لان معناه يقتضي تحديد معنى قسمة عدد محدود على الصفر وهي عملية لا نتعلمها عند ما نتعلم القسمة ولكن انظروا معي الى المسئلة الهندسية الاصلية في هذه الحالة

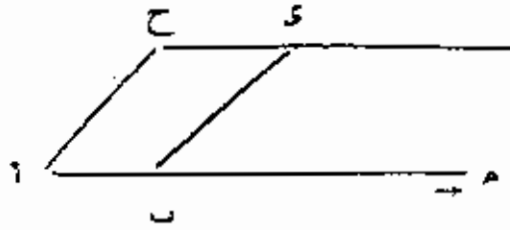

ان المسئلة الهندسية لا تزال مسئلة معيَّنة وكل ما هنالك ان حـ ء يوازي أ ب بدلاً من ان كان مائلاً عليه ومعنى هذا ان طول أ هـ يزداد بدون حد

هذا مثال من خاصية معروفة للكميات اللانهائية في الكبر نعبر عنها بما يأتي :— خارج قسمة أي كمية محدودة على الصفر يساوي كمية لا نهاية لكبرها واذا رمزنا للكمية التي لا نهاية لكبرها بالرمز ∞ فاننا نكتب

$$\infty = \frac{\text{كمية محدودة}}{\text{صفر}} \quad (١)$$

والعلاقة السالفة بين اطوال المستقيمات نمكن كتابتها على الصورة الآتية

$$\text{الفرق بين طولي } أ\ حـ ، ب\ ء = \frac{\text{طول } أ\ ب \times \text{طول } أ\ حـ}{\text{طول } أ\ هـ}$$

ومن ذلك نرى بنفس الطريقة السابقة

$$\text{صفر} = \frac{\text{كمية محدودة}}{\infty} \quad (٢)$$

ترون مما تقدم أن العلاقتين (١) ، (٢) صحيحتان مهما كان مقدار الكمية المحدودة (ما دامت محدودة) فمثلاً

$$\infty = \frac{١}{\text{صفر}} \ ، \ \infty = \frac{٢}{\text{صفر}} \ ; \ \infty = \frac{٣}{\text{صفر}}$$

وكذلك $\frac{١}{\infty} = \text{صفر}$ ، $\frac{٢}{\infty} = \text{صفر}$ ، $\frac{٣}{\infty} = \text{صفر}$

فاللانهاية إذن مرتبطة ارتباطاً متيناً بالصفر وهي في الواقع مقلوب الصفر كما ان الثلث مقلوب الثلاثة والربع مقلوب الاربعة . أريد ان تتذكروا هذه العلاقة البسيطة بين الصفر واللانهاية عند ما يأتي الكلام على الوجود الخارجي للانهاية لان الوجود الخارجي للصفر ليس من الامور الصعب تصورها . فمن الممكن جداً ان يكون ما في جيبي الآن من القروش يساوي الصفر [مع انني لن اطلب منكم ان تستنتجوا من ذلك ان من الممكن أن يكون ما في جيبي من القروش يساوي اللانهاية] ولكن مع ذلك يصعب من الناحية المنطقية تصور الوجود الخارجي لعدد وانكار الوجود الخارجي لمقلوبه . اي تصور وجود ما هو متناه في الصغر وانكار وجود ما هو متناه في الكبر

ولا اريد ان اخوض بكم في العلاقات الرياضية المختلفة بين الاعداد اللانهائية والعلاقات بينها وبين الكميات المحدودة وفي كيفية تطبيق العمليات الجبرية على الاعداد اللانهائية فان ذلك يخرج هذه المحاضرة عن صبغة المحاضرات العامة ويدخلها في صف المحاضرات المدرسية . وانما أكتفي بان اذكر انه من الممكن تعميم العمليات الحسابية والجبرية بحيث يمكن تطبيقها على الكميات اللانهائية بطريقة منطقية مضبوطة . تقولون كل هذه امور قد تهم الرياضيين والفلاسفة ولكننا لا نرى بينها وبين حياتنا اليومية ارتباطاً واضحاً ولكن فكروا معي نحن في حياتنا اليومية وفي تفكيرنا العادي ألسنا نقسم زماننا ومساقاتنا الى اقسام ؟ ألسنا نعتبر اننا نعيش في لحظات متتالية

دقات قلب المرء قائلة لهُ ان الحياة دقائق وثواني

ثم اذا نحن انتقلنا او تحركنا ألسنا دائماً نعتبر اننا ننتقل من « نقطة » الى نقطة اخرى . ففكرة اللحظة وفكرة النقطة ، كلاهما أساس في تفكير البشر عامتهم وخاصتهم

ثم اذا سئلنا ما هي اللحظة ؟ ألا يكون جوابنا انها جزء من الزمن متناهٍ في الصغر ! على هذا الاساس ألا تكون أية مدة محدودة في نظرنا عبارة عن عدد لانهائي من اللحظات المتتالية ؟ فاللحظة في التفكير العادي هي جزء من الزمن مدتهُ الصفر وإذن فلا سبيل الى تكوين مدة محدودة من لحظات الا بجعل عددها لا نهائياً في الكبر او بعبارة اخرى لا ندحة عن قسمة المدة المحدودة من الزمن في تفكيرنا الى عدد لا نهائي من الاقسام يسمى كل قسم باللحظة وهذا هو نفس المعنى الذي عبرت عنهُ منذ مدة وجيزة بالعبارة

$$\frac{\text{كمية محدودة}}{\infty} = \text{صفر}$$

وكذلك الحال لدى تفكيرنا في المسافات فهي مجموع عدد لا نهائي من النقط . فالتفكير العلمي والتفكير الرياضي إنما في الواقع الا متابعة طبيعية للتفكير العادي يتوخى فيه زيادة الضبط والتدقيق في التعبير . افرضوا معي اننا قسنا مستقيماً أ ب طوله متران إلى نصفين

بواسطة نقطة $أ_1$ ثم قسمنا الجزء $أ_1$ ب إلى نصفين بواسطة نقطة $أ_2$ ثم قسمنا الجزء $أ_2$ ب إلى نصفين بواسطة نقطة ٣ وهكذا

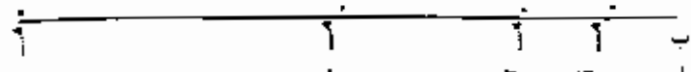

ثم فكروا في الاقسام

$أ_1 أ_2$ ، $أ_1 أ_3$ ، $أ_2 أ_3$ ، $أ_1 أ_4$ ، $أ_2 أ_4$ ، $أ_3 أ_4$ ، $أ_1 أ_5$ ، وهكذا

ان طول $أ_1 أ_2 = ١$ ، $أ_2 أ_3 = \frac{١}{٢}$ ، $أ_3 أ_4 = \frac{١}{٤}$ ، $أ_4 أ_5 = \frac{١}{٨}$ وهكذا

ان العقل البشري يستطيع تصور استمرار هذه العملية بدون نهاية بل هو لا يستطيع تصور نهاية لعملية الحادثة في الذهن وإن كان الحدوث في الخارج يقتضي وجود آلات للتقسيم. ولكن العملية « الذهنية » لا نهاية لها فالاقسام $أ_1 أ_2$ ، $أ_2 أ_3$ ، $أ_3 أ_4$ الخ لانهاية لعددها ولكن فكروا في مجموعها . ان نظرة بسيطة الى الشكل تدلكم على ان نقط التقسيم قد تقرب من النقطة ب ولكن لا يمكن ان تتعداها

ان مجموع اطوال الاقسام $أ_1 أ_2 + أ_2 أ_3 + أ_3 أ_4 + \cdots$ لا يمكن أن يزيد على طول المستقيم أ ب أي على مترين . واذن فـ

$١ + \frac{١}{٢} + \frac{١}{٤} + \frac{١}{٨} + \frac{١}{١٦} +$ الخ لا يزيد على ٢

والعقل البشري يستطيع ان يقرر اكثر من ذلك فهو يستطيع ان يقرر انهُ اذا زاد عدد هذه الاقسام بدون حد فان الفرق بين مجموعها وبين العدد ٢ ينقص بدون حد حتى يساوي الصفر أي أن

$٢ - (١ + \frac{١}{٢} + \frac{١}{٤} + \frac{١}{٨} + \frac{١}{١٦} + \cdots \infty) =$ صفر

هذا مثال محسوس للحقيقة الآتية وهي أن مجموع كميات عددها لا نهائي يكون في بعض الاحوال محدوداً . من هذه الحقيقة على وجه الخصوص نشأ خطر دراسة الاعداد اللانهائية من حيث تطبيقها في المسائل العملية وعدم ادراك هذه الحقيقة ينشأ عنهُ اختلاط في التفكير. ومن المغالطات المشهورة المغالطة الآتية وهي ان سلحفاة سابقت ارنباً فتقدمتهُ بمتر عند البدء في حركتها وكانت تتحرك هي بنصف سرعتهِ فاكي يلحق بها الارنب وجب عليهِ أن يقطع المتر الذي بينهما ولكن بينما هو يقطعه تقطع هي نصف متر وبينما هو يقطع هذا النصف المتر تقطع هي ربع متر وبينما هو يقطع الربع المتر تقطع هي ثمن متر وهكذا فاذن لن يلحق بها ابداً . والمغالطة منشؤها افتراض ان مجموع المتر والنصف للمتر والربع المتر الخ لانهائي في الكبر مع انهُ كما ترون محدود ويساوي مترين تماماً. واذا عرفت سرعة الارنب وكانت متراً في

الدقيقة مثلاً فاننا نحكم بأنهُ سيلحق بها بعد دقيقتين

والآن انتقل بحضراتكم الى الناحية الفلسفية من الموضوع ومدارها هل الكمية اللانهائية موجودة فعلاً في الخارج . اذا نظرتم الى المثال السابق وجدتم ان مجموع الكميات $1+\frac{1}{2}+\frac{1}{3}+\cdots\cdots=\infty$ التي عددها لانهائي . حقيقة واقعة في الخارج وتساوي مترين

ولكن هل الكميات ذاتها 1 ، $\frac{1}{2}$ ، $\frac{1}{3}$ موجودة على المستقيم $\overline{أ\ ب}$ اي هل هناك طول مقداره متر وآخر طوله نصف متر وهكذا على المستقيم ؟

اظنكم ستتفقون معي على ان المستقيم $\overline{أ_1\ أ}$ موجود في الخارج وكذلك $\overline{أ_2\ أ}$ ، وكذلك $\overline{أ_3\ أ}$ وكل ما يستطيع الرياضي ان يقوله للفيلسوف في هذه الحالة :— « اذا كان بين هذه المستقيمات ما ليس في رأيك موجوداً على المستقيم فقل لي ايها ؟ اما اذا عجزت فانني سأستمر اتكلم عنها كما لو كانت كلها حقائق واقعة في الخارج »

ولكني لا أزعم ان المسئلة بسيطة الى هذا الحد . لنفرض اننا بدلاً من جعل الأطوال $\overline{أ_1\ أ}$ ، $\overline{أ_2\ أ}$ وهكذا مساوية لمتر ونصف متر الخ ، جعلناها كلها متساوية ويساوي كل منها الوحدة ففي هذه الحالة من البديهي ان مجموعها لايكون محدوداً كما ان عددها ليس بمحدود . سنكون ازاء مستقيم طوله في ازدياد مستمر فهو اطول من اي مستقيم تستطيع تصور مقاسه . والمسئلة اذن مؤداها البحث في خواص الفضاء الذي نعيش فيه . ان الرياضي والفيلسوف يسلمان معاً بأن طول المستقيم لا يمكن تمثيله بأي عدد من الاعداد المحدودة ولكن هل مثل هذا المستقيم شيء موجود ؟ ماذا يحدث عند ما تستمر في مدّ مستقيم ؟ وبعبارة اخرى ما يحدث عند ما نتحرك في الفضاء ؟ هل نستمرُّ نبتعد عن النقطة التي بدأنا منها ونستمرُّ ننظر الى مبدإ رحلتنا كلحظة ماضية ام نعود الى حيث بدأنا ولو بعد حين كما يعود المسافر حول الارض الى النقطة التي بدأ منها . هنا يمتزج التفكير الرياضي بالتفكير الفلسفي . ان خبرتنا في السنين الاخيرة التي نشأت عن دراستنا للعالم الذي نعيش فيه قد أدت بنا الى آراء في خواص الزمان والمكان تختلف اختلافاً بيّناً عمّا كان مألوفاً بيننا من قبل . فلكي نبحث عن الوجود الخارجي لمستقيمنا اللانهائي يجب اولاً ان نتخلص من آرائنا الموروثة عن خواص المكان والزمان والتي نشأت عن افتراضنا تعميم خبرتنا المحدودة بحيث تشمل انحاء الفضاء وتعميم فكرتنا عن الزمان الذي نشعر بمروره بحيث تشمل الماضي والمستقبل جميعاً . ولست أحب ان اخوض بكم الليلة في بحث النظرية النسبية ولكني اكتفي بأن اذكر ان مستقيمنا «اللانهائي» ربما كان بدلاً من توغله في فضاء لا نهائي كما نتصور هو في الواقع ملتوٍ على نفسه كما يلتوي خط الاستواء على نفسه فيعود الى حيث بدأ بحيث ان ابعد مسافة يمكن الوصول اليها هي في الواقع ونفس الامر مسافة محدودة وان كانت كبيرة نسبيًّا بحيث تقارن بابعاد النجوم القريبة عنا

نبذة عن البترول

بقلم المستر فرانكن مدير شركة الزيوت الانكليزية المصرية [1]

هل خطر لاحدكم ان يسائل نفسه من أين يأتي الكيروسين المعروف لنا بالجاز والذي به نطهي الطعام ونضوء بيوتنا في الشتاء والذي يستضيء السواد الاعظم من أهل هذه البلاد وكيف نحصل عليه وما هو مصدره الطبيعي . يجد القراء فيما يلي جواباً عن هذه الاسئلة بقلم المهندس الهولندي البارع المستر فرانكن مدير الشركة الانكليزية المصرية لحقول البترول المقيم بالغردقة صاحب الفضل في اقامة الاعمال الكبرى بحقول البترول في تلك البقعة الصحراوية النائية والموضوع ينقسم الى المسائل الآتية : — (١) تاريخ تطور صناعة البترول (٢) أصل زيت البترول وما يصحبه من غازات (٣) الطرق المتبعة في حفر آبار زيت البترول واستخراجه من باطن الارض

﴿ تاريخ صناعة البترول ﴾ من الامور التي يشوقنا تتبعها معرفة درجات التطور التي مرت بها صناعة البترول من أول بدئها الى وقتنا الحاضر . واذا نحن علمنا ان محصول العالم من هذه المادة عام ١٨٥٩ لم يتجاوز ثلثمائة طن وانه يبلغ الآن تيف ومائتي مليون طن في كل عام فلا شك اننا ندرك ان ذلك التطور كان عظيماً

ولم تكن عمليات حفر الآبار للحصول على البترول في ابتداء عهدها مقيدة بنظام خاص او قائمة على أساس تراكيب جيولوجية معينة بل كان لكل من شاء ان يدعي العلم بمواطن البترول وطرق استنباطه . واني لاذكر في ذلك الوقت ان أحد مديري شركة من شركات البترول اراد انتخاب بقعة يحفر فيها بئراً فطوّح بقبعته في الهواء حتى اذا هبطت الى الارض اختار موقع هبوطها لحفر بئره . ومن محاسن الاتفاق ان هذه البئر كانت من اغزر ما عرف من آبار البترول . ويقولون والعهدة على من روى انهم كانوا يعملون في توصيل خط من الانابيب الى نقطة يراد حفر بئر فيها فما لم تكف الانابيب للوصول الى النقطة المقصودة حفرت البئر عند آخر نقطة وصلت اليها الانابيب وتؤكد الرواية ان هذه البئر كانت سبباً في اكتشاف حقل بترولي عظيم

وكان القائمون بشئون استغلال حقول البترول يهملون رأي الجيولوجيين في انتخاب مواقع الآبار وأحياناً كانوا يتعمدون مخالفتهم وذلك جهلاً بقيمة ذلك العلم واعتقاداً منهم ان أربابه لم يكونوا سوى دجالين

ولا غرابة فقد كان الجيولوجي في ذلك الوقت غير خبير بجيولوجية البترول فكان يقتفي أثر من يقومون بالحفر بدلاً من ان يسبقهم ويرشدهم

---

(١) مترجمة عن الانكليزية بمعرفة المحامي السيد فهمي افندي مفتش البترول المساعد بمصلحة المناجم والمحاجر

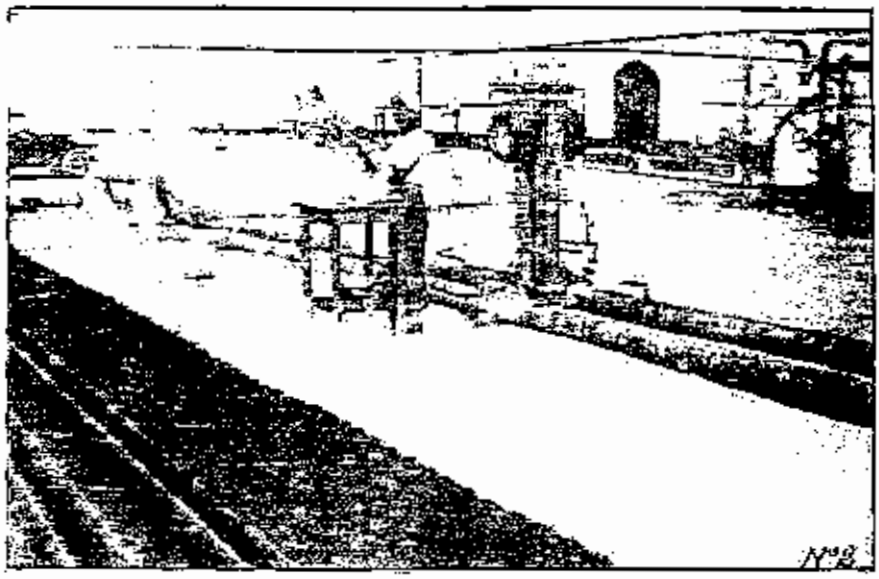

شاب مصري لم يتجاوز الخامسة عشرة يتبين الكثافة النوعية للغاز الذي يستخرج الجازولين منه ويستعمل بعد ذلك وقوداً

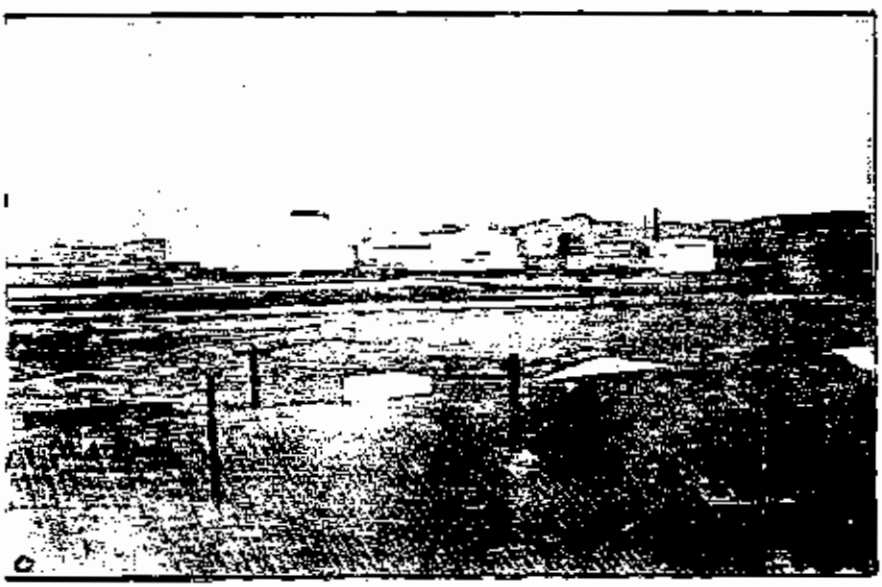

المحطة العمومية لمياه المرقة وفيها الصهاريج الخزنة والمضخات التي تقوم بتعبئة ناقلات البترول وشحنها

حتى اذا جاء المستر هوايت الجيولوجي الاميركي عام ١٨٨٥ وضع القواعد الجيولوجية على أساس الاختبارات السابقة واثبت إمكان تحديد مواقع البترول استناداً الى الظواهر الجيولوجية السطحية وكانت النتائج الباهرة التي حصل عليها خير مقنع لملأه بسعة استنباطه

ولقد انقضى الآن العهد الذي كان ينكر فيه فائدة الجيولوجيا في المباحث البترولية واضح السبق للجيولوجيين في فحص المناطق البترولية واستكشافها ، يدلك على ذلك ازدياد الطلب على استخدامهم ، ففي حقول كنساس واوكلاهوما بالولايات المتحدة الاميركية كان عدد الجيولوجيين عام ١٩١٣ ثلاثة فقط فاصبحوا الآن في نفس هذه الحقول نحو مائتين وخمسين شخصاً

﴿ البترول في العصور القديمة ﴾ مع ان صناعة البترول كما نعرفها الآن لم تبدأ الا منذ سبعين عاماً فإن البترول نفسه كان معروفاً واستعمله الانسان في بعض حاجاته منذ مئات بل آلاف السنين. فقد أثبت علماء التاريخ والآثار ان الاسفلت (وهو من البترول الخام) استعمل في آسيا الصغرى وفي مصر بدل الملاط في البناء وقد ذكر هيرودوتس أنه استعمل في بناء سور بابل

كذلك دلت آثار مدنيات الانكاس بيرو باميركا الجنوبية والازتكس بالمكسيك على ان الاسفلت استعمل لمثل هذه الاغراض. وجاء في الكتب المقدسة ما يشير الى استعمال الاسفلت في أسوار بابل وابراجها، وان فلك نوح والسلة التي وضع فيها الطفل موسى عليه السلام والتي في اليم كانت مبطنة بالاسفلت لمنع تسرب المياه الى داخلها

وقد استعمل المصريون القدماء خام البترول ومنتجاته في تحنيط موميائهم ويقيل ان لفظة موميا نفسها منقولة عن الفارسية ومعناها الاسفلت

كذلك تدل بعض المسارج القديمة التي وجدت في حفائر المصريين القدماء على ان الانارة بها كانت بواسطة خام البترول الذي ينشع على شواطىء البحر الاحمر عند جبل الزيت وجمسا

وكان الهنود الحمر باميركا يعرفون فوائد البترول الطبية قبل ان يطأ الاوروبيون بلادهم . ثم ان ماركو بولو دوّن في القرن الثالث عشر بعد الميلاد ما يدل على ان الروس في منطقة باكو كانوا يستعملون البترول كمكر ودواء . وقد كانوا يحجرون الى منابع البترول في باكو وحول بحر القزوين . وأقام عبدة النار في هاتيك الاماكن هياكل يعبدون فيها النار الدائمة الاشتعال التي تغذيها منابع البترول الطبيعية ويرجع تاريخ بعضها الى ستمائة عام قبل الميلاد

﴿ تقدم صناعة البترول ﴾ وأول مجهود جدي بذل لاستخراج البترول كان في عهد بطرس الاكبر الذي منح عام ١٧٢٣ اول امتياز لاستغلال البترول بمنطقة باكو وقد ظل هذا الامتياز قائماً حتى عام ١٨٧٢ على ان الفضل الاكبر في تقدم هذه الصناعة يرجع الى ما بذل فيها من الجهود الجبارة بالولايات المتحدة وكان البحث عن ملح الطعام والمياه التي تحتوي عليه هو الذي أدّى الى اكتشاف البترول فيها وهو الذي اكسب الباحثين خبرتهم في حفر الآبار

وقد شهد عام ١٨٠٦ حفر اول بئر للبترول في الولايات المتحدة على ضفة نهر كيناوه بمقاطعة فرجينيا فلما بلغت البئر ثمانين قدماً من العمق بدأت تخرج ثلاثة اطنان من البترول يومياً علاوة على ما كان تخرجهُ من الماء المالح

فما جاء عام ١٨٢٠ حتى كانت صناعة حفر آبار البترول قد تقدمت تقدماً مكّن اصحابها من الوصول الى عمق الف قدم في باطن الارض . وكانت اغلب الآبار قد حفرت على ضفة نهر كيناوه تحصول على الملح وكان البترول الناتج يعتبر من المواد الضارة فيطلق مع ماء النهر الذي سمي لذلك (الزيتي) Old Greasy

وعلى أثر الكشف عن البترول بالولايات المتحدة قامت تجارة لا يستهان بها في البترول كعنصر يشفي كثيراً من الامراض ولتخفيف الآلام وكان أشهر الاصناف زيوت سنكا وزيت كريز الحجري وكان كريز هذا محضراً بمخزن أدوية في بتسبرج بولاية بنسلفانيا وقد أقام مرجلا لتقطير مازاد على حاجته من البترول واستخلص منه المواد الخفيفة التي استعملها في الاضاءة

وقد تكونت اول شركة للبترول باسم شركة بنسلفانيا للزيوت الصخرية عام ١٨٥٤ وحفرت اول آبارها عام ١٨٥٦ ببلدة تيتاسفل حيث نبع زيت البترول من عمق ٥٨ قدماً وتدفق على السطح بقوة ثلاثة اطنان او اربعة في اليوم فكان النجاح الذي اصابتهُ هذه الشركة بشيراً بسرعة تقدم هذه الصناعة حتى بلغت شأواً نأوأت به صناعة استخراج الفحم الحجري في أوج عزها . اما في منطقة باكو على بحر قزوين فقد حفرت البئر الاولى عام ١٨٨٩ ففاق الخارج منها ما كان يتصوره العقل وقتئذاك وكان ما يذاع عنها يقابل بالشك الكثير

وكان يحمل دون تقدم العمل في حقول البترول رداءة وسائل النقل فكان زيت البترول في روسيا والولايات المتحدة ينقل من حقوله الى محطات السكك الحديدية في براميل تحملها عربات تجرها الدواب على انهُ في عام ١٨٧٥ مُدّ اول خط من الانابيب لتوصيل خام البترول في بنسلفانيا من منابعهِ الى مدينة بتسبرج . ثم حذت روسيا حذو اميركا على ان معارضة اصحاب عربات النقل اضطرت الحكومة الى حراسة خطوط الانابيب وقتئذٍ بقوات كبيرة مدة طويلة

كذلك قامت شركة نوبل الروسية عام ١٨٧٩ بانشاء اول باخرة خازنة لنقل البترول بالبحار وبذلك تمت وسائل نقل البترول براً وبحراً

وقامت منافسة شديدة بين روسيا واميركا وحمي وطيسها سنين طويلة وظلت روسيا موطن كل جديد ومبتكر في هذه الصناعة حتى عام ١٩٠٢ وقد انتجت بعض آبارها انتاجاً هائلاً نذكر من بينها بئر دروجيا التي تدفق البترول من فوهتها في نافورة تخترق الفضاء الى ارتفاع ثلثمائة قدم . وقدر انتاجها اذ ذاك بنحو سبعة آلاف طن يومياً . وقد استمر ضياع ذلك الانتاج الهائل نحو اربعة شهور . كذلك كانت الحال في نافورة ماركوف التي كان يتدفق الزيت

منها الى ارتفاع اربعمائة قدم وبلغ انتاجها اليومي نحو اربعة عشر الف طن

مثل هذه النافورات الهائلة جعلت محصول روسيا يبلغ عام ١٩٠١ اكثر من نصف محصول العالم باسره وكان ذلك من مساحة لا تزيد عن عشرة اميال مربعة . ولم تسبق الولايات المتحدة روسيا الا عام ١٩٠٣ بفضل ما اكتشف من حقول بترولية غنية في كاليفورنيا علاوة على ما كان معروفاً منها في ولايتي اوكلاهوما وكنساس . ويبلغ انتاج حقول البترول بالولايات المتحدة الآن ما يزيد عن ثلثي انتاج العالم بأسره

﴿ اصل زيت البترول وغازاته ﴾ يوجد البترول الخام في باطن القشرة الارضية التي تتألف من صخور راسبة واخرى نارية واخرى متحولة. ويهمنا من بينها في مبحثنا هذا النوع الاول الذي يرجع الى ما تكوّن من رواسب حملتها الانهار او الرياح او ما خلفتها الكائنات الحية في البحار وفي هذه الفصيلة من الصخور دون غيرها يوجد خام البترول

اما الصخور النارية كالجرانيت مثلاً فكانت في اول نشأتها عجينة مصهورة شديدة الحرارة ثم بردت فصلبت واما الصخور المتحولة فبعضها من اصل راسب والبعض من اصل ناري وقد تأثرت بعوامل مختلفة من حرارة وضغط شديدين فلا اثر للبترول فيها

وتنقسم نظريات العلماء في تفسير نشأة البترول الى طائفتين الاولى تقرر ان اصل البترول مواد غير عضوية والاخرى تقرر ان نشأته من مواد عضوية واليك خلاصة كل من الرأيين :—

﴿ نظريات المواد غير العضوية ﴾ بعض هذه النظريات مجرد استنباط وتخمين لا يقوم على أساس علمي صحيح والبعض بني على نتائج التجارب في المعامل الكيمائية فهو معقول مقبول وقد اقامهُ علماء الروسيين والفرنسيين على اساس من التجربة

ومع ان هناك نظريات عديدة تدخل تحت هذا الباب فنكتفي بايراد اثنتين من بينها : —

الاولى : ان مادة البترول كانت بين الغازات التي احاطت بالكرة الارضية وقت نشأتها الاولى فلما بردت وتكثفت هذه الغازات تحولت هذه المادة الى سائل البترول الذي تسرب الى جوف الارض

هذه هي النظرية الاولية وهي مجرد تخمين لم يقم اي برهان على صحتها

الثانية : وهي نظرية العالم Mendeleef تقول بوجود كربورات بعض المعادن في جوف الارض وهذه تتأثر بما في باطن الارض من مياه فيتولد منها غاز الاستيلين المستعمل في الاضاءة ولحام المعادن . فاذا تعرض هذا الغاز في باطن الارض لضغط شديد وهو على درجة ملائمة من الحرارة تحول الى سائل البترول

واغلب الذين يقولون بهذه النظرية هم من الكيماويين مع ان احد الجيولوجيين المعروفين Eugene Coste الكندي من انصار هذه النظريات ويدلل عليها بالاسباب الآتية : —

(١) وجود المواد الايدروكربونية في بعض النيازك المتساقطة من السماء
(٢) وجود المواد الايدروكربونية في الكواكب والنجوم
(٣) النجاح في عمل مواد ايدروكربونية في المعمل من مواد غير عضوية
(٤) وجود البترول السائل في بعض الصخور النارية والبركانية
(٥) وجود مقادير ضئيلة منهُ في الحديد « الزهر »

وليس وجود البترول في الصخور النارية دليلاً كافياً على صحة هذه النظريات فربما كان قد تسرب اليها من صخور رسوبية ملاصقة لها

أن اغلب علماء الجيولوجيا لا يعترضون على امكان الحصول على زيت البترول من مواد غير عضوية الاّ انهم متفقون على ان هذه الطريقة لا يمكن ان تؤدي الى وجوده بمقادير كبيرة صالحة للاستغلال »

﴿ نظريات المواد العضوية ﴾ ذهب العلماء مذاهب عديدة في تفسير نشأة البترول من مواد عضوية ولا تختلف بعضها عن بعض الاّ في المواد التي تحولت الى بترول وأهمها : —

(١) الفحم الحجري والمواد المتفحمة
(٢) بقايا النباتات المتراكمة
(٣) بقايا الحيوانات المتراكمة
(٤) بقايا الحيوانات او النباتات المجهرية الدقيقة
(٥) بقايا الحيوانات والنباتات مختلطة

واقدم هذه النظريات ما يرجع اصل البترول الى الفحم الحجري لوجود المادتين جنباً الى جنب في بعض حقول الفحم الحجري القديمة علاوة على ما لوحظ من ان الغازات التي تنبعث من طبقات الفحم الحجري تشبه في تركيبها الغازات التي تتصاعد مع البترول في حقوله . كذلك كان يعزز هذه النظرية ان الفحم الحجري اذا عرض لدرجة من الحرارة تحت ضغط معين يمكن تقطير زيوت وغازات من الصعب تمييزها من الزيوت والغازات في بعض الحقول البترولية . كذلك لوحظ وجود البترول متصاعداً من طبقات الفحم في اسكتلند وبعض مناطق فرنسا وفي جزيرة ترينداد . على ان البرهان قد قام اخيراً على انهُ لا اتصال بين الفحم والبترول في هذه الجهات وان وجودهما في صعيد واحد جاء بطريق الصدفة وعلى ذلك فقدت نظرية الفحم الحجري كمادة اصلية في تكوين البترول أغلب معضديها

اما النظرية القائمة على أساس ان البترول مستمد من بقايا النباتات فقط فلا يمكنها ان تفسر ارتفاع نسبة الكبريت والنتروجين في بعض انواع البترول . كذلك نجد ما يناقض أن بقايا الحيوانات وحدها هي أساس البترول لان نسبة النتروجين في البترول اقل كثيراً مما

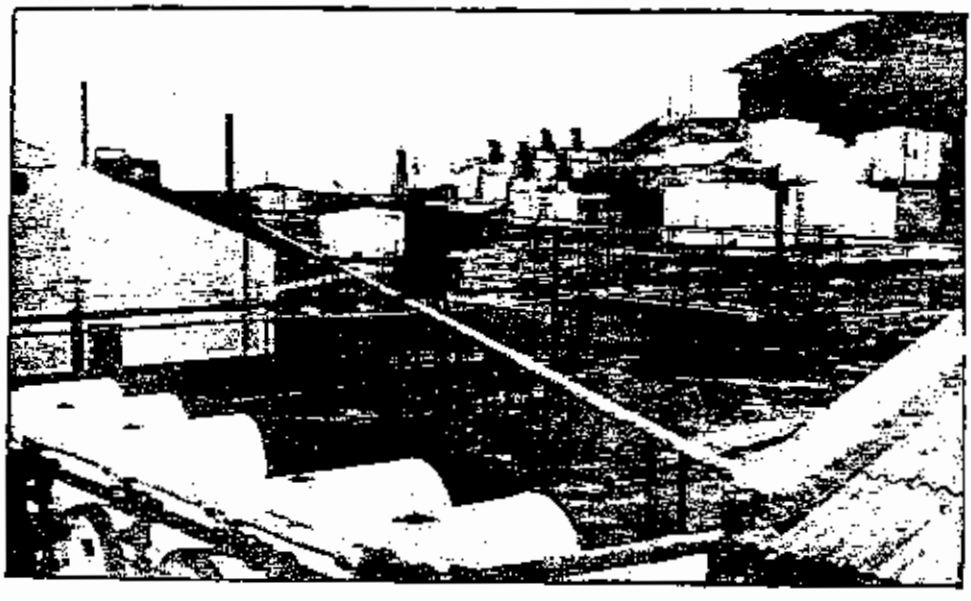

منظر عام لاجهزة فصل المياه عن البترول وفيها يستعمل التيار الكهربائي العالي الضغط

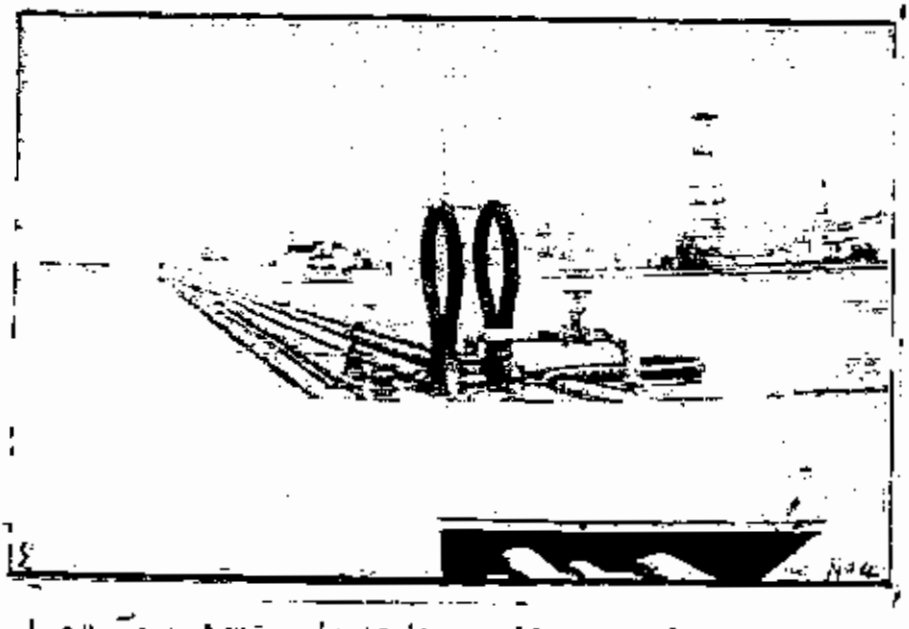

منظر عام في حقل البترون بالعردقة ترى فيه المياكل الحديدية القائمه فوق آبار البترول وكذلك الانابيب الموصلة من الحقل وميناء العردقة وفيها ينقل البترول لشحنه

مقتطف يوليو ١٩٣٣ — امام صفحة ١٩٣

يوجد في المادة الحيوانية بوجه عام . ثم ان المواد الحيوانية عادة لا تعدم من بين الحيوانات الحية ما يلتهمها ويبيدها

بقيت النظرية القائلة بأن البترول من اصل عضوي خليط من مواد نباتية وحيوانية وهذه يؤيدها اكثر علماء الجيولوجيا على انهم يقدرون نصيب الحيوان في هذه الحالة باكثر من نصيب النبات . ولا شك في ان ما يتراكم من المواد الحيوانية والنباتية في مواطن الرسوب كاعماق البحار والبحيرات لكاف لأن يفسر المقادير الكبيرة من البترول التي في باطن الارض

وقد قدّر بعضهم ان ما يصاد من صنف واحد من الاسماك في بحر الشمال في مدة ١٣٠٠ عام يكفي لتكوين ما انتجتهُ منطقة غالیسيا من البترول حتى الآن . فاذا قدرنا ان ما يصاد من هذا الصنف ليس الاّ جانباً يسيراً جدًّا مما يوجد في البحر وان هذا الصنف هو واحد بين مئات بل آلاف الاصناف فلا يصعب ان نتصور ان ما يلزم من المواد الحيوانية لتكوين ما نعرفه في باطن الارض من مواد بترولية ضئيل جدًّا اذا قيس بالمواد العضوية في الطبيعة

﴿ طرق حفر آبار البترول ﴾ ابتكرت الطرق الحديثة لحفر آبار البترول عام ١٨٥٩ لدى اكتشاف البترول بولاية بنسلفانيا ومع انها تقدمت كثيراً من ذلك العهد الاّ انها لا تختلف في جوهرها عن احدى طريقتين : الحفر بالدقاق والحفر بالحفار الدائر ولكل من هاتين الطريقتين احوال تلائمها فهي لذلك تستعمل في مختلف الحقول

﴿ طريقة الحفر بالدقاق ﴾ ويعبر عنها بالطريقة الاساسية Standard او الطريقة الاميركية وهي عبارة عن الحفر باستعمال حربة ثقيلة الوزن جدًّا معلقة في نهاية حبل من الليف او السلك الصلب يرفع وينخفض بحركة منتظمة فيفتت لدى اصطدامه بالارض الصخور التي تقابله ويساعده على ذلك الماء الذي يُصبُّ في النقب . كذلك تزال المواد المفتتة بالتوالي بأنبوبة نازحة (Bailer)

هذه الطريقة تلائم المناطق المكوّنة من طبقات صخرية صلبة متماسكة بحيث لا تنهار جوانب النقب ويمكن حفرهُ الى عمق كبير قبل الاضطرار الى تبطينه بالمواسير لوقاية الطبقات المائية او لعزلها . كذلك تفضل هذه الطريقة في الآبار الاستكشافية او آبار التجارب في المناطق المجهولة اذ بها يتسنى لمن يقوم بالعمل تتبع خواص الطبقات واحدة واحدة فتجتمع له معلومات صحيحة تساعده في تفهم حقيقة تركيب المنطقة . اما بعد حفر البئر الاولى فليس ما يمنع من انتخاب اية طريقة اخرى تلائم طبيعة التركيب الصخري للمنطقة

﴿ طريقة الحربة الدائرة Rotary ﴾ والادوات المستعملة في هذه الطريقة عبارة عن حربة

حادة (سكينة) متصلة باسطوانات دقيقة مجوفة من الصلب الى قرص تديرهُ آلة ميكانيكية او كهربائية. وتقترن حركة دوران القرص والسكين بدخول تيار مستمر من الماء داخل الاسطوانات الى حرف السكين القاطع ثم تعود مع المواد المنتثة الى السطح بين الاسطوانات وجدران الثقب. هذا التيار من الماء يساعد على اكتساح المواد المنتثة كما انه يبرد الآلة القاطعة ويضغط على جوانب الثقب فيحول دون انهيارها. ثم انه يسدُّ مسام الطبقات الحاملة للمياه التي يثرُبها الثقب. وهي طريقة تلائم الحفر في المناطق المعروفة التركيب والتي تتكوَّن من طبقات قليلة الصلابة ولكنها لا تصلح في المناطق التي يجري استكشافها نظراً لما قد يفوت الحفار من معلومات تفيده في عمله

﴿ الحفارون Drillers ﴾ وهم فريق الاخصائيين في عملية حفر آبار البترول يحذقون هذه المهنة بالمرانة تحت اشراف حفارين آخرين ومن اهم ميزاتهم ان يكونوا ميكانيكيين مهرة سريعي الخاطر ذوي اقدام لا تعوزهم الحكمة في اجتناب المخاطر وهم صبورون شديدو اليقظة ذوو ملاحظة قوية وهو ما تتطلبهُ طبيعة العمل. فالدقاق يتعمق في باطن الارض الى آلاف الاقدام والحفار الذي يزاول العمل لا يمكنه ان يرى ما يقوم بهِ الدقاق بل يلحظه عن طريق الاستنتاج مما يشعر به من حركة السلك الذي تتدلى منهُ الآلة القاطعة

وقبل البدء في عملية الحفر نفسها يجب اقامة الهيكل (Derrick) الحديدي الذي تعلَّق من ساريته الآلات المختلفة. واذا عرفنا ان بعض هذه الآبار يبلغ عمقها آلاف الاقدام قدَّرنا ما يجب ان يكون عليه هذا الهيكل من المتانة لحمل هذه الآلات الثقيلة من دقاقات ونازحات وانابيب تبطين وما اليها

هذا ولا يخفى ان الماء والبترول هما خصمان لا يتفقان ولذلك يجب عزل احدهما عن الآخر في عملية حفر الآبار وذلك بتبطين البئر بمواسير مختلفة الاقطار متداخلة الواحدة في الاخرى مع عزل الطبقة المائية بالاسمنت

﴿ استنباط زيت البترول من باطن الارض ﴾ عند ما يتمُّ حفر البئر يوصلها الى الطبقة الصخرية الخازنة للبترول إما ان يتدفق السائل منها بحكم الضغط الداخلي الناتج من الغازات المحبوسة فيه بدون حاجة الى عمليات خاصة واما ان لا يكون الضغط الداخلي كافياً لرفعه الى السطح وبذلك تتخذ لرفعه احدى الوسائل الآتية :—

(١) انابيب الزُّح Bailers

(٢) المضخات المماصة الكابسة

(٣) الهواء او الغازات المضغوطة Air Lift

اما انطلاق البترول من باطن الارض الى فوهة البئر فقد يتخذ شكل نافورات شديدة

وذلك اذا توافر في الطبقة الخازنة للبترول غازات مرتفعة الضغط وتبقى مثل هذه النافورة ناشطة مازال الضغط الغازي عالياً على انهُ يزول تدريجيًّا مع قدم البئر. وقد بلغ انتاج بعض هذه النافورات عشرة الآلاف طن في اليوم انواحد واكثر. مثل هذه الآبار يتعذر ضبط انتاجها في اول انفجارها فيفقد جانب كبير من بترولها علاوة على ما قد تحدثهُ من الاضرار والتلف. واكبر النافورات حتى الآن نافورة Potrero de Lima المعروفة بالمكسيك وقد انتجت في اول أمرها ما متوسطهُ خمسة وعشرين الف طن في اليوم

مثل هذه النافورات اذا امكن ضبط انتاجها وتوصيل فوهة البئر الى صمامات خاصة فقد يمكن استخراج بترولها تدريجيًّا مع بقائها مدة طويلة. على ان انتاجها شأن باقي الآبار يقل تدريجيًّا مع قلة ضغط الغازات المحبوسة. وأحياناً يمرُّ البترول الناتج من هذه الآبار المتدفقة في آلات خاصة لفصل الغاز عن السائل قبل تخزين الاخير في خزاناته الخاصة وفي هذه الحالة يستعمل الغاز بمختلف الطرق

اما اذا لم يتدفق البترول تدفقاً طبيعيًّا الى السطح فالطريقة الشائعة في رفع البترول هي استعمال المضخات المائلة الكابسة وهذه توضع في باطن البئر وتتصل اسطوانتها بانابيب ثابتة تصل الى السطح يتحرك بداخلها كباس متصل بواسطة سيقان دقيقة من الصلب الى الآلة المحركة

وكثيراً ما يستعمل الغاز او الهواء المضغوط لرفع السائل من باطن الارض الى فوهة البئر وتمتاز هذه الطريقة النقط الآتية :—

(١) انها عملية اتوماتيكية ومضمونة

(٢) عدم وجود اجزاء قابلة للعطب

(٣) رخص النفقات

(٤) توحيد القوة المحركة وجعلها في نقطة مركزية ومنها تتفرع الأنابيب الموصلة الى مختلف الآبار

بهذه الطريقة يرسل الغاز المضغوط الى باطن الآبار فيؤدي الى صعود السائل الى السطح كما لو كان تحت ضغط غازاته الطبيعية

اما في حالة وجود نسبة كبيرة من الرمال السائبة في الطبقة التي ينبع منها البترول فقد يصبح استعمال المضخات كثير النفقة وفي هذه الحالة تستعمل آلات النزح والآلة منها اسطوانة طويلة ذات صمام بأسفلها يفتح ثم يغلق بحسب اتجاه الضغط الواقع عليهِ. فاذا دلّينا هذه الاسطوانة الى باطن البئر فان الصمام ينفتح فيدخل السائل حتى يملأها. عند ذلك يقفل الصمام يرفع الآلة الى السطح وهكذا تصل الى السطح ممزوجة بالزيت. وعلى كل حال فهذه طريقة كبيرة النفقة واذ كان لا بدَّ منها في بعض الاحيان

اسرار السينما الناطقة

تسجيل الاصوات في السينما

طريقة الاسطوانات او الاقراص

﴿ انتقال الصوت ﴾ لا بد لفهم الطريقة المستخدمة لتسجيل الصوت ، على الاسطوانة او على القلم ذاته ، من البحث في انتقال الصوت

اذا تأملنا طائفة من الاجسام التي تحدث الصوت وجدناها في حالة حركة : فوتر العود يهتز ، بدليل أنهُ اذا وضعت عليهِ ورقة صغيرة على شكل الرقم ٨ قفزت بعيداً عنهُ ، والناقوس في حالة اهتزاز ، والدليل على ذلك انهُ اذا امسك باليد عند حافته ، امتنع صوته فوراً . والشوكة الرنانة اذا طرقت احدثت صوتاً بسبب اهتزازها ، ولاثبات هذا الاهتزاز يقرب طرفها من الاسنان فيشعر الشخص بصدمة عنيفة ناتجة عن اهتزاز الشوكة ، او يغمس طرفها قليلاً في كأس بهِ ماء ، فيلتثر الماء رشاشاً دقيقاً ، لا يلبث أن يتلاشى ، وهذا يثبت تحرك الشوكة حركة اهتزازية في اثناء احداثها للصوت

والجسم المحدث للصوت بتحركه يحرك الهواء حركة موجية . ويمكن تشبيه هذه الحركة بحركة الماء اذا القينا فيهِ حجراً . فمن المشاهد أنهُ اذا القي حجر في ماء ساكن ، كماء بحيرة او مستنقع أو حوض كبير ، أحدث الحجر موجات على شكل حلقات مركزها النقطة التي سقط فيها الحجر ، وهذه الحلقات تأخذ في الاتساع والانتشار شيئاً فشيئاً ، وتقل في نفس الوقت شدتها ، حتى تتلاشى تماماً

وهذا عين ما يحدث في انتقال الصوت . فالجسم المحدث للصوت يولد في الهواء موجات تأخذ في الانتشار ، اسوة بالموجات المائية . وهذه الموجات اذا دخلت صيوان الاذن مثلاً حركت طبلة الاذن . ومن ثم تنتقل هذه الحركة في عظيمات وقنوات خاصة حتى تصل الى اعصاب السمع الواصلة الى المخ

﴿ نظرية الفنوغراف ﴾ ومن السهل بعد التمهيد السابق أن نفهم نظرية الفنوغراف . يتألف الفنوغراف من قرص (وهو المسمى اسطوانة) بهِ خطوط متعرجة تجري فيها ابرة من الصلب متصلة بقرص صغير من مادة كالزجاج اسمها الميكا (وقد يصنع القرص من الكربون) وهذا القرص يؤلف غطاء علبة صغيرة اسطوانية الشكل اسمها السماعة متصلة بالبوق

فاذا ادير الاسطوانة اهتزّت الابرة بسبب اصطدامها بتعاريج خطوطها وترتب على هذا الاهتزاز اهتزاز قرص الميكا . وباهتزاز هذا القرص يهتز الهواء المحصور في السماعة ، وتنقل هذه الاهتزازات أو الموجات عن طريق البوق الذي يكبرها الى الجو فاذن السامع

ولما كانت درجة النغمة (أي حالتها من حيث الحدة والغلظ) تتعلق على عدد ذبذبات (أي اهتزازات) الجسم المحدث لها في الثانية ، فانه اذا أدير الفنوغراف بسرعة ارتفعت النغمة (أو الطبقة في اصطلاح الموسيقيين) . وبالعكس اذا أدير الفنوغراف ببطء كانت النغمة منخفضة (أي الطبقة واطئة) ، وبناء على هذا فن الممكن أن نجعل صوت عبد الوهاب أعلا طبقة من صوت أم كلثوم بزيادة سرعة الفنوغراف . ولكن هذا لا يستحب لان الغناء يكون سريعاً والكلمات تتوالى بشكل غير طبيعي ، ويكون الصوت مضطرباً . ولسماع صوت المغني على حقيقته يدار الفنوغراف بالسرعة التي ادير بها آلة الالتقاط ، وهذه السرعة هي ٧٨ دورة في الدقيقة للاسطوانات العادية و ٣٣ دورة في الدقيقة لاسطوانات السينما . وسيأتي شرح السبب في هذا الاختلاف

﴿طريقة عمل الاسطوانات القديمة﴾ كانت الاسطوانات القديمة إسطوانية الشكل (ولذا سميت اسطوانات) والعامة تطلق عليها اسم « الكباية » وهذه الاسطوانات مصنوعة من مادة شمعية

وفي تعبئتها تستعمل سماعة ذات قرص من الميكا في وسطه إبرة قاطعة من الصلب أو نحوه فتوضع الابرة على أول الاسطوانة ، ويقرب المغني فمه من البوق المتصل بالسماعة ، وتدار الاسطوانة . فاذا غنى المغني اهتزّ قرص السماعة والابرة ، فحفرت على الاسطوانة خطّاً حلزونيًّا ذا نقوات مختلفة العمق تبعاً لارتفاع الابرة وانخفاضها ، وفي اثناء دوران الاسطوانة تتحرك الابرة من أول الاسطوانة الى آخرها ببطء ، بحيث يؤلف مسير الابرة خطّاً حلزونيًّا يغطي سطح الاسطوانة

ولاستعادة الصوت تستخدم سماعة ذات ابرة غير حادة . فاذا أديرت الاسطوانة اصطدمت الابرة بالحفر فاهتزت السماعة وتولدت فيها موجات تنتقل في البوق الى الهواء فالاذن . ولما كانت الحفر مناظرة للموجات الاصلية المحدثة لها ، فان الموجات الجديدة تكون مشابهة لموجات الصوت الاصلي وكذلك يكون صوت المغني وصوت الفنوغراف متشابهين . والاسطوانات القديمة يسهل محوها وتعبئتها في المنازل بالطريقة السالفة

﴿الاسطوانات الحديثة﴾ الاسطوانات الحديثة ، كما هو معلوم ، على هيئة أقراص . وسميت اسطوانات رغماً عن أنها غير اسطوانية الشكل ، اثباتاً للتسمية الاولى . وتمتاز الاسطوانات الحديثة على الاسطوانات القديمة بعدة أمور منها

(١) صغر الفراغ الذي تشغله اذ تشغل العشرون منها فراغاً أقل بكثير مما تشغله عشر من الاسطوانات القديمة

(٢) الاسطوانات الحديثة معبأة من وجهيها . اما القديمة فمعبأة من ظاهرها دون باطنها

(٣) الاسطوانات الحديثة اكثر صلابة وأنقى صوتاً من الاسطوانات القديمة

وتمتاز ابرة الفونوغراف الحديث بانها غير ملتصقة بوسط قرص الميكا مباشرة ، اذ أنها متصلة برافعة طرفها ملتصق بوسط القرص . وهذا القرص مثبت في وضع رأسي ، ونتيجة هذا انهُ اذا اهتز القرص اهتزت الابرة في مستو افقي (أي يميناً ويساراً) . فاذا وضع قرص من الشمع تحت الابرة وادير : أحدثت الابرة عليهِ خطاً منتظماً هو عبارة عن دائرة. أما اذا حركنا الاسطوانة في مستو افقي فان الابرة تحدث فيها خطاً حلزونياً منتظماً

***

هذا اذا كانت الابرة غير مهتزة . فاذا تكلم إنسان أو غنى امام البوق اهتزت الابرة وكان الخط الحلزوني الحادث غير منتظم بل كان متعرجاً تبعاً لاهتزاز الابرة والاسطوانات الشمعية المحضرة بالطريقة السالفة تسمى « امهات » وتنقل عنها الاسطوانات التي تباع للجمهور بواسطة الكهربائية

﴿طبع الاسطوانات بالكهربائية﴾ لما كان الشمع غير موصل للكهربائية ، فان الامهات تطلى بمسحوق الجرافيت . والجرافيت هو المادة التي تصنع منها الاقلام المعروفة خطأ بأقلام «الرصاص» ومن مميزاته انه املس موصل للكهربائية . ثم توضع الامهات بعد طليها بالجرافيت في حوض الطلاء الكهربائي حتى تغطى تماماً بطبقة سميكة من النحاس او الالومنيوم وبذا يحصل على قرص من النحاس يعرف بالقالب يستخدم في صنع الاسطوانات التي تباع للجمهور بواسطة الضغط وفي الغالب تحتفظ المصانع بهذا القالب لعمل قوالب اخرى منه ، لان هذه القوالب تتلف اثناء عملية سحط الاسطوانات ، وتستمر الحاجة الى عمل قوالب اخرى . فبدلاً من الاحتفاظ بالامهات (وهي سريعة التلف لكونها من الشمع) يحتفظ بالقالب الاول ، ويصنع منه قوالب اخرى بالطلاء الكهربائي كما سبق . والاسطوانات القديمة تتركب من :

حمض دهنيك (ستياريك)	١٢ رطلاً
صودا كاوية	١ رطل
أكسيد الومنيوم	١ اوقية
شمع البرافين	٢ رطل

وهذا التركيب لايختلف كثيراً عن تركيب الامهات في الاسطوانات الحديثة اما الاسطوانات الحديثة ذاتها فتركب من الايبونيت وهي مادة تتركب من الكوتشوك والكبريت بالنسبة الآتية

كوتشوك	١٠ اجزاء
كبريت	٣ اجزاء
شمع	قليل
زيت بزر الكتان	قليل

والابونيت سمي بهذا الاسم للونه الاسود الذي يشبه لون الابنوس . وهو شديد الصلابة ولا ادل على صلابته من ان الاسطوانة الواحدة المصنوعة منه تبلى مئات من الابر الفولاذية . وقد قدر ان ضغط السماعة على الاسطوانة بواسطة الابرة يعادل طنين على كل بوصة مربعة وهذا ضغط عظيم يشهد للابونيت بالصلابة والمتانة

ويستعان على عمل الاسطوانات من الابونيت بالتسخين والضغط بمكابس قوية ثبتت بها القوالب النحاسية

وقطر الاسطوانة المعتادة يتراوح بين ٢٥ و ٣٠ سنتمتراً ، اما الاسطوانات المستعملة في السينما فهي اكبر حجماً ، ومعبأة من وجه واحد فقط لتسهيل ترتيبها واستعمالها

﴿ التعبئة بالكهربائية ﴾ في الطريقة الحديثة للتعبئة لا يكون المغني مضطراً الى الغناء في نفس الحجرة التي بها الآلة اللاقطة على مقربة من البوق ، بل تكون هذه الآلة في حجرة خاصة بعيدة عن الضوضاء ، ويكون المغني في حجرة اخرى تتوافر فيها الشروط الصوتية الملائمة للتعبئة ، مثل عدم انعكاس الصوت والرنين . ويتم الاتصال بين المغني وآلة الالتقاط بواسطة الميكروفون

والميكروفون جهاز يستخدم لنقل الصوت بالكهربائية (وبعبارة ادق: لتحويل الموجات الصوتية الى تيارات كهربائية) ومن احد اشكاله الشائعة مرق التلفون الذي يوجه فيه الكلام

والميكروفون التليفوني بسيط التركيب ، اذ يتألف من حبيبات من الكربون (الفحم) يمر فيها تيار كهربائي من بطارية ، وهذا التيار واصل الى السماعة التي يضعها المخاطب على اذنه فاذا تكلم المتكلم في البوق تضاغطت الحبيبات او تراخت بسبب اهتزاز قرص رقيق ملاصق لها . ونتيجة تضاغطها مرور تيار قوي الى السماعة ، ونتيجة تراخيها عرقلة سير التيار (لجودة الاتصال في الحالة الاولى ورداءته في الحالة الثانية) . ويترتب على تغير شدة التيار تغير القوة المغناطيسية لساق مغناطيسي صغير في السماعة ، وهذا يؤدي الى تذبذب قرص رقيق من الحديد امام المغناطيس، ذبذبات مناظرة لذبذبات قرص الميكروفون، فيحدث صوت يناظر الصوت الاصلي

وتفسير عمل التليفون هذا هو عين تفسير التعبئة الكهربائية : فصوت المغني يحدث تغيراً في شدة التيار الكهربائي، وهذا التيار المتغير يؤثر في سماعة خاصة للفنوغراف اللاقط تشبه في

التركيب سماعة التلفون ولكن قرصها متصل بإبرة قاطعة ، بحيث انهُ اذا تذبذب قرص السماعة اهتزت الابرة فأحدثت خطًا متعرجاً على سطح الاسطوانة الدائرة ، ولما كانت الاسطوانة دائما تتحرك ، فضلاً عن دورانها، في مستوى افقي ، جهة اليمين او اليسار مثلاً ، فان الخط الحادث يكون خطًا حلزونيًا متعرجاً

﴿ نظام الدوران ﴾ يلاحظ ان الابرة في الاسطوانات المعتادة تبدأ من المحيط الخارجي مقتربة من مركز الاسطوانة شيئاً فشيئاً

وهذا النظام خطأ من الوجهة الفنية، لاسباب سيأتي شرحها، ولكنَّ هناك داعياً يحتمهُ وهو ان الفنوغراف عند ما يشرع في الدوران يكون الزنبلك ملتفًا تمام الالتفاف وقوته كبيرة ، ولكنهُ لا يلبث أن ينبسط شيئاً فشيئاً فتضعف قوتهُ ، ولهذا السبب تبدأ الابرة من الخارج لان تأثير ثقلها على الاسطوانة في هذا الوضع يكون أكبر ما يمكن، ويأخذ تأثير هذا الثقل في الضعف حتى اذا قاربت محور الاسطوانة كان تأثيرها ضعيفاً وفي هذه الحالة لا يعجز الزنبلك المرتخي عن ادارتها .وهذه نظرية ثابتة في الميكانيكا ،ومؤداها ان تأثير القوة يزداد تبعاً لازدياد بعدها عن المحور الذي يتحرك حولهُ الجسم ، فانت مثلاً تستطيع اغلاق باب ثقيل باصبع واحدة ، اذا وضعتها قرب الحافة التي بها القفل . أما اذا حاولت اغلاقه بدفعهِ عند نقطة قريبة من المفصل فانهُ ليعجزك اغلاقه ولو دفعتهُ بكلتا يديك

ونظن انهُ اذا انتشرت الفنوغرافات التي تدار بالكهرباء عملت الاسطوانات بحيث تبدأ الابرة من الداخل الى الخارج

وهذا هو الحال في اسطوانات السينما ، فانها تدور بالشكل السالف،أي ان الابرة تتحرك من الداخل حتى تبلغ محيطها الخارجي . ولما كانت فنوغرافات السينما تدار كلها بالكهرباء ، فلا خوف اذن من ضعف المحرك وبطء السرعة

أما السبب الذي من أجله يفضل ان تبدأ الابرة من الداخل فهو هذا : بالنظر لصلابة الاسطوانة تبلى الابرة شيئاً فشيئاً حتى اذا مرَّت على الوجهين كانت غير صالحة للاستعمال . ولما كان المحيط الخارجي أكبر من المحيط الداخلي ، كانت تعاريجهُ كبيرة متسعة . أما تعاريج الاجزاء الداخلية فهي تكون صغيرة متقاربة دقيقة

ولا يصلح لهذه التعاريج الدقيقة غير سن رفيع جدًّا ، ولهذا يتحتم استعمال الابرة قبل ان يبلى سنها في هذه الاجزاء الداخلية . اما في الطريقة الشائعة وهي البدء في الدوران من الخارج فان الابرة عند ما تبلغ التعاريج الداخلية الدقيقة يكون سنها قد تآكل فلا يندمج في قناة الصوت تماماً . ولهذا السبب يشاهد تلف الاجزاء الاخيرة من الاسطوانات

﴿ سرعة الدوران ﴾ من المشاق التي لا يستهان بها في السينما الناطقة ضبط سير الاسطوانة

مع الفلم لان عدم الدقة في ذلك تؤدي الى نتائج سخيفة أظهرها ان تسمع الصوت بينما يكون فم المتكلم مغلقاً ، وأن يفتح الممثل فمه دون أن تسمع شيئاً . وهذا الخطأ لاحظه كثيرون في الافلام المصرية الناطقة (رغماً عن تسجيل الصوت على الفلم) ولكن هذا الخطأ ناتج عن جهل العامل الذي يدير آلة العرض، كما سنبينه عند الكلام على تسجيل الصوت على الفلم

وتذليلاً لصعوبة ضبط الفلم والاسطوانة تعمل اسطوانة لكل فصل (٣٠٠ متر) بحيث يضبطان معاً في البدء ثم يسيران معاً (اذ يحركهما محرك كهربائي واحد) حتى نهاية الفصل . ويكون الفصل التالي واسطوانته في الآلة الثانية ، حتى اذا انتهى الفصل الاول ، عرض الفصل الثاني بدون توقف

وسرعة الفلم الناطق ٢٤ اطار (أو صورة) في الثانية ، ومعنى هذا أنه في الدقيقة الواحدة يعرض ٢٧ متراً من الفلم ، ويقتضي هذا الحساب يستغرق الفصل الواحد نحو ١١ دقيقة . ولما كان وجه الاسطوانة المعتادة يستغرق نحو دقيقتين ونصف فمن الواضح انهُ يتحتم عمل اسطوانات كبيرة جداً حتى يستغرق عرض الوجه منها ١١ دقيقة . وحيث ان الاسطوانات اذا كانت كبيرة جداً كانت أغلا ثمناً واكثر عرضة للكسر فقد عملت للسينما اسطوانات اكبر قليلاً من الاسطوانات العادية ولكنها تدور ببطء ، إذ ان سرعة الاسطوانة العادية ٧٨ دورة في الدقيقة وسرعة اسطوانة السينما ٣٣ ½ دورة في الدقيقة

وفي الافلام ذات الاسطوانات توضع علامة في أول الفصل وعلامة عند مبدأ الاسطوانة (من الداخل طبعاً) وعند العرض توضع العلامة التي بالشريط في فتحة الآلة العارضة أمام العدسة ، وتوضع الساعة فوق علامة الاسطوانة ، ويدار المحرك الكهربائي فيدير آلة العرض والفنوغراف ويمد برعة وجيزة تظهر الصورة ، ويسمع الصوت . ويلاحظ أنهُ اذا قطع جزء من الفلم وضعت بدله قطعة من شريط أسود مثله في الطول حتى لا يختل توافق الصور والصوت (Synchronization)

﴿ انطلاق الافلام الصامتة ﴾ عند ما انتشرت السينما الناطقة رأت بعض الشركات ادخال الصوت على أفلام صامتة سبق اخراجها واتفق في سبيلها آلاف الجنيهات بدلاً من اعادة تمثيلها ناطقة

وطريقة ذلك ان يعرض الفلم الصامت أمام الممثلين (وليس من الضروري أن يكونوا نفس الاشخاص الذين ظهروا في الفلم) في حجرة ظلماء وأمامهم الميكروفون ، فيتكلمون كلاماً محفوظاً يلائم حركات الممثلين على الستار ، خصوصاً حركات الشفاه . وهذا العمل يتطلب بطبيعته تمريناً طويلاً شاقاً . ومن أهم شروط النجاح ضبط سير آلة التقاط الصوت مع سير آلة عرض الصور

وهناك صعوبات كأداء ، يكاد يكون من المستحيل التغلب عليها ، نذكر منها

(١) الفلم الناطق سرعتهُ ٢٤ صورة في الثانية ، والفلم الصامت سرعته ١٦ صورة في الثانية . فاذا أدير الفلم الذي أخذ في المبدأ صامتاً بسرعة ٢٤ كانت حركات الممثلين وشفاههم سريعة بحيث أنه اذا أخذ الصوت مطابقاً لحركات (وهذا أمر جوهري) كانت لهجته سريعة سرعة غير طبيعية . ويمكن تحاشي هذه العقبة اذا كان في الامكان ادارة الآلة العارضة عند اضافة الصوت وعند عرض الفلم على الجمهور بسرعة ١٦ صورة في الثانية (أو إعادة تصوير الفلم صامتاً بسرعة ٢٤ صورة)

(٢) عند أخذ الفلم صامتاً لم يكن من المهم تخاطب الممثلين بالالفاظ المدونة في السناريو (الرواية السينمائية) ، فمن الصعوبة بمكان أن تعرف بعد ذلك الالفاظ التي قيلت أثناء تصوير الفلم صامتاً لاعادتها بنصها عند اضافة الصوت . ويتغلب على هذه العقبة بأن يحتم على الممثلين التخاطب بالالفاظ الواردة في السناريو بنصها (هذا اذا عمل الفلم صامتاً بنية اضافة الصوت اليه فيما بعد ، وهذه الطريقة متبعة أحياناً)

(٣) اذا سلمنا جدلاً ان الالفاظ التي قيلت في أثناء التمثيل عرفت وان الممثل حفظها أجود حفظ ، فمن المحقق أن يتعذر عليه متابعة حركات الشخص الذي يبدو امامه على السنار بحيث يطابق الكلام حركة الشفتين . ومما سبق يتضح ان اغلب الصعوبات السابقة من السهل التغلب عليها اذا راعى المخرج اثناء تصوير الفيلم صامتاً انهُ قد تدعو الضرورة فيما بعد الى اضافة الصوت اليه

***

ويلاحظ ان لدى الشركات السينمائية مجموعات من الاسطوانات والافلام المحتوية على الاصوات التي يحتمل الاحتياج اليها كنباح الكلاب وصفير القطارات وزئير الوحوش وتحطيم الاواني الخ . وهذه الاسطوانات والافلام تنقل الاصوات عنها الى الافلام الموجبة ذات الصور ، التي توزع للعرض في دور السينما . وقد تعمل من الاسطوانات اسطوانات اخرى لتدار في دور السينما . مع الافلام العامة فتحيلها صوتية (سونور)

***

ولا تظن ان نباح الكلب او خرير الماء او حفيف الشجر الذي تسمعه في السينما صادر حقيقة عن الكلب والماء والشجر بل ان هذه الاصوات محدثة بوسائل ميكانيكية وأدوات مبتكرة كطرق لوح من النحاس أو دحرجة كرات من الزجاج أو نفخ تيار من الهواء . بيد ان بعض الشركات الغنية تتكبد عناء كبيراً وتنفق أموالاً باهظة في سبيل تسجيل الاصوات الطبيعية للوحوش الكاسرة والاقاصي القاتلة الاسكندرية — محمود خليل راشد

نبذة في تاريخ رسم المصاحف

كانت وزارة المعارف قد عهدت الى المغفور له حفني بك ناصف بتصحيح الاغلاط الاملائية التي وقعت في رسم المصحف بتكرار طبعه ، فقام بمراجعة المصحف وابتدع قواعد خاصة بالاملاء الذي كتب به في خلافة عثمان بن عفان . وقد صحح وفقاً لهذه القواعد نحو مائتي غلطة املائية ، وطبع المصحف الجديد بخلو تقريباً من الخطإ

وقد وضع حفني بك كتاباً في قواعد رسم المصحف . ولكنه لم يطبع بعد ، وكتب له مقدمة شائقة سرد فيها تاريخ رسم المصاحف قرأينا ان ننشرها

جاء في حديث عائشة وفاطمة رضي الله عنهما ان جبريل عليه السلام كان يعارض النبيَّ (يقرأ والآخر يقابل عليه) صلى الله عليه وسلم القرآن في كل سنة في شهر رمضان مرة واحدة ، وفي السنة الاخيرة من حياته عارضه مرتين ، فأحسَّ النبي صلى الله عليه وسلم بدنو اجله

وقد كتب القرآن بعد العرضة الاخيرة زيدُ بن ثابت وأبيٌّ بن كعب وأبو الدرداء ومعاذ وغيرهم من اكابر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين . ولكن الوحي لم ينقطع حتى قبض عليه الصلاة والسلام ، فألحق الكاتبون ما نزل أخيراً بما عندهم

ولما ولي أبو بكر الخلافة ارتدَّ من ارتدَّ من العرب ، وادعى مسيلمة النبوةَ في اليمامة وتبعه بنو حنيفة ، فأرسل أبو بكر رضي الله عنه خالد بن الوليد لقتالهم مع عصابة من المسلمين فاستحرَّ القتل في القراء ومات منهم ٧٠٠ رجل ، فخشي عمر رضي الله عنه أن يستحرَّ القتال في المواطن كلها ويذهب بالباقين من القراء ، فيذهب بذهابهم قرآن كثير ، فأشار على أبي بكر ان يأمر بجمع القرآن كله في صحف لتكون مرجعاً للمسلمين

فأرسل ابو بكر لزيد بن ثابت ، وقال له : إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتتبَّع القرآن لتجمعه قال زيد : فجعلت اتتبَّع القرآن من صدور الرجال ومن الرقاع والاضلاع ومن العسُب (قحرف السعف) حتى جمعته . قال فتفقدت آية كنت أسمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أجدها عند أحد فوجدتها عند رجل من الانصار : وهي : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر » فألحقتها في سورتها ، ثم فقدت آية اخرى فاستعرضت المهاجرين والانصار أسألهم ، فوجدتها عند خزيمة بن ثابت : وهي : «لقد جاءكم رسول» الى آخر السورة ، فألحقتها في آخر السورة ، ثم عرضته على نفسي عرضة ثالثة فلم أجد فيه شيئاً

ومعنى أنه لم يجد الآية أنه لم يجدها عنده مكتوبة فيما سبق أن كتبه في حياة النبي (ص) مع كونه يحفظها ، « ومعنى وجدها عند الانصاري » أنهُ وجدها مكتوبة لان زيداً كان يهمه أن يطلع على الكتابة لانه كان فيها علائم مخصوصة تدل على أوجه القراءة التي اذن بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقرأ بها وفود القبائل من العرب من فك وادغام وإمالة وتفخيم وإشمام ومد وقصر وتغليظ وترتيق ، قال عليه الصلاة والسلام : ان هذا القرآن انزل على سبعة أحرف فاقرؤا ما تيسر منه . قيل انها لغات قريش وكنانة وأسد وهذيل وبني تميم وضبة وقيس ، وهم الذين انتهت اليهم الفصاحة وسلمت لغاتهم من الدخل . وبذلك تم جمع القرآن كله في الصحف مشتملاً على الاحرف السبعة . وبقيت تلك الصحف عند أبي بكر حتى مات ، ثم كانت عند عمر حتى مات ، ثم كانت عند ابنته حفصة زوج النبي

وفي خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، قدم عليه حُذيفة بن اليمان فزعاً ، وكان قد سار مع جيش المسلمين للقتال على فرج أرمينية ، وقال : يا أمير المؤمنين إني سمعت الناس اختلفوا في القراءة حتى والله إني لأخشى أن يصيبهم ما أصاب اليهود والنصارى من الاختلاف ، فما كنت صانعاً — إذا قيل هذه قراءة فلان وقراءة فلان كما سمع أهل الكتاب — فاصنعه الآن. وكان قد بلغ الخليفة عثمان ان المعلمين في المساجد يختلفون في القراءة ويقول أحدهم قراءتي خير من قراءتك واني رويت قراءتي عن فلان عن النبي (ص) ويتمادون الى حد المقاتلة ولا يسلم أحدهم بقراءة الآخر، فجمع عثمان الناس وكانوا يومئذٍ اثني عشر الفاً وقال لهم : بلغني أن بعضهم يقول قراءتي خير من قراءتك ، وهذا يكاد يكون كفراً . قالوا فما ترى؟ قال ، ارى أن يجمع الناس على مصحف واحد فلا يكون فيه فرقة واختلاف . قالوا فنعم ما رأيت

فأرسل من فوره الى حفصة ان ارسلي الينا بالصحف فننسخها في المصاحف ثم نردها اليك . فأرسلت اليه الصحف . وأرسل هو الى زيد بن ثابت وسعيد بن العاصي وعبدالله ابن الزبير وعبد الرحمن بن هشام ، وقال لهم انسخوا هذه الصحف في مصحف واحد ، وقال للنفر القرشيين : إن اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فاكتبوه على لسان قريش فانما نزل بلسانهم فصدعوا بأمر الخليفة واخرجوا للناس اربعة مصاحف مكتوبة كلها بخط زيد واملاء القرشيين وليس فيها أي علامة من العلامات التي كانت في الصحف قبل ، لتدل على الاحرف السبعة ، فأرسل منها مصحفاً الى الكوفة وآخر الى البصرة وآخر الى الشام وأمسك عند نفسه واحداً ، وأمر بتحريق كل الصحف والمصاحف التي كانت من قبل . وقد أثر عن ذلك الصحابة رضوان الله عليهم ، حتى قال عليٌّ كرم الله وجههُ : « لو وليتُ لفعلتُ في المصحف ، الذي فعل عثمان »

وقد امر بعد ذلك بكتابة مصحف لأهل المدينة وآخر لاهل مكة وآخر لاهل البحرين وآخر لاهل اليمن

وقد نقل الجعبري عن أبي علي ، أن عثمان أمر زيد بن ثابت ان يقرىء بالمدني ، وبعث عبدالله بن السائب مع المكي والمغيرة بن شهاب مع الشامي وأبا عبدالرحمن السلمي مع الكوفي وعامر بن عبد قيس مع البصري ، ولم يعرفه من بعث مع اليمني ولا البحراني ، ولهذا انحصر الائمة الخمسة في السبعة الأمصار

قال الجعبري: والاعتماد في نقل القرآن على الحفّاظ . ولهذا انقدم الى اقطار الاسلام للتعليم ، وجعل هذه المصاحف اصولاً توافي حرصاً على الانفاذ ، ومن ثمّ ارسل الى كل اقليم المصحف الموافق لقراءة قارئه في الاكثر

ويفهم من كلام الجعبري ان بين المصاحف الستة شيئاً من الاختلاف في الرسم وهو صحيح . ولم يكن غرض عثمان رضي الله عنهُ منع الناس من تلاوة القراءات المروية بالتواتر وحملهم على الاقتصار على لغة قريش وتضييق ما وسعهُ الله على عباده من الاخذ لنبيّه بأن يقرئهم على الاحرف السبعة تسهيلاً لهم ورحمة بهم ، بل غرضهُ الضرب على أيدي من يتشبث بما وصل اليهِ ويحجر على الناس القراءة بما وصل اليهم ويقول قراءتي صواب وقراءة غيري خطأ ووضع حد ثابت لقبول الروايات . فكل رواية لا تنطبق على مرسوم المصاحف العثمانية يضرب بها عرض الحائط ولا يجوز القراءة بها ، ولذلك قال ابو محمد مكي : لقد سقط العمل بالقراءات التي تخالف خط المصحف فكأنها منسوخة بالاجماع على خط مصاحف عثمان . اهـ . ولو كان عثمان أمر باتباع حرف واحد لما جاز لنا ان نخالفه ، فان عرفنا عينه أخذنا بهِ وان لم نعرفهُ اقتضت قاعدة اجتماع الحظر والاباحة عدم جواز القراءة بأي حرف كان إذ لا حرف الاّ وهو محتمل أن يكون غير مراده ، فهو محتمل للمنع

وما ظهرت هذه المصاحف الاّ وقد تقاطر الناس عليها لنسخها كما هي من غير تغيير في شيء حتى الحروف المخالفة لاصول الرسم القياسي

وكانت الكتابة في ذلك العصر خلواً من نقط الاعجام ومن الشكل بأي طريقة كانت ، فكانت مصاحف عثمان كذلك ، وكان المرجع في القراءة الى المقرئين الذين انفذوا الى الامصار ومن تلقى عنهم

واول من وضع الشكل أبو الاسود الدؤلي بطلب زياد بن سمية عامل معاوية ، فوضعهُ نقطاً حمراً فوق الحروف وتحتها وعلى يمينها

واول من وضع نقط الاعجام نصر بن عاصم الليثي مستعيناً باستاذه يحيى بن يعمر العدواني بطلب الحجاج عامل عبد الملك بن مروان

واول من غير النقط الحمر الى الحروف الصغيرة الخليل بن احمد الفراهيدي بعد انقراض دولة الامويين

ومن هذا تعلم أن مصاحف عثمان كانت صالحة لان تقرأ على أوجه شتى حسب ما يحتمله رسمها ، فكانت الرواية هي المخصصة لبعض هذه الاوجه دون بعض . وبسبب تعدد الروايات تعددت القراءات

وأجمع المسلمون من الصحابة والتابعين وعلماء الامصار على ان كل رواية متواترة صحيحة السند ، يُقرأ بها متى كان لها وجه في العربية وكان رسم اي مصحف من المصاحف العثمانية يحتملها

ومن هذا يعلم ان المحافظة على رسوم المصاحف العثمانية امر واجب لمعرفة القراءة المقبولة والمردودة لان هذه الرسوم صارت اصلاً من اصول القراءة ودعامة من دعائم الدين الاسلامي

وفي هذه المحافظة ايضاً احتياط شديد لبقاء القرآن على اصله لفظاً وكتابة فلا يفتح فيه باب الاستحسان لانهُ اذا فتح الاستحسان في الرسم فقد لايلبث ان يفتح في اللفظ، ويتطرق اليه التغيير والتبديل ، فسدوا هذا الباب ابقاء كل شيء على اصله حتى ما هو مخالف لمألوف الرسم المعتاد . وقد سئل مالك هل يكتب المصحف على ما احدثه الناس من الهجاء فقال لا. إلاّ على الكيتبة الاولى

وما ذهب اليهِ مالك ، ذهب اليه جميع الائمة المجتهدين وانعقد عليه اجماع علماء المسلمين في مشارق الارض ومغاربها ، واسبح من الامور التي فرغ منها وانتهى الامر فيها

ولا نعلم ان احداً من العلماء تحكك في هذا الامر الا ابن خلدون في القرن الثامن وبعض رجال الازهر في القرن الرابع عشر . وليس احد منهما اماماً مجتهداً ، والحمد لله

قال الاول ما معناه ان الصحابة لم تكن استحكمت فيهم اجادة صناعة الخط فأخطئوا في مواضع من رسم القرآن وتابعهم على هذا الخطأ من بعدهم تبركاً بأصحاب رسول الله وتكلفوا لعملهم هذا تعليلات وحكماً لم تخطر في بال الصحابة

وقال الآخرون : لو كتبنا القرآن بخطنا المستعمل الآن دون تلك المخالفة خرجنا من العهدة وقمنا بالامر احسن القيام كمن كلف شيئاً ففعل خيراً منه، لانك قد علمت ان الخط الحاضر احسن مما كان عليه من الطريقة القديمة التي كانت في زمن الصحابة . اهـ

وقد غفلوا جميعاً عن السببين الجوهريين اللذين لاجلهما انعقد الاجماع ، وهما ان الرسم القديم واجب المعرفة لقبول ما يقبل من روايات القرآن ورفض ما يرفض منها وسدّ باب الاستحسان مبالغة في التحفظ على القرآن ، فهم قد حفظوا شيئاً وغابت عنهم اشياء

ولا يبعد اذا سلم كلام هؤلاء العلماء ان يذهب غيرهم الى استحسان كتب المصاحف بالحروف اللاتينية وآخرون الى اختصاره وآخرون الى ارجاعه للغة العامية ليعم نفعه الى غير ذلك من الرقاعات والخرقة . وماذا بعد الحق الاّ الضلال ؟

تجار الحرب

تجارة الاسلحة وموقف الحكومات منها

خطرها على السلام العام

من نحو عشرين سنة شرع في حملة عامة غرضها تقييد صناعة الاسلحة واخضاعها للسيطرة الاجتماعية . وكان من زعماء تلك الحملة المستر فيليب سنودن (اللورد سنودن الآن وزير مالية انكلترا في وزارتي العمال والوزارة القومية الى حين عقد اتفاقات أوتوى الجركية) فوقف في مجلس النواب البريطاني أربعة اشهر قبل نشوب الحرب الكبرى وأبان الصلة الوثيقة بين صناعة الاسلحة في بريطانيا ورجال الحكومة البريطانية أنفسهم . قال : « يتعذر ان أرمي حجراً على المقاعد المقابلة من دون ان اصيب عضواً من اعضاء المجلس لا يملك اسهماً في احد هذه البيوتات » . ثم ذكر اسماء طائفة من اعضاء المجلس قال ان لهم مصلحة مالية في مصانع الاسلحة واذن فلهم مصلحة خاصة في نشوب الحروب . ثم وضع كاتب يدعى المستر بريس (Perris) كتاباً فصّل فيه بعض نواح من هذه المسألة وجعل عنوانهُ « تجار الحرب » . ونشرت « لجنة اتحاد السيطرة الديمقراطية » ما وصلت اليه من النتائج في مجلة عنوانهُ «صناعة الحرب الدولية»، وفي سنة ١٩١٥ اتخذت « عصبة النساء الدولية للسلم والحرية » القرار الآتي:

« ان هذا المؤتمر النسائي الدولي يرى في الارباح التي تجنى من مصانع الاسلحة الكبيرة عائقاً كبيراً يحول دون الغاء الحرب »

فلما كانت سنة ١٩١٩ واجتمع عشار الحلفاء في باريس لوضع معاهدة الصلح ، كانت الحركة لمقاومة تجارة الاسلحة الدولية قد بلغت من القوة مرتبة بعيدة فأرغم أعضاء مؤتمر الصلح أن يدخلوا في دستور جمعية الامم مبدأ اعربوا فيه عن ترغيبهم في يوم الذي تصبح تجارة الاسلحة خاضعة لرقابة دولية . ووفقاً لهذا انيط تشكلت لجنة في جمعية الامم سنة ١٩٢١ للبحث في أعمال العصبة التي تتجر بالاسلحة . ويسوءنا ان اللجنة لم تنشر الحقائق التي كشفتها ، وانما يكفي الآن انها نشرت النتائج التي وصلت اليها . وهي :

١ — ان شركات الاسلحة كانت فعالة في خلق اشاعات الحرب والتهويل بها وفي اقناع البلاد التي انشئت فيها باتخاذ خطط حربية لكي تقضي هذه الخطط الى زيادة التسلح . ٢ — ان اصحاب شركات الاسلحة حاولوا ان يرشوا موظفي الحكومات في البلدان التي فيها الشركات وفي البلدان الاخرى . ٣ — ان شركات الاسلحة قد وزعت بيانات خاطئة عن حالة التسلح الحربي والبحري في بلدان مختلفة لكي تحمل الحكومات على التنافس فتغرق في الانفاق على التسلح . ٤ — ان شركات الاسلحة حاولت أن تؤثر في الرأي العام بالسيطرة على الصحف في مختلف البلدان .

٥ — ان شركات الاسلحة في البلدان المختلفة قد أحدثت في شبه عصبة همها استثارة كل امة ضد الاخرى في المسابقة الى التسلح

ما هي الحالة الآن ؟

لا تزال شركات الاسلحة تهول باشاعات الحروب ، وتحاول الضغط على الحكومات ، والتأثير في الرأي العام بغية أن تزيد المبيع من بضاعتها في السوق الدولية ، ولا يزال لها ممثلون يحاولون بأساليب المداورة والدعوة والاتصال الشخصي منع التقدم في أي سعي لتخفيض التسليح ولا تزال هذه الشركات تبعث بأسلحتها الى البلدان التي تطلبها لا ترهب الحكومات ولا ترجوها. فالذخائر الحربية كانت تتدفق على بوليفيا وپراجواي — في اميركا الجنوبية — زمناً قبل نشوب الحرب بينهما. وبلاد الارجنتين ما زالت تشتري الاسلحة من الولايات المتحدة الاميركية بمال قرضين سريين عقدا في الولايات المتحدة الاميركية بين سنتي (١٩٢٣ — ١٩٢٦) . وفي سنة ١٩٣٠ كان ٩٩ ٪ من الاسلحة التي تصدرها شركات الاسلحة اليابانية يصدر الى الصين فاستعملت الجيوش الصينية جانباً من هذه الذخائر في قتال اليابانيين أنفسهم

ولم تكن بيوتات صنع الاسلحة الاوربية أقل نشاطاً من بيوتات أميركا واليابان . فبعض معامل فرنسا كان يصدر أسلحة لاعداء فرنسا وأحلافها على السواء . وليس ثمة ما يدل على أن حكومة بعينها تريد أن تحل هذه العصبة الدولية الشريرة . فقد قرأنا في مجلة « الامة » الاميركية — وهي من أصدق المجلات وأشدها حرية — ان السرجون سيمون والمستر نفيل تشمبرلين — وهما وزير خارجية انكلترا ووزير ماليتها — يملكان أسهماً في شركة انكليزية مشهورة تصنع مفرقعات في عداد ما تصنعه من المستحضرات الكيمائية

وقد حاولت الجمعيات المؤيدة للسلام أن تبحث عن الحقائق المستترة في هذه التجارة . فلقيت مصاعب جمة تعترض سبيلها . حتى جمعية الامم نفسها لم تفز الا بنصيب يسير من النجاح في محاولتها معرفة حالة تجارة الاسلحة على صحتها . ومن اربع سنوات انشئت لجنة في جمعية الامم لوضع اتفاق تفرض بموجبه رقابة دولية على صناعة الاسلحة . فناقشت اللجنة في اول اجتماعها في موضوع « هل يصح أن يطلب من كل حكومة أن تنشر منشوراً دورياً عن صناعة الاسلحة في بلادها » . فاعترض على ذلك مندوب بريطانيا . وقال :

« أولاً : إن حكومته لا تملك هذه الاخبار . ثانياً : ان اصحاب المصانع وحدهم هم الذين يستطيعون أن ينشروا هذه الحقائق وهم ولا شك يرفضون . ثالثاً : لا سلطة لنا لارغامهم على ذلك . رابعاً : ثمة حكومات قليلة جداً تجرؤ على وضع تشريع يرغمهم على ذلك »

ومنذ ثلاث سنوات قامت سيدة سويدية عالية الهمة تبغي أن تجمع لجمعيات السلام النسائية ما خفي من أنباء شركات الاسلحة وتجارتها الدولية . فراجعت الاحصاءات المطبوعة والمخطوطة في جمعية الامم والحكومات المختلفة وخاطبت موظفي الحكومات ودعاة السلم وكل

من يهمهُ الموضوع . ثم وضعت تقريرها ؛ فاذا هي تقول فيه : إن الحقائق المنطوية على خطر لا تظهر قط في تقرير رسمي ، فكأن هذه الشركات ، عصابات لا تبيح أسرارها لاحد

ثم ان ميزانيات بعض البلدان تذكر في باب الانفاق على التسلح رقماً أقل من الرقم الذي تنفقه حقيقة . وفي بلدان اخرى يجد الباحث في المسألة لفًّا ومداورةً في مسألة الصادر والوارد يجعل التحقق من قيمة الاسلحة التي استوردتها البلاد متعذراً

خذ مثلاً على ذلك بلاد السويد . فوثائقها تشير الى انها صدرت الى بلاد النرويج أسلحة قيمتها ٤٩١٠٠٠ كرون . في حين ان بلاد النرويج لم تستورد في السنة نفسها — بحسب وثائقها الصومية — أسلحة من بلاد السويد باكثر من ١٣٩٣٠٠ كرون

أو خذ مثلاً آخر ، يؤخذ من احصاءات امريكا سنة ١٩٢٥ أن ٣٢ر٢ في المائة من كل ما صدر من امريكا من البارود أرسل الى بولونيا ، في حين أنك لا تجد في أية وثيقة رسمية من وثائق بولونيا ما يشير الى أنها ابتاعت باروداً ما من امريكا في تلك السنة . ونعم ما يحمل هذه السيدة السويدية على الاعتقاد بأن جانباً كبيراً من الاسلحة يدخل البلاد التي تستوردها موسوماً بسمة « ألعاب نارية وصواريخ » أو « بيانوات » أو « قطع آلات » أو ما شاكل

ومن أغرب ما اكتشفته هذه السيدة ان معاهدة فرساي في مادتها ١٧٠ تمنع المانيا من تصدير الاسلحة او الذخائر الحربية او مواد الحرب أيًّا كانت وان بعض دول الحلفاء الذين فرضوا هذه المادة على المانيا « هم نفسهم من زبائنها » فبريطانيا وايطاليا والباجيك وحتى فرنسا نفسها ابتاعت ذخائر من عدوتهم السابقة . والمادة المذكورة في معاهدة فرساي تمنع كذلك المانيا من استيراد الاسلحة من الخارج ولكنها لم تمنع شركة متروفكرز ارمسترنغ — التي حوكم رجالها حديثاً في روسيا — من الاعلان عن احدث طراز من مدافعها الضخمة في مجلة رسمية بألمانيا

واغرب من ذلك ان البلدان التي تحيط بالمحيط الهادي قد زادت ما ابتاعته من الاسلحة وفي مقدمتها الصين — وهذا مفهوم للحرب الاهلية فيها وحربها الاخيرة مع اليابان — وكندا واستراليا وجزائر الهند الشرقية التابعة لهولندا . والولايات المتحدة وحدها لم تستورد اسلحة من الخارج ولكن يجب ان نذكر ان الولايات المتحدة تكفي نفسها بنفسها من هذه الناحية

في طليعة البلدان المتجرة بالاسلحة بريطانيا ونصيبها من الاسلحة المصدرة في خلال سنة يبلغ نحو ٣٥ في المائة من المجموع وقد اعلن وزير خارجيتها السير جون سيمون انه في اعطاء الرخص لتصدير الاسلحة لا تنظر الحكومة البريطانية الا الى أثر هذا التصدير في علاقاتها الودية مع الامم التي تصدر الاسلحة اليها . اي ان مصانع الاسلحة البريطانية تستطيع ان تصدر الاسلحة الى اي بلاد ما زال هذا التصدير لا يتعارض والسياسة الخارجية البريطانية

ثم ان جانباً كبيراً من الاسلحة المصدرة يصدر من ثغر همبرج وهو بالنسبة الى تشيكوسلوفاكيا

مرفأ حر، وفي تشكوسلوفاكيا معامل «سكودا» المشهورة وهي جزء من اتحاد شنيدر كروزو الفرنسي. وهذه المعامل رفضت منذ بضعة اشهر الموافقة على منع تصدير الاسلحة الى اليابان والصين لكان ذلك باعثاً على الغاء القرار الذي اتخذته بريطانيا. ومعظم الاسلحة التي استعملت في حرب اليابان والصين الاخيرة صدر من هذه المصانع. ولكن الاسلحة التي استعملتها اليابان في حربها الاخيرة لم تصدر كلها من معامل «سكودا» فمعامل بريطانيا نصيب فيها. ومصانع المانيا الكيمائية صدرت اليها مقادير كبيرة من الحوامض لصنع المفرقعات. وثمة مصنع للسيارات في ديجون بفرنسا كان منهمكاً في صنع قنابل طيارات بيعت لليابانيين. ومصانع شنيدر وكروزو كانت مكبة على صنع المدرعات. وكذلك مصانع اميركا لها نصيب لا تعلم حقيقته

ومن اغرب ما حدث في الولايات المتحدة الاميركية ان لجنة مجلس النواب للشؤون الخارجية قبلت ان تعقد جلسة لسماع بيانات عن تجارة الاسلحة ووجوب السيطرة عليها. فلما ازف الميعاد المضروب وحضر الشهود ورجال الصحف الغي الاجتماع بحجة رسمية لا تعوز من يريدون عرقلة هذه المساعي. ولكن الواقع ان عقد هذا الاجتماع بحضور رجال الصحف يجعل الاذاعة عنه امراً يحشاه الرجال الذين لهم مصلحة في هذا الضرب من التجارة. وقد قيل في الحجة الرسمية ان «الذخائر الحربية لا تشحن الآن الى الشرق الاقصى» وهذا في الواقع غير صحيح. والادلة على تصدير الاسلحة الى اليابان ليست نادرة ولا قليلة. ففي ١١ فبراير سنة ١٩٣٢ نشرت جريدة «النيوز» نبأ ملخصه: ان اربع سفن خرجت من مدينة رتشموند من رصيف احدى شركات الذخائر ووجهتها اليابان. ثم نشر احد اعضاء مجلس النواب في جريدة «الصن» ما مؤداه ان ١٥ سفينة يابانية خرجت من الرصيف نفسه حاملة المواد الاساسية لصنع المفرقعات. وكانت كلها الا سفينتين متجهة الى مرافىء يابانية» ثم ان شركات الاسلحة زادت عمالها في الزمن الاخير. وهو دليل على زيادة ما تنتجه من الاسلحة. وبعد اجتماع عقد في مارس سنة ١٩٣٢ بين اعضاء شركة دي پون وهي من شركات الذخائر الحربية الكبيرة في اميركا ومساعد وزير الخارجية ورئيس قسم الشرق الاقصى في وزارة الخارجية الاميركية، اعلن ان سياسة الحكومة الاميركية في تصدير الاسلحة لن تتغير. ولا يعلم على ما دار البحث حينئذ ولكن صيل الاسلحة الاميركية الى اليابان لم ينقطع بعدها حتى عهد روزفلت

ويجدر بنا ان نذكر هنا ان الدكتور صروف رحمه الله، كان شديد التوجس من هذه الناحية، قبل ان تظهر الحقائق التي ذكرناها، وقد بسط ذلك في روايته «فتاة مصر» التي ألفها سنة ١٩٠٥ وبطلاها فتاة مصرية وشاب انكليزي كان مكاتباً للصحف في الحرب الروسية اليابانية التي كانت دائرة حينئذ، والفصل الذي عقده لرواية ما دار بين رجال المال وأصحاب مصانع الاسلحة على الحرب الروسية اليابانية أحاط فيه بأهم المبادىء المتقدمة في قالب روائي جذاب

صانعة الدموع

أنا الرجلُ المنسوبُ القويُّ الذي لا يَخْضَع ،
أنا الرجلُ المُلْتَهِبُ كأنّ روحَه في بَدنه إعصارٌ من النّار
أنا الرجُل الصَّخْرُ الذي تَقْسَمُ الأحداثُ عليه لتَرِنَّ ثُمَّ تنحدِر ؟
بَلِ الرَّجُلُ البركانيُّ الذي لا يغضَبُ ، فإن غَضِبَ تفجّرَ بالبلاء

***

نَفْسي كأنّها قطعةٌ من القَدَرِ فلا تَسْرُّها ولا تَسوءها الأقدار ،
بل كأنّها سُنّةٌ من الأبد يستوي في مرآتها الليلُ والنهار ،
بل كأنّها بعضُ الفلك الذي تجري فيه الشموسُ والأقمار ،
بل كأنّي عالَمٌ مَسْحُور كلُّه ألغازٌ وكُلُّه أسرارٌ

***

أنا ذلك الرجُل ما أزالُ وتلك نَفْسي ما برحتْ
ولكنّ ما هذا البلاءُ الجديد ؟
ما هذا الماءُ المُنْهَمِرُ على خدّيَّ حاراً دافقاً ؟
لكأنّهُ من رَشَاشِ أمواج البحر في مِلْحِه ومَرارته ؟
وكأنّهُ من طارات الحَمَام الفوّارة في لذعه وحرارته ،
ولكنّ البحرَ بعيد ، وما في هذه الارض حُمَم
. . . بل كأنّهُ من قطرات المطر
بَلْ ليس به ، فالمطر عَذْبٌ خَضِر
وإني لأرى السماءَ سافرةً ليس يحْجُبُها سحابٌ
ولو قد كان في السماء سحابٌ ، لقلت : عسى ولعلّ ....

***

ما هذا السرُّ الخفيُّ بينَ جنبيَّ ؟
إنهُ ليهزّني كما أهزُّ الدَّوحة ساعدي المفتول ،
إنّهُ ليغزو ضياءَ قلبي بمثل سواد الليل ،
ولقد عهدتُني مرحاً طروباً ، فما هذا الفتور ؟ !

... لقد سمعتُ الناس قديماً يقولون في أنفسهم مثل هذا الطائف
سمعتُ قائلهم يقولُ : ..... هو الهمُّ ،
أجَل إنهُ همٌّ ... وإنهُ من همِّ لحَبيب

***

وما هذا ؟ ! جديدٌ ، ما عهدتهُ من قبلُ !
... إنها لتتحسَّسُ بأولها وبهاويلها ، ...
وانها لتتنفسُ من سرادقها فترسل من فُتوقها أمثالَ أشعة القمر ، ...
لقد أخذ الفتقُ يستديرُ .... وما هذا القمرُ العجيب؟
ويحي ... ما هذا قراً .... انهُ لملكٌ كريم ،
ويحي ... انهُ وجهُ غانيةٍ ، وإني لأجدُ في نفسي أني أعرفهُ
آهِ ! أأنت ؟ أأنتِ تلك الحسناء التي رأيتها بالامس ؟

***

أجل ! أنا الحسناء ، والبلاء الجديدُ ما هو إلاّ دموعُ عينيك
البلاء الجديدُ ...؟! دُموع عيني ؟! ..... ما أنتِ !
بل كيفَ استرقتِ أحاديثَ قلبي ؟ .....
إني قريبةٌ منك وإن طارتْ بي النوى أو طوّحني الفراق ،
إني لأراكَ ... ، وأسمعك ... ، وألجُ قلبَك ... ، وان خيلْتَني بعيدةً عنك ،
وأنا ... أنا التي صنعت لكَ هذه الأحلامَ لأبدُوَ في زينتها ،
وزينتها هذه من بعض معانيَّ

***

إني لأجري منكَ مجرى الدَّم ،
وذاك السرُّ هوَ ما يتطايرُ من دمكَ إذ أسبح أنا فيه ،
وإن ما يتطايرُ منهُ ليقعُ على شجرةِ أفكارك الجرداء ... ،
فبعدَ قليلٍ ما تنفصدُ أوراقها خُضْراً ثم تتفطَّرُ ثم تورق ثم تتلفعُ ،
وإذا شجرةُ أفكارك خضراءُ وارفةُ الظلال
وظلالُها التي أفيءُ — أنا — إليها تُسمّيها — أنت — الهمَّ ..... !
لقد جار منكَ لسانُك ... ولكن سوف يرضيني منك شيءٌ واحدٌ ،
سوفَ يرضيني منكَ أنك لن تُنسَاني بعد اليوم وإن لم تَلْقَني ....

وأنا ... آه ... إني لن أنساك .... إني أحبك

***

ويحَ غيري ! لقد أصبحتُ أفهمُ هذه اللغة وكنتُ لا أفهمُها !
إنَّ لساني ليذلقُ بها الآن كأنما كان يرتضعُها من ثدي أمه !
أجل ! لقد ارتضعتُ — صغيراً — من ثدي امي هذه اللغة ،
ولكني نسيتها لما افتتلتْ قُوايَ واستمرَّ مريري ،
نسيتُها لما كبرتُ وأصبحتُ رجلاً ...
نسيتُها ... ولعلي نسيتُها وأنا أصارعُ الحياةَ وكانت تريدُ أن تصرعني
نسيتُها... ولعلي نسيتُ اشياء كثيرة في الميدان
وهناك كلمة لعلها مما نسيتُ في حومةِ الحياة....
كلمةٌ مما سمعتُ ، ما فهمتُها ، ودعيني — يا جميلتي — أفهمها وحدي
ما هي الدُّموع ....؟

***

ما هي الدُّموع ...؟
أهي عواطفي ترسلها سحائب شجوني وأحزاني !
أم هي أنفاسي الحارةُ التي كانت روح قُبلاتي...؟
أنفاسي الحارّة التي انعقدتْ لما دفئتها الحياةُ عالياً في جوّ السماء ...
أهي نفسي تسيلُ على خدّي حين رَبَضتْ عليها الحياةُ بأثقالها فأسالتها....؟
أم هي إخلاصي وعفتي ووفائي تقطرُ من قلبي إذ تعتصره الآلام ؟
أهي كلماتُ حبي الذي لا يتكلم ؟
أم لغة آلامي التي لا تفهمها الا لحظات عيليك ؟..
آه : وما كنت عاجزاً ولقد عجزتُ . ألا فقولي أنت ... ما هي الدُّموعُ ؟

***

أتضحكين ....؟ انك تهزئين مني ... فلستِ عالمة الحب ...
ويلي ... ! أراك اخضعتني ، وكنت الرجلَ المشبوبَ الذي لا يخضعُ ،
وأطفأتِ ناري ، وكنت الرجل الملتهب كأنّ روحه في بدنه إعصار من النار ،
وصدّعتِ صخرتي ، وكانت الاحداث ترنُّ عليها ثم تتحدرُ ،
واغضبتني ... فالآن حذارِ ان يتفجّر البركانُ بالبلاء

ولكن .... ما أعجزني ؛ وما أعجز البركان !!

***

ومالك الآن يا نفسي ؟ ألست كما كنتِ ؟ لا تسركِ ولا تسوءكِ الاقدارُ ؟
ألستِ كما كنتِ ؟ سنَّةً من الايد يستوي في مرآتكِ الليل والنهار ؟
ألستِ كما كنتِ؟ بعضَ الفلك الذي تجري فيهِ الشموس والأقمار ؟
ألستِ كما كنتِ ؟ عالماً كلُّهُ ألغازٌ وكلُّهُ أسرارٌ ؟
أم أشعَّةُ عينيها تجعل من بنائي أحجاراً على أحجار ؟

***

أغضبتَ — أيها الحبيب — ؟ أحزنتَ ... ؟ لا لا تغضب ولا تحزن
إنني ما ضحكت من سخر ولا استهزاء
ضحكتُ إذ صُرفتُ عن الصواب وقد ملكتهُ ...
لا تغضبْ ولا تحزنْ ... ألا تعرفُ ما هي الدُّموعُ .... !
الدُّموعُ البريئةُ التي تذرفها أنت لاما يسكبهُ الناسُ من محاجرهم ...
هي : ... بل لا لا ... إنها سرُّ صناعتي لنْ أبوحَ بهِ ،...
ويكفيك من علمها أن تعرفَ أنني — أنا — التي أصنعُها لك ... ،
أنا التي أصنعُ دموعك وأحلامك . وشجونك وآلامك ... ،
أنا التي أصنعُ لك كلَّ شيء ، ...
أنا التي تحبُّك .... ، وأنا التي لن تنساك .....

***

ما هذا ؟ أختفيتِ ؟ فاني لا أراك يا حبيبتي ...
ما هذا ؟ أين أنتِ يا صانعة دموعي وآلامي ؟
أينَ أنتِ يا صانعة آمالي وأحلامي ؟
أين أنت ؟ أينَ أنت ؟ إنك تسمعيني ... لقد قلت ذلك
إنك تسمعيني فلماذا لا تجيبين ندائي ؟ لماذا ؟
تعالَيْ ، تعالَيْ ! تعالَيْ واصنعي لي آلاماً ودموعاً أخرى ،
تعالَيْ ، تعالَيْ ! تعالَيْ واصنعي لي آمالاً وأحلاماً جديدةً
أريدُ آلاماً ودموعاً ،
أريدُ آمالاً وأحلاماً

محمود محمد شاكر

اللون الاحمر واللون الازرق

في الصحة والمرض

من المبادىء الطبيعية المعروفة ان أشعة الشمس متى نفذت موشوراً من الزجاج انحلت الى الالوان الاصلية التي يؤلَّف من مجموعها الضوء الابيض فظهرت في شكل قوس قزح فاذا وضع امامها حجابٌ وقعت صورتها عليهِ وتعرف هذه الصورة بالطيف الشمسي . وهي مؤلفة من الالوان الآتية الاحمر اولاً ثم البرتقالي ثم الاصفر ثم الاخضر ثم الازرق ثم النيلي ثم البنفسجي . هذا ما يظهر من الطيف للعين لكنهُ يزيد عن ذلك من طرفيهِ . فلو أدنينا منهُ ثرمومتراً حسّاساً مبتدئين بالمنطقة البنفسجية وجدنا الحرارة تزداد كلما اقتربنا من المنطقة الحمراء وتستمر الزيادة الى ما بعدها بقليل ثم تأخذ بالانخفاض تدريجاً مما يدل على ان هناك أشعة غير الاشعة الحمر لا ترى بالعين لكن يشعر بحرارتها فقط . ثم لو عرضنا ورقاً فوتوغرافيًّا حسّاساً على أشعة الطيف الشمسي وجدنا المنطقة التي بعد اللون البنفسجي تؤثر في املاح الفضة كما تؤثر فيها الالوان التي بين البنفسجي والاخضر اي ان بعد اللون البنفسجي منطقة لا تظهر للعين لكنها تؤثر في الاملاح الفضية

فالطيف الشمسي اطول مما يظهر للعين ولا يرى منهُ الاَّ الجزء المتوسط فقط والوانهُ تختلف في خواصها فما كان منها بين الاخضر والبنفسجي لهُ خواص كيماوية ويؤثر في املاح الفضة وما كان بين الاخضر والاحمر لا تأثير لهُ من هذا القبيل . ويظهر ايضاً ان اشعة الطيف تختلف ايضاً في تأثيرها في الخلايا الحية فقد علم من عهد بعيد ان للنور الاحمر فائدة في معالجة الحميات النفاطية كالجدري فكانوا يلبسون المجدور قميصاً احمر

***

وقد اخذ بعض الاطباء في هذه الايام يهتمون بالمعالجة بالنور فانهم يضعون المجدورين في غرف حمراء يحجبون عنها الاشعة البنفسجية ولاسيما الاشعة التي وراء البنفسجي وينتبهون لذلك أشد الانتباه كما ينتبه المصور لحجب هذه الاشعة عن الالواح الفوتوغرافية . ويقوم ذلك بوضع الستائر الحمر امام النوافذ فلا يدخل الغرفة الاَّ النور الاحمر وتنار الغرفة أيضاً

مصباح ينير نوراً أحمر كمصباح الذي يستعمله المصورون لقاء ذلك بنتائج حسنة الى الغاية لا سيما في الجدري والحصبة . ولا يعرف تعليل لهذه الفائدة فقد قال بعضهم انها ناتجة عن حجز الاشعة الكيميائية اي ان الاشعة الحمر لا تأثير لها في شفاء هذه الامراض بل منفعتها سلبية فقط وقيل انها تنبه الجهاز العصبي وتزيد الجسم مقاومة للمرض

***

اما تأثير الاشعة الحمر في الجهاز العصبي فامرٌ لا ريب فيه فانها تهيج الأعصاب كثيراً كما يحدث للنور من رؤية الالوان الحمر . وفي أحد المعامل حيث تصنع الالواح الفوتوغرافية أصيب العمال بتهيج عصبي شديد كانت عاقبته وخيمة وذلك لانهم يشتغلون في النور الاحمر فقط ولمنع ذلك بدلوا اللون الاحمر بالاخضر فان هذا كاللون الاحمر لا يؤثر في املاح الفضة لكنهُ أقل منهُ تأثيراً في الاعصاب

والمصورون يعرفون الفرق في تأثير هذه الالوان بالشعور فيستعملون الالوان المفرحة أو المحزنة حسبما تقتضيه الاحوال فاللون الاحمر دليل الشجاعة والغضب والاصفر دليل الحزن والازرق دليل الهدوء والسكينة

وبعض الاطباء يستعملون اللون الازرق مخدراً فانهم يضعون نوراً حولهُ زجاجة زرقاء على مسافة ١٥ سنتيمتراً من عيني المريض ويضعون على وجههِ وعلى النور منديلاً من الحرير الازرق يحجبون بهِ سائر الاشعة ويبقى المريض فاتحاً عينيهِ فيؤثر النور الازرق في عصب العين ويسبب تخديراً في الدماغ يمكنهم على ما قيل من اجراء العمليات البسيطة التي لا يستغرق عملها وقتاً طويلاً بغير ألم كخلع الاضراس وما اشبه . وقد نسبوا هذا التخدير الى التنويم المغنطيسي لكن النور الاحمر والنور الاصفر لا يفعلان ذلك ولا بد ان للنور الازرق تأثيراً خاصاً في الاعصاب

ويمكن استعمال النور الازرق في معالجة الامراض العصبية المؤلمة كالنفرالجيا وغيرها ولذلك جهاز خاص مؤلف من مصباح تنعكس اشعتهُ عن سطح شلجمي امامهُ حجاب ازرق وبين الاشعة والحجاب انائهٌ فيهِ ماء جار فلا ينفذ من الاشعة سوى الاشعة الزرق والبنفسجية وما وراءها وكلها مسكنة للاعصاب . ويستعمل بعضهم حماماً لهذه الغاية وهو مؤلف من صندوق يوضع فيهِ المريض ويبقى رأسه خارجاً ويثار الصندوق بمصابيح عليها زجاج أزرق

وقد أشاروا على أصحاب الامزجة العصبية المصابين بالنفرالجيا والارق وما أشبه ان يفرشوا غرف النوم بالاثاث الازرق اللون ويضعوا على النوافذ ستائر زرقاً فان ذلك يريحهم كثيراً

باب شؤون المرأة
وتدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة وأهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيرات النساء ونهضتهن ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

دور المراهقة

وتبعة الوالدين فيه
محاضرة للدكتور شخاشيري

مواطن الارشاد والآراء

هذا الارشاد يجب أن يُبدأ به في البيت . وان تتولاه الام مع طفلها في فترات منظمة تتحدث اليه فيها عن اعضائه الخاصة وعن وظائفها المختلفة وشأن تلك الوظائف . ولا تتوانى في تحذيره من اللعب بها والاساءة اليها . وما هي الاضرار التي تنزل به ان أساء التصرف بها . والفوائد التي يجنيها ان أحسن ذلك التصرف ويجب ان تشرح له مدى تلك الاضرار والفوائد على حسب استعداده لفهمها كما تشرح له الاضرار التي تلحق به ان لعب بعيدان الثقاب او غير ذلك من الاشياء التي تخاف عليه منها وهي كثيرة جداً . وقد لا تعادل اضرارها مجتمعة ذلك الضرر الذي يدهمه بسبب جهله ميزات تلك الاعضاء

وقد يفضل بعضهم عدم اطلاع الطفل على هذه الحقائق لانه — على زعمهم — لا يستطيع ان يفهمها قبل ان يدرك سن الرشد — ولكن هذا الزعم ان صح لا يمنع اطلاعه عليها بحال بل قد يكون ادعى الى استيعاب هذه الحقائق وهو طفل منه وهو شاب

وكما ان تعليم الاحداث وغرس الفضائل فيهم وترويضهم على الطاعة والنظام في المعيشة يكون دائماً أسهل وأجدى فائدة عليهم . كذلك تكون نتيجة معرفتهم أسباب تلك التغيرات التي تطرأ على ميولهم عظيمة جداً . لانها تمكنهم من صيانة أبدانهم وعقولهم من العلل والاسقام وتنقذ الاجيال من سيئاتها

وليس اهتمام الاطباء بالاحتياطات الصحية التي يتوسلون بها لدفع الاوبئة عنهم باعظم فائدة منها . فكما نحصن الطفل من مرض الجدري والدفتريا والتيفودية بالمراقبة المتادة والامصال . كذلك يجب أن نصونه من هذه المهالك بتعليمه وارشاده كيف يتجنب السقوط فيها

ومن الغريب ان معظم الآباء لا يهتمون بترويض ابنائهم على معرفة تلك الميول أو

يتركون تعليمهم الى ان يعلو زرعهم ويقسو عودهُ او الى ان يبلغوا سن الادراك وغاب عنهم ان ما تتعرض له النفس في هذا السن من اضطراب في الاعصاب والافكار وتطور في الميول يحول دون تعليمها التعليم المنظم . وقد يمكن تحويل مجرى النهر من منبعه حيث يكون جدولاً صغيراً لا حول ولا قوة له ولكن ليس من قوة تستطيع ان تغير مجراه عند مصبه حيث يتسع نطاقه ويشتد تياره . كذلك الحال مع الطفل فان تحويله عن عادة سيئة وغرس فضيلة مكانها أسهل عليه منه وهو شاب وقد تأصلت فيه الطباع والعادات . والطفل لا بد وان يتعرف الى هذه الميول ويغلب ان تكون طريقة تعرّفه بها مشوهة او ناقصة مما يبعث فيه حب الاستطلاع ومعرفة ما يجهله منها . ولا يبعد ان يساق الى تكوين فكرة خاطئة عن نبل العلاقة الجنسية . وهذه المعرفة الناقصة مع تردد الاب في محادثته فيها عنها يزيدان رغبته في الامعان وكشف الاستار . ولا يخفى ما يجره عليه هذا الامعان من البلايا — وقد يورطه في رذيلة المعاقرة وادمان المخدرات وغير المخدرات ويذهب بعضهم ان تنظيم المعيشة على التعاليم الخلقية يكفي لارشاد الطفل الى ما يجب ان يعرفه عن العلاقة الجنسية . ولعل هذا يكون صالحاً لتدريبه على حذق المجادلات في الزيارات والمقابلات اكثر منه لتفهم تلك الحقائق الغامضة عليهِ كل الغموض . ويعتقد بعضهم ان الضغط على الطفل خير مرشد لتسديد خطواته في الحياة وهذا الاعتقاد على فساده لا يزال وياللاسف سائداً في الشرق بخلافنا هو عليهِ في الغرب . لحظه فيه من الانتشار غير كبير

والتربية الصحية لا تقوم على الضغط والاكراه — وانما تقوم على المبادىء القويمة التي توجههُ الى الغاية الشريفة من الحياة . اما التخويف والتهديد فأرهما منكيل غير مجدٍ وليس منهما فائدة تذكر في جانب الاضرار التي تنشأ عنهما

ويزعم بعضهم ان الطفل لا يستطيع فهم هذه المشكلة الاّ بعد ان يخوض غمارها ويكتوي بنارها وخطأ هذا الزعم واضح لا يحتاج الى تفسير ولا تعليق وقد برهنا على فساده فيما تقدم

ويقول بعضهم بعقد اجتماعات عامة للاطفال والقاء محاضرات في هذا الموضوع وتشجيعهم على المناقشة فيها واي سؤال يوجههُ طفل من المدعوين يجب مراعاته والاجابة عنهُ . والذي لا يهتم منهم بابداء رأيه في موضوع المحاضرة يطلب منهُ ذلك ولو على سبيل الاستفادة منهُ

ويستحسن كثيراً ان يبتدىء الاب بمكاشفة ابنهِ بمعلوماته عن هذه التطورات قبل ان يذهب بهِ الى المدرسة بقليل — ويجب ان لا يكتم شيئاً عنهُ منها تافهاً كان او ضاراً — والمصارحة المطلقة واجبة بل ضرورية لان هذه الغرائز ما وجدت في الانسان الاّ لفائدتهِ اولاً ولفائدة الجنس ثانياً . وان علاقة الفتى بالفتاة — والرجل بالمرأة — لا عيب فيها مادامت تتم في حدودها المشروعة وفي نطاق الغرض الذي وجدت لتحقيقهِ . وحب الاوطان وحب الانسانية

يطالبان الآباء بالتبعة الملقاة على مناكبهم نحو الابناء — بل نحو الاجيال المقبلة

والانسان لا يعلو بقيمته الا بمقدار ما يشعر به من اعباء تلك التبعة ويفعله من الاعمال المجيدة وليس الغرض من الحياة ان نخلق جيلاً جديداً فحسب بل جيلاً صالحاً ليأتي بجيل اصلح منهُ للحياة الشريفة التي تسعى اليها الانسانية الراقية في شعورها وثقافتها . . .

معاونة المدرسة

لقد فرضنا فيما سبق على الام التحدث مع طفلها في الوقت الذي تبدأ تكلمه عن الاشياء المحاطة به والتي تخاف عليه أن يصاب بمكروه منها

كذلك فرضنا على الاب ان يتناول هو الآخر هذا النوع من الحديث مع ابنه قبل ان يذهب به الى المدرسة بقليل . ولا افرض على المدرسة هذه المعاونة وانما القيها عليها كواجب مقدس تضطلع به اضطلاعها بالاعباء القائمة بها في تثقيف العقول وتهذيب المدارك — ولا يخفى ان المراهق يحتاج الى كثير من الارشاد في اثناء الدراسة — وخير من يسدي اليه هذا الارشاد هو المربي الفاضل والاستاذ العاقل ومعاونة المدرسة هذه لا تقل شأناً عن تلك العلوم والفنون التي يقضي عشرات السنين في دراستها واستجلاء معانيها — ومن الغريب ان تظل برامج الدراسة في مصر وغير مصر خالية الى الآن من هذا الدور الخطير الذي يجب ان يكون في طليعة العلوم على اختلاف اقدارها في الخطورة لانهُ في الواقع اعظمها شأناً وافضلها علماً واي علم يتفاضل علم الصحة ويفضله ؟

واذا كان علم النحو والجغرافيا والتاريخ والهندسة وغير الهندسة من الادوات الضرورية لهذا العصر فمعرفة اسباب التغيرات التي تحدث في الجسم اشد ضرورة واولى بالعناية والدراسة منها جميعاً

مما لا شك فيهِ ان معاونة المدرسة في تعليم الفتى في دور النضوج الطبيعي الذي تظهر بوادره عليهِ في سن الادراك تؤيد ما يكون قد علق في ذهنه من تعاليم البيت وتثبت لهُ فوائدها بالبراهين العلمية والشواهد الناطقة وبالوسائل التي تستعين بها على شرح الاعضاء ووظائفها والميول الغريزية ومبلغ الاضرار التي يصاب بها ان أساء الى تلك الاعضاء . والفوائد التي يجنيها في صحته وأخلاقه ودراسته ان اعتنى بها

آراء العلماء في مداواة المشكلة الجنسية

لقد ذهب فريق من العلماء في مداواة ما ينشأ عن الصلات الجنسية الدنسة من علل واسقام مذاهب مختلفة منها التحكم بالنسل او عدم الانتاج . ولكن ظهر لهم ان لهذه الوسيلة عواقب وخيمة في صحة المرأة لا تبرأ منها فيما بعد . وفريق آخر يقول ان في القضاء على المخبولين والمجرمين والمصابين بامراض عضالة أو حرمانهم من الزواج والتوالد هو الدولة الوحيد الذي نستطيع به ان ننشىء جيلاً سليماً من الامراض الاجتماعية والتشوهات الخلقية

وذهب فريق ثالث الى ان للوسط تأثيراً في النشء لا يستهان به فان اردت اصلاحه فا

عليك الا ان تقضي على المؤثرات الرديئة المنبثة فيه كالمظاهر التي تفسد الاخلاق وتفسد الشهود وان تحارب الامراض التناسلية وتستأصل جراثيمها واسبابها . وان تشجع العوامل على تنظيم المعيشة كتهوية المنازل والعناية بالرياضة الجسدية والعقلية ومراقبة الملاهي ودور السينما واصطفاء المعشر . كل هذه الوسائل تعين للنشء التربية الخلقية الصحيحة . وانت تعلم ان الوقاية من الرذيلة تعادل في خطورتها الوقاية من الامراض الوبائية

العلاج الواقي

وكما تحتوي تذكرة الطبيب على ادوية مختلفة المزايا في مقرراتها لكنها متحدة القصد متجهة الى معاونة المريض في مجموعها ، كذلك احتوت هذه الكلمة في معالجة الموضوع الذي بحثناه على آراء وطرق مختلفة اشد الاختلاف في نوعها ووسائلها ولكنها متحدة الغاية في جملتها على معاونة الابناء في اجتياز دور المراهقة الذي هو اهم ادوار الحياة شأناً . فمن مصارحة الآباء المطلقة للابناء عن الاعضاء الجنسية ووظائفها قبل بلوغهم سن الرشد وذهابهم الى المدرسة الى ضرورة ادخال هذا الدور في برامج الدراسة العامة والعناية بشرح اسباب التغيرات التي تظهر فيه والى محاربة الامراض الاجتماعية والغاء البغاء الرسمي وتنظيم المعيشة والتحكم بالنسل وغير ذلك من الآراء والادوية التي تقدم وصفها وكلها نافعة بمفردها ومجموعها . ومع هذا فاني اتقدم اليكم برأي جديد يعلو بفائدته على ما اظن عليها كلها — وهو ان نضع تشريعاً عرفيًّا للزواج الاجباري — به يفرض على الفتى الزواج في سن معينة ومن يبلغ تلك السن ولا يتزوج يغرَّم بدفع مبلغ من المال ويرفت من الوظيفة التي يشغلها . واذا قدم عذراً قبل ميعاد الزواج وقبل منه يعطى مهلة ستة اشهر او سنة ولا يوظف الا بعد الزواج . واذا مضت السنة ولم يتزوج يغرم بدفع مبلغ من المال ويحرم من الحقوق المدنية التي يتمتع بها ابناء الوطن ولا تعاد له تلك الحقوق الا بعد انقضاء ستة أشهر على زواجه — وان مضى على حرمانه شرف الوطن سنة ولم يبرهن الكشف الطبي على ما يبرر امتناعه عن الزواج تجري له عملية الخرمان الكبرى دفعاً لخطره ووقاية من شره

وهذا التشريع — او الزواج الاجباري هو الدواء الوحيد الذي يقي الابناء من العثرات ويصون المجتمع من الفساد المنتشر في جوانبه وهو يقضي على البغاء الرسمي وغير الرسمي ويمحو أثر الامراض التناسلية ويذهب بالمخدرات والمسكرات وسائر المخازي والمفاسد

فلو عرف ولدي وهو في سن دون العاشرة ما سوف يعرفه وهو في العشرين عن الميول الجنسية والاعضاء الخاصة وانه لا بد ان يتزوج من الفتاة التي يختارها فانه ولا شك يضاعف اجتهاده في الدراسة وتحصيل العلوم لكي ينال القسط الاوفر منها . كما وانه يحسن سلوكه وتطمأن افكاره الى الشخص الذي ينتظره

واني اناشدكم الله ان تسرعوا في وضع هذا التشريع لكي اسرع في تنفيذه في افراد كرام يعيشون بيننا طليقين وهم ينادون باصواتهم العالية المسموعة في الاهرام وغير الاهرام «الزواج فضيلة ورجولة وكمال خلق» — ولكنهم لا يتزوجون ، بل يأمرون الناس بالزواج وينسون أنفسهم ويكتبون المقالات الضافية عن حسناته . . أفلا يعقلون ؟ واليكم نموذج من اقوال صديقي الاديب الاستاذ الصاوي في اهرام الاثنين الماضي . هذا نصها بالحرف :—

« وهو ما اريد ان اشير به على الشاب المصري المتزوج حديثاً لماذا لا يدعو امرأته يوماً في الاسبوع للعشاء خارج جدران البيت الاربعة ، ولماذا لا يستقل القطار مرة في الشهر الى الفيوم مثلاً فيتغدى هناك على شاطىء بركة قارون ويقضي سحابة يومه ؟ بل ولماذا لا يقضي ليلة أيضاً في فندق صغير من تلك الفنادق التي تحتها مطعم ومقهى ؟ والزوجة ؟ لماذا لا تدخر من مصروف البيت اذا لم تكن غنية — وتدعو زوجها هي يدورها ترد له الدعوة الى الشاي او العشاء في مكان ما من حين الى حين خارج البيت ؟ ان هذه الدعوات المفاجئة تجدد الهناء. بل هو كالمال يجب ان نجد في تحصيله . . تصوروا سيدة تقول لزوجها « أنا عازمالك الليلة ياحبيبي » — بماذا يشعر ؟ أليس بسرور المفاجئة اولاً .. وبانه سيغير منظر خادمه المألوف ثانياً وان زوجته هي صاحبة الدعوة ثالثاً ؟ أليس في هذا ما يشعره بان زوجته ليست زوجته فقط ولكنها ايضاً صديقته » ! ويذهب حضرته فيقول :

« اعتقد ان كل بيت في حاجة الى التجديد والاّ نسج عليه العنكبوت خيوطه ، اعتقد ان كل حب بحاجة الى العناية والخدمة باستمرار ؛ واذا ضحك السخفاء والسفهاء من هذه المقترحات فذلك لحسن حظنا والاّ وجدناهم امامنا في تلك الدعوات الخاصة يسدون علينا منافذ الطرق ! . تأملوا ايها السادة بهذه الاقوال التي اقل ما يقال فيها انها حكم وان لم تخل من تهكم واستغفال عقول المتزوجين من رجال وسيدات وقد كانت تكون جديرة بالارشاد لو كانت صادرة من متزوج خبير وليس من غريب يهرف بما لا يعرف

فالزواج الاجباري — فضلاً عن انه المحك او القياس الذي تقيس به مبلغ ايمان اولئك الادباء بصدق ما يقولون ويكتبون فهو الدواء الوحيد — بل القيد الخفيف لكبح الشهوة الجامحة وصد الميول الزائغة ومحو المظاهر الخادعة وقتل الغواية الاثيمة — وحسبه ان يذهب ببطالة العزاب ويبدل حالهم بحال ويضمن للامة والانسانية ذرية راقية في شعورها — ويزيل حجر عثرة كبيراً في طريق عبده — وسبباً قوياً لكساد سوقه وقلة الاقبال عليه

ولا افهم لماذا يبقى ذلك الاديب النابه او الكاتب المجيد او العالم الكبير او الطبيب البارع او المحامي النطيح او المفتي المتلاف لماذا يبقى هؤلاء الافراد من غير زواج الآن ليس في البلد فتاة جميلة تلائم سيرطم وتروي ظمأهم ، او يريدوننا ان نفهم انهم ملائكة الله على الارض

يعيشون كما يعيش ذلك الراهب في صومعته ظاهر الذليل نقي القلب ميت الشعور والعاطفة لا يبغي من الدنيا غير الصلاة واقامة الشعائر الدينية ولكن حتى هذا الراهب اتقدم اليه بهذا السؤال وهو في حصنه المنيع لماذا لا تتزوج يا حضرة الاب المحترم واي ضرر تراه في الزواج ولا ترى اضعافه في العزوبة . . . أيها السادة ! :

ان ما تكابده الامة من الامراض وتعانيه من المخدرات والمسكرات لهو كثير جداً يكاد يقضي على حسنات هذه الحضارة ويقلبها الى سيئات وخيمة الاثر ولو عنيت الاقلام بالمسائل التي عرضت لها في سياق هذا البحث كتحدث الام والاب والمدرسة الى الطفل لخرجت عن الخطة المرسومة لهذا الموضوع ولما كنت وفيتها حقها من البحث في هذا المقال اولو شرحت مبلغ الخسائر التي تتحملها الامة من الامراض والمخدرات بسبب زيوغ الميول الجنسية وانتشار سوق الدعارة لحرمت نفسي هذا العطف المشمول به فكم الآن وحسبي ان اذكر للتدليل على صحة هذا الفرض ما جاء في تقرير رسل باشا عن مقصول المخدرات وتعليق صديقي الكاتب الكبير الاستاذ داود بركات رئيس تحرير الاهرام عليه بقوله: يقول لنا رسل باشا حكمدار العاصمة ان المخدرات التي ضبطوها في العام الماضي ٤١١٣ كيلو جرام فكم هي المخدرات التي لم يضبطوها وقد دخلت البلاد ودخلت الاجسام فسممتها بل كم شخصاً هدمت وكم اسرة اهلكت وكم غني افقرت وكم شاب وشابة اضاعت وكم سلالة اضعفت ونهكت وكم من الاحزان احلت ومن الافراح بدلتها اتراحاً ..... ان رسل باشا لا يستطيع ان يقول لنا كم هو عدد اولئك التعساء الاشقياء الجهلاء الضالين الذين قدموا حياتهم وغبطتهم وسعادتهم ضحية على هيكل الشقاء . واذا نظرنا الى المسألة من الوجهة المالية هالنا الامر جداً . فقد قدر رسل باشا في العام الماضي المال الذي تدفعه مصر ثمناً للمخدرات بنحو خمسة عشر مليوناً من الجنيهات فالمسؤولون عن تربية النشء يعترفون كما تؤون بخطورة هذا البحث الذي عرضنا له اليوم واظهرتم كرماً لسماعه وعطفاً عليه وانهُ في نظرهم من اكبر المشاكل قيمة وأكثرها تعقيداً وأعزها مقاماً . وهم متفقون على ضرورة الاهتمام به وانقاذ الامة من اخطاره . فان لم يتم لنا ذلك التشريع العظيم في الزواج الاجباري وتحسين موارده واستقرار اسره . اسألكم ان تجمعوا الرأي على مكاشفة الابناء عن وظائف الاعضاء الخاصة وضرورة العناية بها. والمطالبة بادخال دور المراهقة في برامج الدراسة العامة في كافة المدارس ومقاطعة اولئك العزاب حتى يهتدوا او يثوبوا الى محجة الصواب . ونشر الدعاية ضد الدعارة والمغريات لها . وبث روح الفضيلة في النفوس والبيئات . ولا اطيل عليكم في وصف الفوائد التي تظهر من خلق هذا الجو البريء جو الفضيلة فانكم ادرى مني بنتائجها الحسنة في ربط اواصر المودة بين الافراد والجماعات . واسمحوا لي ان احييكم واشكركم في الختام

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب لنتحاور ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكن الهفوة فيما يدرج فيه على اصحابه نحن براء منه كله. ولا مندوحة عن موضوع المقتطف. ورواعي في الادراج وعدمه ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) اما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف الغلط غيره عظيماً كان المعترف بأغلاطه أعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل. فالمقالات الوافية مع الايجاز تفضل على المطولة

الرسالة العذراء

للأب انستاس الكرملي

كلمة في طبعتها الثانية

وقع بيدي في هذه الايام «الرسالة العذراء» لابراهيم بن المدبّر، مصححة ومشروحة مع مقدمة مفصلة بالفرنسية عن فنّ الانشاء ومذاهب الكتّاب في القرن الثالث بقلم الدكتور زكي مبارك، فوجدتها رسالة بديعة السبك، مترجمة لفن الكتابة في المائة الثالثة للهجرة، ومما زادها ثمناً وتقديراً ان الدكتور زكي مبارك صحّح ما دسّهُ النسّاخ من الاوهام، واشار الى بعض ما ذكر منها او مثلها في بعض المؤلفات؛ ولا سيما في العقد الفريد. فجاءت حقيقة فائقة عذراء يفتخر بالوقوف على محاسنها كل من يهمّهُ آداب العرب وأساليب كتابتهم وبدائع لغتهم

بعض هفوات في طبعتها هذه

كانت هذه الرسالة طبعت في القاهرة بعناية الاستاذ محمد كردعلي في سنة ١٩١٣ في مجموعة سماها: «رسائل البلغاء» وقعت في ٣٢٠ صفحة بقطع الثمن الصغير، ووقعت الرسالة العذراء في الصفحة ١٧٦ الى ١٩٣ ولم يُرَ فيها هذا الوشي الذي نراهُ فيها في الطبعة «المباركة»، وفيها تلك الحواشي النفيسة، والضبط بالشكل الكامل في بعض المواطن التي تحتاج اليهِ، الى غير ذلك من المحاسن التي جاء بها علماء العصر الذين يعالجون مصنفات الاقدمين ليخرجوها الى المعاصرين المستفيدين منها فائدة طيبة

وقد عثرنا في مطاوي مطالعتنا لهذه الطبعة على هفوات نكاشف بها الدكتور المحقق، لعله يصلحها في طبعة ثالثة او يصلح وهمنا ان كنا من المخطئين

اننا لانتعرض هنا لبعض هفوات الطبع التي لا تخفى على القارىء مثل هوجرونيه (ص٤)

وهو هرجرونيه او هورجرونيه. وما ثلاث (ص٢٢) وهي ماثلات — وزيادة ضرورية (حاشية ص ٣٢) وهي زيادة ضرورية . فهذه وامثالها تتركه على علاتها، ونذكر فقط ما يظن انهُ من غير هذا القبيل

١ً وقد جاء في حاشية ص ٥ : « لا حاجة اليها » . والمعروف في مثل هذا المقام ان يقال : « لا حاجة « لنا » اليها » ، او « لا حاجة « بنا » اليها » (راجع في هذا الموضوع لغة العرب مجلتنا ٨ : ١١١)

٢ً وورد في ص ٨ : « وان شدوت من هذه العلوم ما لا يشغلك عملهُ و ....و.... فعلق على هذه العبارات : « لم يذكر الكاتب جواب الشرط » . — ونحن نظن ان « وإنْ » في هذا الكلام ليست للشرط : بل وردت بمعنى يقارب قولك : « ولو » وبالفرنسية Quoique

٣ً وفسّر اللهازم في الحاشية ٦ من تلك الصفحة بقوله : « جمع لهزمة وهو عظم ينتأ تحت الاذن » — فقوله « ينتأ » يبين ان هناك زمناً لا تكون فيهِ اللهزمة او اللهازم . ولو قال في مكان ذلك : «عظم نائي تحت الاذن» لانتفى كل لَبْس.

٤ً وقال المؤلف في ص ٩ : « ولا يكون [الكاتب] مع ذلك فضفاض الجُبّة ». فقرأها المصحّح « فضفاض الجثة » وهل في يد الكاتب ان يكون جسيماً ام ضعيفاً ؟ وهل من مانع يمنع الكاتب الجسيم ان يكون بارعاً ؟ هذا فضلاً عن ان المعروف عن الفضفاض انهُ من صفات الملبوسات ، لا من صفات الاجسام او الجثث . والذي يثبت ذلك كلام المصحح نفسهِ في حاشية من تلك الصفحة اذ نقل عن الجاحظ : «فأبان انهم كانوا يهتمون بتعريض «الجُبّة» و« تطويل الذيل »

٥ وجاء في الحاشية ١ من تلك الصفحة ٩ قول المصحّح : « وقد اعطانا ياقوت بعض التفاصيل . . . والتفاصيل التي أعطاها صاحب العقد . . . » ونحن نرى هذا التعبير غير عربي صرف ، وان كان صحيح التركيب . وتفضل عليهِ قول من يقول : «وقد ذكر لنا ياقوت تفاصيل . . . والتفاصيل التي اوردها صاحب العقد . . . » او ما يضاهي هذا الكلام الذي لا يشم منهُ رائحة الاعجمي

٦ وذكر في ص١١ كلام المؤلف « ومذاهب يجب عليك ان تراعيها في مراسلتك اليهم في كتبك» ونظن ان صحيح العبارة . . « في مراسلتك إياهم » لانهُ يقال : راسلهُ لا راسل اليهِ

٧ً وجاء في الحاشية ٥ من ص ١٢ : «وروي عن حماد بن زيد أنهُ قال : احدثها الزنادقة وقال الاصمعي . هي من دعاء الزنادقة . وقيل : أصل يبطل هذا ، ويطلق الكاتب بها » فهذه العبارة لا معنى لها . وهي ترى كذلك في الاصل المطبوع من أدب الكُتّاب . ونحن نرى

فيها نقصاً او تصحيفاً او حذفاً . ولعلّ الصواب : «وقال العمولي (اي المؤلف صاحب كتاب أدب (الكتاب) . يبطل هذا ويطلق الكاتب بها »

٨ً وفي ص ١٣ : «لو رأى الكلب مائلاً في طريق . . . » والذي احفظهُ من هذا البيت « لو رأى الكلب بائلاً في طريق . . . »

٩ً وذكر لي الاستاذ المحقق مصطفى جواد أن قول المؤلف في ص ٢١ : «فما فوقهُ منهنّ غير غرائر» محرّف والصواب « فهنّ »

١٠ً وفي حاشية ٣ من تلك الصفحة : « ما في دراعيهِ او في احدها بياض » . ولعلّ الصواب «أو في احداها » لان الذراع أنثى

١١ً وذكر الكرشف بالشين المعجمة في الحاشية ٣ من ص ٢٢ والمعروف في هذا المعنى الكرسف بالسين المهملة

١٢ً وقيل هناك . «ان قولهم: ما لاقت المرأة عند زوجها اى مالصقت بقلبهِ مأخوذة من لاقت الدواة » هو حديث خرافة . وماكان يحسن ان يثبت في هذا الكتاب ، ولا سيما على يد أحد مشاهير الادباء مثل الدكتور زكي مبارك ؟ لان الدواة حديثة بالنسبة الى لصوق المرأة بقلب زوجها

١٣ً وفي نص ص ٢٤ : « ولئن قيل : كأنهُ الرمح الرديني فقد قال الكاتب . . . » والصواب « ... لقد . . . ليكون جواباً للئن . وهذه النقولة للاستاذ مصطفى جواد المدقق. وقد ذكر لي ايضاً ان في قول المؤلف في ص ٢٨ . «وكذلك ماء الكثير او النشاستج » خطأ ظاهراً . والصواب « ماء الكثيراء » « والكثيراء : ضرب من الصمغ مشهور »، ويعرفهُ العراقيون بهذا الاسم الى يومنا . واسمهُ بالفرنسية Gomme adragante (راجع مفردات ابن البيطار كلمة كثيراء) وبمعرفة هذه الكلمة والوقوف على صحتها لا يبقى لهُ حاجة الى قولهِ في الحاشية : «الكثير : طَلْعُ النخل ، وهو في كتب اللغة «الكثر» بالفتح والتحريك»

١٤ً وفي حاشية ٤ من تلك الصفحة:« الضمير عائد على القراطيس »والمشهور في التعبير: « عائد « إلى » القراطيس »

١٥ً وفي حاشية ٨ من تلك الصفحة ايضاً : «الوشق : نوع من العشب » . والمعروف عند المغربين والعراقيين ان الوشق لغة في الاشق كسكّر وهو صمغ نبات كالقثاء شكلاً يلزق بهِ الذهب على الرق (راجع القاموس واللسان والتاج ومفردات ابن البيطار)

١٦ً وفي حاشية ٢ من الصفحة ٢٩ : « دهن صفار البيض » وهو منقول عن صبح الاعشى . ولو اصلحها « المبارك » وقال : « دهن صفرة البيض ، او دهن المحّ » لكان

اصحّ . — وفي تلك الحاشية : « كلة عن الكتابة .... كلة عن وضع الكتابة ...» والمشهور في مثل هذا التعبير : « كلة على . . . »

١٧ وفي ص ٣٥ : « فمتى خضت احداً بغير ما يشاكلهُ ، فقد اجريت الكلام غير مجراهُ وكشفتهُ » هكذا وردت هذه الكلمة بالشين المعجمة . والصواب : « وكسفتهُ » بالسين المهملة ، اي حجبتهُ كما يكسف الله الشمس

١٨ وفي تلك الصفحة : « ابلغ الكلام ما لا يحتاج الى كلام ، واحسنهُ ما لم يكن بالبدويّ المُغرب ، ولا القرويّ المخدج » وضبطت الكلمة الاخيرة كسلم . وفسّرها بالناقص في الحاشية . قلنا : والصواب عندنا : « المجدَّح » كمعظم بصيغة المفعول ، لان كلام القروي — وهو ساكن القرية ، والقرية المدينة الكبرى — مخلوط بكلام آخر من لغات مختلفة . فالمجدَّح : المخلَّط لا غير . وهذا يؤيدهُ سياق الكلام . زد على ذلك ان ضبط المخدج على الفاعلية في هذا الموطن مخالف لما فسره وكان يجب ان يضبط على المفعولية ، اي بصيغة المجهول

١٩ وما يجلب النظر الدقيق قول المؤلف في ص ٣٦ : « ويزداد [الكلام] حسناً على مرّ السنين بتجلية الرواة ، وتنقية السراة » وضبطت هذه الكلمة بضم السين . والسراة بهذا الضبط جمع سار . ونظن ان الصواب مع من يضبطها هنا بالفتح لتكون جمع سريّ ، وهو الجيد من كل شيء والسيد الشريف

٢٠ وورد في تلك الصفحة قوله : « لما هطلت شآبيب الكلام ، وتدافقت سيوله » . قلنا : لا وجود لتدافق في كلامهم فضلاً عن ان المعنى يتطلب هنا التدفق ليدل على التصبب المتتابع

٢١ وجاء في متن ص ٣٧ قوله : « فوجد طارّاً يقال له « الشفانين » . والذي نراه ان الصواب هو « الشفنين » ليتسق مع قوله : « طارّاً » وهو مفرد . اما الشفانين فجمع ، وهذا لا يمنع قول ذياك المتسجح انهُ « شفاء من الانين » ، كأنهُ يزعم ان الشفنين منحوت من شفاء الانين . على انهُ لو قال قائل : ان الشفانين اقرب الى « شفاء الانين » فهذا صحيح ، لكن لا توجيه لهُ كالتوجيه الذي يحرّر النحت والنحو معاً في قولك الشفنين

٢٢ ومما يسترعي الانتباه ما جاء في نمر ص ٣٩ فقد قال صاحب الرسالة : « والمعاني كلها ممتثلة والكلام مشبعاً ولكن سياستهُ صعبة » . قلنا : ولا معنى في قوله : « ولكن سياستهُ صعبة » والذي نراهُ في موضعه قولك : « ولكن سياقتهُ » فينجلي المعنى ويتسق مع سابقه ولاحقه

٢٣ ومن هذا القبيل ما جاء في تلك الصفحة نفسها اذ يقول ابن المدبّر : « وهي كاللآلئ المنظومة في اصدافها » . والذي نعهده ان اللآلئ « منضودة » في الاصداف ، اي مجعولة بعضها فوق بعض بلا نظام ، او « موضونة » اي مسْنيّة بعضها على بعض ومنضّدة فيها .

ولهذا يكون قوله « المنظومة » من مسخ النساخ

٢٤ وعلى الشارح في ص ٤٠ على قول المؤلف : « واما اللسان فهي الآلة » ما هذا صورتهُ : « أنَّث الضمير مراعاة للخبر » — قلنا : ولا حاجة في صدرنا الى هذا التأويل . والصواب ان اللسان مذكر ومؤنث فأنث الضمير هنا على رأي من يعتبر الانسان انثى

٢٥ ومما توجّهُ اليهِ نظر الشارح المبدع ما جاء في ص ٤١ إذ يقول المؤلف . « واللسان وان كان ذلقاً فصيحاً لا يعدو سامعهُ » فجاءت « ذلقاً » هناك « زلقاً » بالزاي ، فانقلب المعنى ، لكن اي انقلاب !

٢٦ ومما يستحق ان يدقق النظر فيهِ قول المؤلف : « وفوض ذلك لابن عمهِ » . والمشهور عند الفصحاء في هذا الاستعمال ان يقال : « وفوض الامر الى ابن عمهِ » . ولعل لهُ عذراً من باب التخفيف اي من باب ورود اللام بمعنى « الى »

٢٧ وورد في ص ٤٥ : « ويكون في قواد (اي في قوى البليغ) فضل للتصرف في كل طبقة ولا يدقق المعاني كل التدقيق ولا ينقح الالفاظ كل (التنقيح ، ويصفيها كل التصفية ، ويهذبها غاية التهذيب » . وعندنا ان الصواب هنا حذف « لا » السابقة ليدقق وينقح وحينئذ يتسق المعنى والمبنى مع سابقه ولاحقه

***

واختم نظراتي الطفيفة شاكراً للدكتور زكي مبارك عنايته باخراج هذه الطرفة بأحسن حلية مادية وادبية ، فجاءت تتهادى بين ايدي الادباء كأنها الغادة الحسناء ، بل البكر العذراء . وعسى اننا نرى عن قريب الطبعة الثالثة نقية من كل شائبة وليس ذلك بعسير على من وقف نفسه لخدمة اللغة والناطقين بها

بغداد في ٢٦ /٤/١٩٣٣ الاب انستاس ماري الكرملي

مؤلف مختار الصحاح

وقرنه

الى حضرة الاستاذ الكريم محرّر المقتطف ، قرأت في ص ١٣٦ من سنة ١٩٣٣ المقتطف كما قول الشيخ عبد القادر المغربي :

« وقد ألّف الرازي كتابه هذا [أي مختار الصحاح] سنة ٧٦٠ للهجرة أي منذ ستة قرون » وأنا أرى هذا القول خطأً وأن الصواب « ٦٦٠ » ه فالمختار يكون قد مضى على

تأليفه تراب « سبعة أقرن » لا « ستة » أما دليلنا على قولنا هذا فهو ما ورد في كشف الظنون ، فقد قال مؤلفه عن صحاح الجوهري « واختصره الشيخ الامام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي المتوفى بعد سنة (٦٦٠) وسماه مختار الصحاح ... وفي آخره: وافق فراغه عشية يوم الجمعة سنة ٧٦٠ »[1] فهذا التاريخ الاخير ، من زلّة قلم المؤلف أو الناسخ على ما نرى ، والاول هو الصحيح بأدلة :

أولها : أن صاحب كشف الظنون ذكر في باب «غريب القرآن» ومن ألف فيه ماصورته «والامام زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي صاحب مختار الصحاح ، أوله : الحمد لله بجميع محامده الخ وفرغ من تأليفه في سنة ٦٦٨[2] » فكتابه هذا في الغريب ألفه بعد مختار الصحاح بـ «٨» سنوات

وثانيها : أن الكتب التي نقل عنها الرازي للاستدراك على الجوهري أو لاتمام النائدة لم يتجاوز تاريخ مؤلفيها سنة «٦٦٠» الهجرية : فقد ذكر «ديوان الادب» لاسحق بن إبراهيم الفارابي المتوفى سنة ٣٥٠ هـ في مادة «غل» و «كنى» و «شاء» و «خل و «سجن» و «سجل» و «رعد» و «خون» و «حضر» و «جبى» و «جز» و « أرب » وذكر الزمخشري في مادة «حد» و «قصر» والهروي في «ريض» و «قصر» و «سوى» و «بس» ومصادر البيهقي في «بس» والمطرزي المتوفى سنة « ٦١٠ » هـ على رواية في « دلب » و « غل » و « كور» و« طهر » والمنهاج للاسرائيلي المتوفى سنة «٦٥٨» في مادة « ورد »

وثالثها . أن السيد البحاثة عبد الله مخلص ذكر في كراسته عن صاحب مختار الصحاح أنه كان من معاصري الصدر القونوي المتوفى سنة ٦٧٣ هـ

ورابعها : ان من العلماء المعاصرين لصاحب مختار الصحاح الوارد ذكرهم في آخر ورقة من المجلد التاسع من كتاب جامع الاصول للسمرع بمدينة قونية ، رجل اسمه «قلمشاه» كما ذكر عبد الله مخلص ، وأقول انا : لقد ذكر ابن بطوطة في رحلته الى قونية سنة «٧٣٣» ما نصه « نزلنا منها بزاوية قاضيها ويعرف بابن قلمشاه[3] » فهو ابن قلمشاه المذكور المعاصر للرازي وهذا يثبت ان قرن الرازي هو القرن السابع للهجرة ويستحيل معه بلوغه سنة «٧٦٠» هـ ، كيلا يكون عمره « ١٥٠ » سنة على اقل تقدير ، بل ان الادلة السابقة تحيل هذا اشد الاحالة ، واختلاف الناس في تاريخ هذا العلامة من سوء حظه فهو في ضياع تاريخه مثل « محمد بن أبي زيد القرشي » صاحب جمهرة اشعار العرب الذي كان قد ادرك القرن الخامس للهجرة ، ولم يعرف احد من المعاصرين زمانه غيرنا ، وذلك بعد النعب الشديد مصطفى جواد

(١) ج ٤ : ص ٩٤ من طبعة أوربة (٢) ج ٤ ص ٣٣١ من تلك الطبعة (٣) ج ١ ص ١٨٦ من طبعة مصر

باب الزراعة والاقتصاد

صناعة الالبان بمصر

لعوستاز مكنيجز بكلية اسيوط

٣

امتيازات صناعة الالبان

شرحنا في مقال سابق ، حاجة مصر العظمى الى محصول نقدي مكمل للقطن . وبينا ايضاً ان تفوّق محصول البرسيم « البلدي والحجازي » كعلف للمواشي النبوية يثبت بالبرهان القاطع ان صناعة الالبان هي المشروع الزراعي الذي يحل المشكلة ويسد الحاجة على احسن حال

وفضلاً عما ذكر ، هناك مناقع اضافية تصحب صناعة الالبان جديرة بالنظر نذكر منها : ان هذه الصناعة تفسح ميدان العمل لعدد كبير من الايدي العاطلة وتدر ايراداً منتظماً ؛ ثم انها من الصناعات التي تقل فيها مضاربات الاسواق الى حد الغدرة ، علاوة على انها تمكّن الارض من الاحتفاظ بخصوبتها

فمتى تنظّمت صناعة الالبان كما يجب ان تنظم، تصبح عملاً مجدياً لعدد وافر من المزارعين طول السنة ، ولكن اذا اقتصر المزارع على العناية بمحصول زراعي لم يتعدّ عملهُ المجدي اسابيع قليلة او بضع اشهر في السنة . ففي وقت البذر والحصاد يُساق بعنف ، ويكون عليهِ من الاعمال ما قد لا يستطيع القيام بهِ كما يجب ، ولكن بين هذين الفصلين مدداً طويلة يصرفها في الكسل والتراخي وهذا مما لا تحمد عقباهُ من الناحية الاخلاقية او من ناحية كفاءته كعامل . ان البنّاء او النجّار الذي لا يجد عملاً خلال نصف سنة قلما يقتني ثروة ، ولا يشعر بطمأنينة من جهة قوتهِ او قوت عائلتهِ . اذ عليهِ ان ينفق في وقت البطالة وفي وقت العمل ولا يتناول احد اجراً كاملاً اذا كان عملهُ يشغل نصف وقت العمل فقط . وهذا القانون الاقتصادي صحيح يسري على المزارع والاجير كما يسري على غيرهما من العمال . اما العامل في صناعة الالبان فان عملهُ موزع على ايام السنة بطولها ولذلك فاجرهُ مستمر ، يستطيع ان ينظم خطة معيشته بمقتضاهُ فيصرف بحكمة ولا يضطر الى الاستدانة

ثم ان صناعة الالبان اقل الصناعات الزراعية عرضة لمضاربات الاسواق وتقلبات الاثمان

فان منتجاتها اطعمة ضرورية يحتاج اليها الناس وتستعملها كل الطبقات. وحتى في ازمنة الضيق لا يستطيع احد الاستغناء عنها استغناء تامًّا. ولذا فان اثمان منتجاتها تتراوح تقلباتها بين حدين غير متباعدين زيادةً ونقصاً. وذلك مما يجعل صناعة الالبان وسيلة مثلى لتفريج الازمات الاقتصادية. وحتى تثبت ذلك نوجّه الانظار الى ما جاء في خطاب القاه حديثاً رئيس المجلس الوطني لصناعة الالبان بالولايات المتحدة الاميركية

قال «كان المستخرج من الزبدة في سنة ١٩٣٢ مساوياً لما استخرج في السنين ١٩٣١ و٣٠ و٢٩ ومع ذلك فقد استهلكت كلها ولم يتبقَّ منها الاّ قدر مساوٍ لمتوسط المتبقي في الخمس السنوات الماضية ولا يزيد الاّ قليلاً عمّا تبقى من السنة الماضية سنة ١٩٣١ وقد استهلكت هذه المقادير من الزبدة، مع اننا نجوز الآن ضيقاً ماليًّا، وعجزاً في المقدرة الشرائية لم ير مثلهما في كل تاريخنا». ثم قال «قد نقص ايراد الزراعة من كل المحاصيل بما يقرب من ٦٪ ما بين سنة ١٩٢٥ وسنة ١٩٢٩ ولكن ايراد اللبن في نفس المدة زاد ٣٤٪ واذا بحثنا في سنتي ١٩٣٠ و١٩٣١، وهما من اشد السنين الزراعية عسراً عندنا، وجدنا ان مجموع الدخل من كل المنتجات الزراعية غير اللبن قد نزل من ٩٦١٥ مليوناً من الريالات الى ٥٣٢٩ مليوناً اي بنقص ٤٤٫٦٪ عن منتجات سنة ١٩٢٩. وقد نزل ايراد منتجات الالبان من ٣٣٢٢ مليون ريال الى ١٦١٦ مليون ريال اي بنقص ٣٠٫٤٪ ففي سنتي العسر الماضيتين كان النقص في دخل الالبان اقل من النقص في موارد الزراعة الاخرى بمقدار ١٤٫٢٪»

وقال ايضاً «انهُ في سنة ١٩٢٥ كان دخل الالبان ١٤٫٥١٪ من مجموع دخل الزراعة وقد زادت هذه النسبة بانتظام من سنة الى اخرى الى آخر السنة الماضية سنة ١٩٣١ حيث بلغت الرقم العالي ٢٣٫٣٦٪ وارجو ان تلاحظوا انهُ في اثناء سنتي العسر ٣٠ و٣١ زادت نسبة المتحصل من منتجات الالبان زيادةً اسرع منها في اي سنة اخرى عدا سنة ١٩٢٩»

ثم استنتج ما يأتي «ان نقص الدخل من منتجات الالبان في اثناء سنتي ٣٠ و٣١ بمقدار ٣٠٫٤٪ إذ قوبل بنقص الدخل من كل المحاصيل الزراعية الاخرى وهو ٤٤٫٦٪ ظهر ان صناعة الالبان فيها قوة مقاومة واستقلال ذاتي يكادان ازمات كالتي نحن فيها الآن كفاحاً اجدى من كفاح كل فروع الزراعة الاخرى»

مما تقدم يتضح ان صناعة الالبان اقل عرضةً للتأثر بالازمات من اي الاعمال الزراعية الاخرى. وليس بخافٍ على احد ان زارع القطن معرض اكثر من غيره لتأثير الازمات. فاذا امكن ربط صناعة الالبان بزراعة الاقطان بني عليهما بناء وطني اقتصادي اقوى وابقى

ومع ما للاعتبارات السالفة التي اوجزنا في شرحها من الشأن فان اهم منها جميعها، على ممر الزمن، علاقة صناعة الالبان باستمرار خصوبة التربة. لان خصوبة التربة اساس استمرار

الثروة الزراعية . على ان خصوبة تربة ارض مصر قد بقيت قوية منذ العصور الخالية . ففي عهد الفراعنة كانت مصر تزخر بالغلال بينما نواحي العالم الاخرى تعنى بالمجاعات . وبعد ذلك بمئات السنين كانت مصر ترسل سفنها المحملة بالغلال الى روما — سيدة العالم — بينما كان الرومان يكافحون فقر تربتهم عبثاً . وبالرغم من اجهاد الاراضي واستعباد الفلاحين والثورات والتقلبات السياسية — بالرغم من كل ذلك — فقد شذّت تربة مصر في انها لم تنِ ولم تضعف اذ دبّر لها رب الطبيعة نهر النيل الذي يكسو سطحها بطبقة خصبة جديدة من التربة كل سنة فتتجدد شبابها بدلاً من ان تهرم

الاّ انهُ في السنوات القليلة الماضية قد غيّرت مصر ذلك النظام الطبيعي الذي سار من تلقاء ذاته الوف السنين ، جرياً وراء استعمال الطرق الحديثة في الزراعة ، ولا زالت هناك تغييرات اخرى منتظرة من هذا القبيل . وبناء على ذلك لم يعد هناك متسع من الوقت للتربة لان تكسوها طبقات الطمي الجديدة ولا ان تتمتع بفرصة الراحة حتى تشع عليها الشمس فتخزن فيها قوى الاخاء بل على الضد من ذلك يتجه السعي الآن الى اجهاد الارض لتنتج محصولين او ثلاثة محاصيل في السنة . فلا نحن حاولنا التعويض عن خسارة الطمي ولا حسبنا حساب اجهاد التربة . وحيث اننا غيرنا النظام الطبيعي القديم فالحكمة تقضي بان نحترس لئلا نضيّع كنز ثروتنا . فالتربة بتلك لا نستطيع ان نسحب منهُ الى الابد بدون ايداع بدل لما يسحب حتى يتوازن الحساب

ولا يكفي في موازنة حساب اجهاد التربة ان نلجأ الى استعمال السمادات الكيماوية . فان المادة العضوية جوهرية كطعام للنباتات بل كطعام لجراثيم التربة — تلك الملايين من الخليات التي تعمل ليل نهار لصنع الازوت النباتي اللازم لاي محصول والذي بدونه تصبح الارض عقيمة بتاتاً

***

كثيراً ما نسمع ان زراعة القطن مضنية للتربة ، والواقع ان القطن من أخف المحاصيل على التربة اذا قسنا مقدار الغذاء النباتي الذي يستهلكه منها فان انتاج مائة رطل قطن وبيعها لا يستنزف اكثر من رطل واحد من الغذاء النباتي المتركب من ازوت وفصفور وبوتاس . وهذه خسارة لا يؤبه لها لا سيما وان بذرة القطن غنية بهذه الجواهر إذ ان كل مائة رطل من بذرة القطن تحوي نحو ثلاثة ارطال من الازوت ورطل وربع رطل من الفصفور وقدر ذلك ايضاً من البوتاس اي ٥ ½ رطل في المجموع . وليس كل هذا الغذاء يحويه زيت البذرة بل ان معظمه في بقايا البذرة بعد عصر الزيت منها . ومما يؤسف له ان هذه البقايا تباع الآن رخيصة للاجانب من صانعي الالبان الذين يربحون من اطعام هذه البقايا «الكسب» لبهائم

ثم يضيفون الى ذلك رمحهم من فضلات الهائم «الروث» التي تحوي كثيراً من هذه الاغذية باستعمالها كسماد يبنون به تربة ارضهم

قررنا ان القطن محصول لاينقر التربة كثيراً الاّ انهُ من المعروف انمواصلة انتاج القطن سنة بعد سنة في بقعة واحدة من الارض ينهك قواها ويكاد يقضي على انتاجها مما اكتشفه زراع القطن بالولايات المتحدة بعد فوات الفرصة . وسبب ذلك لا يرجع الى كثرة ما يأخذه القطن بل الى قلة مايتركه من المادة العضوية في التربة لتغذية جراثيمها الان جذور القطن ضعيفة وقليلة ، اضف الى ذلك سرعة تأكسد المخلفات النباتية في ارض الاقاليم الحارة التي يلزمها تجدُّد المادة العضوية لتغذية البكتيريا التي اصلنا الاشارة الى ضرورتها في الانتاج الزراعي

وهناك نباتات تمد التربة بقسط وافر من المادة العضوية لكثرة ما تخلف من الجذور ، منها البرسيم وخصوصاً « الالفلفا » البرسيم الحجازي الذي تكون جذوره ، عادة ، أكثر تفرعاً واكبر حجماً من النبات الظاهر على سطح الارض . وعند ما تتحللُ هذه الجذور ترجع كل مادتها العضوية الى التربة . ومع ان نباتات العلف هذه تستهلك من قوة التربة اكثر مما يستهلك القطن الاّ انهُ متى اكلتها الحيوانات فان معظم المادة الغذائية التي تكون في الظاهرة من النبات تعود الى التربة في شكل سماد . فان كليهما — الجزء الخفي والجزء الظاهر — تستفيد التربة من نباتات العلف هذه

وغير ذلك هناك نفع اكبر يعود على التربة من البرسيم وغيره من الفصيلة البقلية وهو ان مقادير كبيرة من الازوت ، تستخلصها مباشرة من الهواء ، بواسطة عقد صغيرة تكثر في جذور هذه الفصيلة ، ثم تضيفها توًّا للمواد العضوية التي تغذي التربة . فان النباتات لاتجد الازوت خالصاً وان كان الازوت في شكل املاح او نثرات من ارزم اغذيتها . والنثرات هي الجزء الذي ينقص تربة مصر نقصاً عظيماً وهذا النقص يكلف البلاد اكثر من ٣ ملايين جنيه كل سنة لشراء هذا العنصر الجوهري . ومع ذلك فان ٤/٥ الهواء الذي يحيط بنا هي من الازوت . فلم لا نوفر الفرصة للبكتيريا فنضيف مقداراً اوفر من هذا الازوت المجاني لتربتنا وهي في أشد الحاجة اليه ؟ لِمَ نفرط في أموالنا ونبقى تحت رحمة شيلي والنرويج بينما نحن ابداً ودائماً نسبح في بحر من الازوت لا شواطىء له ؟ حقًّا ان العقل يقضي بان النظام الامثل للزراعة في مصر يجب ان يحوي الاكثار من انتاج الفصيلة البقلية في توقيت محاصيلنا

هذا من الجانب النظري ، فماذا يمكن ان يقال عن الجانب العملي ؟؟ هناك تجربة: — لقسم صناعة الالبان بكلية أسيوط ، وقد اشلنا الاشارة اليه ، خمسة عشر فداناً من ارض الحياض قسمت الى ثلاثة أقسام تقريباً واتبع في زراعتها مدة الخمس السنوات الماضية نظام دوري ثلاثي وهذا النظام هو : في السنة الاولى تزرع ذرة او شامي ، والسنة الثانية ربيع خليط

من البرسيم المسقاوي والحجازي (ويحش اثنتي عشرة مرة او يزيد في الزرعية) ؛ والسنة الثالثة برسيم ترعاه البهائم في الحقل يعقبه قطن

ولقد التي على الارض بعض الروث قبيل زراعة الشامي وبعضهُ غُطّي بهِ البرسيم الحجازي بعد حشة من الحشات. وفي هذه الدورة يلاحظ ان محصولاً بقليلاً يزرع كل سنة. وفي الوقت الحاضر نستعمل مقداراً من السماد الكيماوي اقل من السابق فقليل منهُ يرمى للفول وقد توقف ذلك عند ما يقدم العهد على التجربة ، وقليل ايضاً يرمى للقطن اذ يكون صغيراً والطقس ابرد من ان يهيج البكتيريا للعمل

واذا قسنا النتيجة بالمحصول وجدنا انها تستحق الاعتبار لاسيما وان الدورة حديثة العهد، اذ انه مع قلة استعمال السماد الكيماوي وتوفير ثمنه تبعاً لذلك ، فان المحصول يزيد نحو الثلث عما كان قبل الخمس السنوات الفائتة وبعبارة اخرى إن ثلاثة افدنة الآن تنتج فولاً او شامياً أو قطناً قدر ما كانت تنتجهُ اربعة افدنة سابقاً . مع العلم ان هذه الارض لم تكن رديئة منذ البدء ولا كانت منهكة القوى بل من ارض الحياض الجيدة . وبعد استعمال هذه الدورة بضعة سنوات اخرى يزداد مقدار الازوت في التربة ولا يبعد ان يكون محصول عشرة افدنة مساوياً لمحصول الخمسة عشر كلها قبل ذلك . وبعبارة اخرى اذا صرفنا النظر عن الاثنتي عشرة حشة من البرسيم التي هي السند الاكبر لعمل الالبان، زادت ثروة التربة زيادة كبيرة بهذه الدورة الثلاثية المنتظمة . فنظام كهذا يحتفظ بخصوبة التربة بل يبنيها وينميها باستمرار هو ضمان لاستمرار الثروة الزراعية

٤ — مستلزمات النجاح

قدمنا ان من أهم مزايا صناعة الالبان انها تقدم عملاً متواصلاً وايراداً منتظماً وانها أقل عرضة من غيرها لتقلبات الاسواق والازمات وانه بها يسهل الاحتفاظ بخصب الارض بل زيادتهُ . وفي هذه الاعتبارات تجد القطن ضعيفاً اذا زرع منفرداً فانه لا يقدم عملاً متواصلاً على مدار السنة ولا ايراداً ثابتاً فضلاً عن انه محصول معرض لتقلبات السوق ويستنفد خصوبة التربة بسرعة . حيث صناعة الالبان قوية تجد القطن ضعيفاً ولكنه فانها أصلح ما يمكن لتكميل زراعة القطن

وسنحاول الآن ان نبين الشروط التي يجب توافرها حتى تنشأ صناعة الالبان قوية ثابتة في مصر . ومن الواضح انه قبلما تدرّ هذه الصناعة الخير على مصر يجب ان توجد لها أسواق اجنبية ولا يكون ذلك الا بانتاج صنف له جودة كالتي تتطلبها الاسواق الاجنبية . اما المنتجات الحاضرة فلا تسترعي عناية ما في ايٍّ من هذه الاسواق . فلابدَّ من انشاء نظام تفتيش

وتصنيف دقيقين ويظل هذا النظام مرعيًّا باستمرار. ثم يجب نشر دعاية متسعة النطاق لارشاد الناس في كل شيء من الحلب الى بيع المنتجات اللبنية. وفي كل هذه الخطوات يجب تنفيذ أدق الشروط الصحية والتنبيه على تحسين الصنف. ولا يظن احد ان المستقبل مظلم والرجاء في كل ذلك ضعيف فان هذا ما كان على الصانع الاجنبي ان يراعيهُ منذ ثلاثين سنة. ترك اصطبله المظلم غير الصحي بارضه الطينية او الخشبية وما يرافقه من الروائح الكريهة لانه وجد ان اللبن المنتج في هذا الوسط لا يمكن بيعه. ولولا أنه يخشى زيارات المفتش الكثيرة وغير المتوقعة لما واظب على تنظيف ارض اصطبله المرصوفة بالاسمنت. وما كان ليشتري أفضل انواع الاواني ويغسلها ويطهرها جيداً بعد كل مرة تستعمل فيها لولا انه يؤمل ان يزداد ايراده بسبب قلة البكتيريا التي توجد في اللبن عند الفحص. فتصبح النظافة والمحافظة على الشروط الصحية ضروريتين لتقدم العمل ورواجه

وليس المزارع هو الوحيد الذي يجب ان يدرَّب تدريباً كافياً ويشجع على انتاج اللبن النظيف ونقله بل ايضاً العامل في المعمل يجب ان يكون حاذقاً لصناعته ويكافأ ليتشجع فيأتي بأحسن ماعنده. فانه من الواضح ان منتجات الالبان ذات الصنف الجيد لا يمكن صنعها إلاَّ في معامل خاصة وبمقادير وافرة تسوغ توظيف اخصائيين واستعمال أحسن الآلات واحدثها. ويمكن ان تتضافر المعامل المتنوعة معاً في توزيع منتجاتها وبيعها. ويجب وضع كل المنتجات المعدة للتصدير تحت رعاية وتفتيش مفتش اما من قبل جمعية المعامل العمومية او من قبل الحكومة فتكون ماركة الجمعية او المعمل ضمانة لجودة الصنف

ولاعداد هذا العدد من المفتشين ومن الاخصائيين ومديري المعامل يلزم ان ينشأ قسم جديد للتهذيب والتدريب. وقد يمكن توجيه فكرة كثيرين من الشبان النابهين الذين يتمون دراساتهم الثانوية ثم ينزوون في قراغ بسبب قلة أبواب العمل، الى هذا الجانب الجديد من الحياة الزراعية فيستعدون لهذه الصناعة

ويتوقف النجاح على امر آخر ضروري وذلك ان مصر يجب ان تربي او تحلب نوعاً أفضل من بهائم الألبان — بهائم لها قدرة على درّ لبن أكثر ولها مزاج صالح لذلك فتدر لبنها دون حاجة لاحضار عجولها تحتها كل مرة تحلب فيها. فان ضرورة حفظ العجول معظم السنة لهذا الغرض عقبة كأداء في سبيل تقدم الصناعة. وربما يكون من الميسر انتقاء جواميس مصرية تمتاز بكثرة الادرار. ولكن ربما يقوم اعتراض في الاسواق الاجنبية على صنف المنتجات من اللبن الجاموسي

واستيراد مواشٍ اصيلة اجنبية معروفة بكثرة الادرار لا يخلو من صعوبات. اذ من الواضح انهُ ليس في المستطاع استيراد عدد كاف من الابقار الاصيلة لحلب مايلزم من اللبن لهذه

الصناعة لما في ذلك من نفقات ومجازفة لا تسوغها التجربة . على انهُ لا بدَّ من استيراد عدد محدود من اضمن وأحسن الاصناف حتى يكون توالدها سبيلاً لاستمرار السلف الاصيل. إلا انهُ اذا ادخلت فحول اصيلة مستوردة من مزرعة مضمونة يمكن تحسين النسل بها لدرجة فائقة واذا استمرَّ الحال زمناً يمكن تكوين قطعان نقية الاصل وعظيمة الادوار . ولا يخفى ان استيراد اصناف اصيلة او توليدها مع الاصناف البلدية امر لا يمكن ان يتم في يوم وليلة . اذ ان مثل ذلك العمل يستلزم خطة رشيدة محدودة تتبع بعناية ودقة ولذلك يحسن بالجمعية الزراعية الملكية او بالحكومة نفسها ان تبدأ هذه التجارب. وهناك امور كثيرة يجب على الفلاح المصري ان يتعلمها في توليد وتربية المواشي المدرة بل وفي العناية بالمواشي وطريقة اطعامها . فانهُ ، على وجه الاجمال ، لا يحذق العناية بالمواشي كما يحذق العناية بالحاصلات

واول ما يجب ان يعرفه الفلاح هو ان البقرة الكثيرة الادرار حيوان اختصاصي في ذلك ويعمل بكد فيه ولاجله ، وانهُ اذا قسنا ما يلزم من المجهود في هضم الطعام وتحويله الى لبن نجد انهُ يفوق المجهود اللازم لجر المحراث . ولذلك فلا ينتظر منها جر المحراث او القيام بمثله من الاعمال بدون خسارة شيء من الكفاءة في ادرار اللبن

وثانياً على من يبغي النجاح في العناية بمواشي اللبن ان يعرف قيمة انواع الغذاء . فان مجرد ملء معدة الحيوان ليس تغذية بالمعنى المعروف فان العلف لا يكفي ان يكون بحسب الاصول في المقادير التي يمكن هضمها بل ايضاً يجب ان تتوافر فيه النسبة الغذائية الواجبة. فالفلاح الاجنبي ، عادة ، تعترضه صعوبة من هذا القبيل لان العلف الذي يزرعه ينقصه المقدار اللازم من البروتين . وحتى يكمل هذا النقص فان عليه ان يبتاع اطعمة عالية الثمن ولكن معروفة البرسيم والالفلفا فان الفلاح المصري يتمتع بامتياز كبير اذ ان نسبة البروتين في هذه المأكولات هي النسبة المطلوبة تماماً. كذلك الڤيتامينات والمعادن الضرورية متوافرة فيها . وكلما رغب الفلاح المصري ان يستعمل علفاً آخر كتبن الفول او زعازع الشامي عليه ان يعوض عن نقص هذه في البروتين بازيادة في مواد الطعام الاخرى

ان بقرة الحليب لا تخلق شيئاً . هي ليست سوى معمل لتحويل المواد الخام الى المادة التامة الصنع . فكل غذاء يظهر في اللبن يجب ان يكون في طعام البقرة بل يجب ان يطعم البقرة اكثر مما يلزم للبن لان جانباً منه تستهلكه في الاحتفاظ بحياتها هي ، وما تحوله لبناً هو الجانب الذي يزيد عن حاجتها في اعالة نفسها . ان الفلاح المصري لا يملك الطعام بغير حساب بل ان عنده نظريات خاصة من جهة الاقتصاد في اطعام مواشيه. ويغلب على الظن ان اكبر درس يجب عليه تعلمه هو ان نجاحه يتوقف ليس على «ما هو اقل مقدار» بل « على ما هو اكبر مقدار » يمكن اطعامه للحيوانات المدرة بدون الحاق الضرر بها . فلا يكون جل امله

«ان يبقي على حيواناته حية» بل بالحري يعمل على زيادة موادها الغذائية بحيث تبلغ صغارها حد النمو الكامل بسرعة وتواظب كبارها على كثرة الادرار . فكل ربحه هو في زيادة الغذاء الذي يتبقى بعد ان تستهلك البهائم ما تحتاج اليه لحياتها

سبق وقلنا ان البرسيم طعام موزون كاف لحيوانات الادرار . ولكن يجب التنبيه انه اذا كانت البقرة عظيمة الادرار فلا يكفيها البرسيم وحده لانها لا تستطيع ان تلتهم وتهضم مقداراً منه كافياً لبقائها صحيحة والمقدار الوافر من اللبن الذي تدره . لذلك يلزم ان تعطى مقادير اخرى من الحبوب المركزة القوى والتي تحوي عناصر الغذاء بوفرة ، مع البرسيم . وبالجملة يلزم صبر عظيم وخبرة كافية لمن يبغي النجاح في صناعة الالبان اكثر مما يلزم منها لمن يبغي فلاحة الارض

حقا هناك صعوبات في طريق التعليم بفكرة صناعة الالبان ، صعوبات لا يمكن اغفالها او نقص خطورتها ولكنها صعوبات ليس مستحيلاً التغلب عليها بل انها في طبيعتها سطحية ووقتية . ومن الوجهة الاخرى ان امتيازات صناعة الالبان في مصر وضرورتها الاساسية للنظام الاقتصادي — هذه الامتيازات — في طبيعتها : مهمة ومستديمة

منذ ٦٠ سنة ، وجدت الدانمارك نفسها تعاني صعوبات عظيمة — والدانمارك بلد لا يزيد في المساحة عن الجزء الخصب في مصر . وكمصر هي بلد اهم موارد ثروته الزراعة . فخصوبة ارضها كانت تنحط بسبب تكرر انتاج الحنطة منها وحنطتها انحط ثمنها بسبب اغراق الاسواق بالحنطة الواردة من سهول امريكا وروسيا الواسعة . واستمرت الدانمارك تكافح مكافحة المغلوب على امره الى ان اتيح لها ان تتجه نحو صناعة الالبان وعندئذ استعادت خصوبة ارضها فصار انتاجها ونظام اسواقها موضوع حسد تلك الممالك التي كانت السبب في اخراجها من سوق الحنطة . وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم »

وكما ان الجزء الاكبر من صادرات مصر ينحصر في القطن صار الآن الجزء الاكبر من صادرات الدانيمارك منحصراً في مستخرجات الالبان . والمطلع على الكتاب الاقتصادي السنة Statesman's Year book يجد موازنات هامة نذكر منها ان صادرات الدانيمارك في سنة ١٩١٣ او سنة ١٩٢٦ افضل سني الرخاء وفي سنة ١٩٣١ سنة الازمة كانت على التوالي ٤٠ مليون جنيه ثم ٨٣ مليون ثم ٧٣ مليوناً . وكان ما يقابل ذلك في مصر ٣٢ مليون ثم ٤٤ مليوناً ثم ٢٩ مليوناً . فكان نقص مجمل صادرات الدانيمارك في سنة ١٩٣١ عنه في سنة الرخاء سنة ١٩٢٦ بنسبة ١٢ ٪ لا غير بينما كان في مصر بنسبة ٣٤ ٪

ومع ذلك فالامتيازات الطبيعية المغرية بادخال صناعة الالبان في مصر تفوق تلك في الدانمارك بمراحل . ولا يتبع لادخال هذه الصناعة في مصر ان تُهجر زراعة القطن بل انها

تسيران معاً على اوفق سبل التعاون . فان حاجة العالم الى مستخرجات الالبان ، حتى في سني الازمة ، في ازدياد متواصل. فلا زال هناك متسع في سوقها ولمصر باب مفتوح واسع — باب يزيد وفد الفلاح، ويدر عملاً رابحاً مستديماً اشباهها الناهض ، ويؤدي الى اتزان في ثروتها القومية ، هو باب زراعة أمتى وأبقى — افتدخل مصر هذا الباب ؟

تثمين الماشية للذبح

يقول الاستاذ مكفيترز في مقالته بصناعة الالبان يقتطف مايو ان اقتراح «زيادة اهتمام مصر بتربية الماشية حتى تتمكن من سد كل حاجتها الى اللحوم وربما يصدّر بعضها الى الخارج يحملها على منافسة ارض ارخص جداً من ارضها هي ارض المراعي بالارجنتين وكذا اوستراليا — الى ان يقول — وبين كل هذه الاقتراحات التي يقصد بها تخفيف الضغط عن الزراعة بمصر لم تذكر صناعة الالبان سوى همساً وعلى ذلك فان الالبان وما يصنع منها هي موضوع اقتراحنا الذي نريد التوصية به كمصدر دخل لمصر مكمل للقطن»

ومعلوم ان صناعة الالبان تقوم بتربية مواشي اللبن وهي كتربية مواشي اللحم تقوم على زراعة زروع العلف وما يجوز على احد المثلين يجوز على الآخر واذاً فترجيح الاستاذ فائدة صناعة الالبان على انتاج اللحوم ترجيح بلا مرجح

المشاهد عملياً ان انتاج اللحوم صار الآن بعد رخص اثمان الحاصلات الزراعية اربح من انتاجها هي فقد انحطت اثمانها عما كانت عليه قبل هذا الرخص من ٦٠ — ٧٠ ٪ حالة ان ثمن اللحوم لم يرخص الا بنسبة ٢٠ — ٢٥ ٪

في العام الماضي كانت نتيجة تربية العجول عند احد الزراع كما يلي ٢٧٠ قرشاً متوسط ثمن العجل الواحد ١٥٠ قرشاً كلفته في ٦ شهور وكسور من مؤونة وخدمة . نتج منهُ سماد بـ ٢٥ قرشاً وبيع العجل بـ ٥٥٠ قرشاً فالربح ١٥٥ قرشاً او ٥ر٥٧ ٪ من ثمنه

يزيد على هذا الربح (١) تصريفنا جانباً من محصول ارضنا وهو هنا البرسيم والدريس تصريفاً سهلاً رابحاً (٢) تخصيب ارضنا بزراعة البرسيم وبالسماد الناتج من العجول تخصيباً يغنينا او يقلل حاجتنا الى استيراد الاسمدة المعدنية من الخارج

ولا شبهة في انهُ مع الاكثار من تربية العجول يرخص ثمن اللحم فتقل نسبة الربح عما ذكرنا آنفاً ولو قلت الى ٦ ٪ (ستة) لكانت افيد من سائر منتجاتنا الزراعية خصوصاً انها تكون مع تصريف المحصول وتخصيب الارض كما اشرنا قبلاً وايضاً توفير اللحوم للجمهور بثمن رخيص فيكثر من استهلاكها والاستفادة بالتغذية منها

احمد الالفي

مكتبة المقتطف

العرض عند عرب الجاهلية

L'Honneur chez les Arabes avant L'Isla m
1 dition Adrien Maisonneuve Paris.

بحث اجتماعي فلسفي — للدكتور بشر فارس

هذا الكتاب مؤلف فلسفي وبحث عربيٌّ معاً . عالج فيه المؤلف عرب الجاهلية فخرج ببحث اجتماعي من الطبقة الاولى . ففي مقدمته بيَّن الطريقة التي اتخذها في تأليف الكتاب وهي طريقة البحث الاجتماعي ولكنه لم يجرِ على طريقة المقابلة اي انهُ لم يتخذ موضوع العرض وقابل بين مظاهره وعناصره في مدنيات مختلفة ، وانما اكتفى بأن يحصر بحثهُ في عرب الجاهلية ، لان لكل مدنية، او لكل امة، ميزات خاصة في اوضاعها الاجتماعية، تتجلى فيها نفسيتها . ثم هو بعد ذلك عيَّن الشعب الذي يعالجهُ ،اي عرب الجاهلية ، في الزمان فبين ما هو عصرهم ، وفي المكان فبسط ماهي البيئة المادية التي كانت تحيط بهم. ثم تحرَّى عن المصادر التي استقى منها كل ريبة في صحتها ، لانها بعضها لا ينظر اليه المستشرقون نظر ثقة . وناقش الدكتور طه حسين في قوله انهُ لا يمكن الاستناد الى الشعر الجاهلي في معرفة قوام الحياة الجاهلية ، فأثبت انهُ يصح الاعتماد على معظم الشعر الجاهلي ، سواء اصحيحاً كان ام منتحلاً ، لان الذين انتحلوا الشعر وضعوهُ مقلدين الشعراء الجاهليين التقليد التام

اما الفصل الاول فيعرض فيهِ المؤلف لتحديد معنى العرض عند العرب ، مفرِّقاً بين العرض وبين الفروسية ، ثمَّ بينهُ وبين المروءة . وبحث بعد ذلك في الصفات الخارجية التي يتصف بها العرض ، مستنداً الى الاصول ، وخرج من بحثهِ بأن صفات العرض الخارجية هي الذم والمدح

وفي الفصل الثاني حلَّل عناصر العرض معتمداً على صفتيهِ الخارجيتين اللتين ذكرنا . فكل ما يجلب المدح هو عنصر من عناصر العرض . وكل ما يبعث على الذم هو عنصر من عناصر الفضيحة . وتبدو عناصر العرض في الجماعة اذ تفاخر بعددها وشاعرها وخطيبها، وفي الاسرة اذ تباهي بابنائها وفي الفرد اذ يتفاخر بالانتساب الى جماعتهِ . وثمة عناصر اخرى كالباء الضيم والشجاعة والحرية والاخذ بالثأر وعفة المرأة والسخاء وغيرها ، وهي من عناصر العرض التي تشترك فيها الجماعة والاسرة والفرد جميعاً او بعضها دون البعض الآخر

وفي الفصل الثالث علل عناصر العرض كما بسطها . ولكي يتمكن من ذلك عني بدرس حياة العرب الاجتماعية ، قبل الاسلام ، والحرب من اظهر مظاهرها فخرج بالنتيجة التالية وهي ان كل عمل من عمالي الخيبة في الحرب او كل مظهر من مظاهر الاستعباد ، يذل العربي ويفضحه ، فالذل نقيض العزة ، لانهُ يتضمن معنى الضعف . واذن فالذل شريطة الفضيحة ، حالة ان العزة وكن العرض . واذن فكل ما يعتبر باعثاً من بواعث الذل يصبح عنصراً من عناصر الفضيحة . وكل ما يتخذ أساساً للعزة يحسب عنصراً من عناصر العرض . والخلاصة ان عناصر العرض هي اركان العزّة — المادية والمعنوية — حالة ان عناصر الفضيحة تنتُ في العزة وتوهنها . وبعد وصول المؤلف الى هذه النتيجة المدعمة بالأسانيد ، بيّن عناصر العرض المتصلة بالعزة المعنوية من ناحية وبالعزة المادية او القوة كعدد القبيلة وشدة ارتباطها الاجتماعي من ناحية اخرى

وبعد ان حلّل المؤلف العرض هذا التحليل البديع ، وارجعهُ الى أصلهِ ، بيّن وظيفتهُ الاجتماعية . فهو في رأيهِ كان يحلُّ عند عرب الجاهلية محلَّ الدين اذ يبعث فيهم في فترات متعاقبة ، ذلك الاحساس القويَّ بالحياة المثلى اذ تتسامى العواطف ويشتدُّ الشعور . وهو يثبت قبل ذلك ان الدين عند عرب الجاهلية عجز عن استثارة هذه الناحية من الحياة الاجتماعية . واحصى أسباب ذلك . فالدين في رأيهِ — عند عرب الجاهلية — وبحسب النصوص التي اوردها كان ضئيل المنزلة ولا شأن لهُ بالاعمال ، في حين ان العرض كان مقدساً عنيفاً ولهُ نتائج خطيرة الاثر في الحياة الاجتماعية . وعلى كلٍّ فالعرض لم يحلَّ محلَّ الدين الاَّ في وظيفتهِ الاجتماعية — اي ان العرض كان باعثاً على اجتماع العرب حيناً بعد حين ، فيحيون بأثرهِ تلك الحياة الاجتماعية المثلى التي لم تعهد في الاجتماعات الدينية

وقد اثبت المؤلف في خاتمة الكتاب اموراً تحسب جديدة عن المستشرقين . فبين (اولاً) ان العرب ما كانوا يعيشون معيشة الفوضى لانهم كانوا خاضعين في حياتهم لمبدإ معنويّ هو مبدأ العرض . وبين (ثانياً) ان العرب في خضوعهم للمبدإ المتقدم لم يكونوا شعباً ماديًّا . و (ثالثاً) انهم لم يكونوا شعباً فطريًّا ، مع ان حضارتهم لم تتميز بادواتها ومستنبطاتها ، بل تميزت في ناحية الاوضاع الاجتماعية . و (رابعاً) ان العرض ، كمبدإ معنوي ، كانت لهُ آثار عظيمة ، فهو سردُ الصفات الذهنية والادبية التي اتصف بها العرب ، والاوضاع الاجتماعية مثل « العقود » و « الملك الخاص » و « احترام الحياة الانسانية »

هذا هو موضوع الرسالة التي تقدم بها بشر فارس الى جامعة السوربون ففاز بلقب دكتور في الآداب . وقد عمد في تأليفها الى مراجعة نحو مائتي مجلّد اكثرها من الاصول العربية نفسها ، في الشعر الجاهلي والمخضرمي والاخبار المتعلقة بالجاهلية وصدر الاسلام والامثال

والقرآن الكريم والحديث والسير وكتب التاريخ والمعاجم ، وبعضها للمستشرقين او لعلماء الاجتماع . واما المستشرقون فقد ذكرهم لكي يبين من منهم يتفق معهُ في الرأي ومن منهم يخالفهُ فيناقشهُ في الرأي وأسانيده

والرسالة حافلة بالاقوال والاحكام المتعلقة بحياة العرب الاجتماعية في الجاهلية . وفي كثير منها مناظرات طريفة . فهو يناقش ، والاسانيد في يديهِ ، آراء بعض المستشرقين الذين يقولون بالنزعة الفردية عند العرب ويقيم ازاءها نزعة التكاتف الاجتماعي . وثمة اكثر من مسألة واحدة لا يتفق فيها المؤلف مع المستشرقين . ولعلَّ مخالفتهُ لآراء الأب لامنس من أشهرها . فهو يناقش أدلتهم الفلسفية ، ودروسهم اللغوية ، وبعض آرائهم في العرب

والخلاصة ان الدكتور بشر فارس قد اخرج مؤلفاً جديد المنحى في المباحث الشرقية لانهُ دخلها من باب علم الاجتماع . ويسرنا ان المؤلف يعنى الآن بنقل كتابهِ الى العربية

فن الصحة

الجزء الاول في الصحة العامة والبدنية تأليف الطبيب الجراحي احمد حمدي الخياط
استاذ فن الجراحيم وعلم الصحة — في المعهد الطبي العربي بدمشق

صحة الامة ، في المقام الاول بين مصادر ثروتها الطبيعية والروحية . لان الامة التي تملك المناجم الغنية ، والسهول الخصبة ، والانهار الجارية ، لا تستطيع ان تستغل هذه المواد إلا اذا صح ابناؤها اجساماً وعقولاً . فاذا كانت الامة مصابة بأمراض متوطنة في بلادها ، او اذا اهملت ابسط اسباب العناية بصحة الجسم ، استنزف ذلك من نشاط ابنائها وبلّد من عقولهم فلا هم يستطيعون استنباط الوسائل اللازمة لاستغلال ثروة بلادهم ولا هم يستطيعون الصبر على تطبيق الوسائل اذا نقلوها عن غيرهم من الامم

وقد ذهب بعض المؤرخين الى ان حضارة امة بأكملها بادت ، لان جراثيم البرداء (الملاريا) رتعت في دماء ابنائها زماناً طويلاً . ولو انها عرفت ابسط قواعد الصحة العامة لنزحت المستنقعات التي يتولد فيها البعوض الناقل للبرداء ولنجت من الوهن والاضمحلال

لذلك رحبنا بهذا الكتاب النفيس الذي وضعهُ الطبيب احمد حمدي الخياط . وفصل فيهِ قواعد الصحة العامة البدنية ابلغ تفصيل . فأبوابهُ منسقة ، وفقراته مبسطة المعاني موضحة الاغراض بالصور الكثيرة التي يشتمل عليها الكتاب . ثم ان اسلوبهُ العربيَّ دقيق المنهج ، بليغ العبارة ، قريب التناول ، عمد فيهِ المؤلف الى المصطلحات الطبية العربية بدلاً من تعريب المصطلحات الغربية . فقد اطلق على « الفيتامينات » لفظ « المحرّضات الحيوية » او « الحيويات » وعلى « البكتيريولوجي » لفظ « الجراثيمي » وعلى « الديسنطاريا » لفظ « الزحار

التحولي » واطلق «المعصوص» على « البيتون » . ولكن الالفاظ الفنية التي من هذا القبيل قليلة لا ترهق الرجل — او السيدة — الذي لم يتعمق في أصول الطب في خلال مطالعة الكتاب بل على الضد من ذلك نقول ان القارىء يستنتج في مطالعته ما يجده في فصوله من الارشادات العملية في شؤون حياته اليومية . وهذا الجزء قسمان فالاول للصحة العامة وهو يتناول الارض والهواء والماء والغذاء والمسكن والملبس . والثاني للصحة البدنية ومداره صحة الاجهزة البدنية ، كصحة الجلد والنظافة والاستحمام والملابس ، وصحة اعضاء الحركة وما يرتبط بذلك من الرياضة ، وصحة جهاز التنفس — الأنف والحنجرة والرئة ، وصحة أجهزة الدوران والهضم والدماغ والاعصاب بوجه عام

في التربية والتعليم

تأليف احمد فهمي العمروسي بك — صفحاته ٣١٨ قطع المقتطف — ثمنه ٤٠ قرشا

الاستاذ احمد فهمي العمروسي بك من أكبر رجال التربية الذين اعدوا هذه النهضة العلمية في مصر وهو من اشهر رجال وزارة المعارف في هذا العصر فقد تخرج من مدرسة المعلمين التوفيقية عام ١٨٩١ ومن ذلك التاريخ وهو يعمل في سلك المربين آنا مدرساً وآنا ناظراً او مديراً اداريًّا حتى هذا العام ١٩٣٣ فلا عجب اذا كانت آراؤه في التربية تعد من أسدّ الآراء التي يجدر بكل مرب ان يطالعها وأن يستعين بها . لذلك لا يسعنا الا إطراء مجلة « المعرفة » على اهتمامها بجمع محاضرات الاستاذ العمروسي ورسائله واذاعتها في كتاب تقدمه لقرائها هدية سنوية عن عامها الثاني . وقد توج هذا الكتاب بكلمة غالية من كلمات صاحب الجلالة الملك كما حلي برسم جلالته ورسم ولي العهد وصورة وزير المعارف . وقد كتب صاحب المعرفة مقدمة لهذا الكتاب لخص فيها ترجمة حياة المؤلف ونوه فيها بفضله تنويهاً يقره عليه كل منقف ولا يكاد ينكره احد . وعدا هذه المقدمة المفيدة في الكتاب اربعة عشرة محاضرة في اهم الموضوعات والاغراض التي يحتاج اليها المربون وقد زينت اكثر هذه المحاضرات بالرسوم التي توضح اغراضها وتساعد على فهمها مما جعل هذا الكتاب اشبه بالمتحف الجميل

شرح التكميل لخاتمة التسهيل

نظم العلامة الجليل الشيخ محمد بن محمد بن احمد بن عبد الغفار بأكثير الحضرمي منظومة في فن الخط العربي ورسم الكلمات وجاء الاستاذ الجليل السيد عبد الله بن محمد بن حامد السقاف العلوي مفتي حضرموت فوضع لها شرحاً وافياً بين به غامضها ، واستدرك ما شذ فاستوفى بذلك اغراض الناظم وزاد عليها

الفلسفة في كل العصور

وفلاسفة الادهار

تأليف حنا خباز — صفحات الاول ٣٠٠ صفحة — صفحات الثاني ٣٠٠ صفحة

نشرنا في مقتطف يونيو فصلاً في ديكارت ، اقتطفناهُ فقراتهُ من هذين الكتابين . وذكرنا الطريقة التي جرى عليها المؤلف في تأليف الكتاب . ذلك انهُ اختار أشهر الكتب التي وضعت في تاريخ الفلسفة مثل مؤلفات لوز ومارڤن وروجرز ودرايبر وتلي واردمن وغيرهم . واختار من هذه المؤلفات الفقرات التي تدور حول موضوع واحد وتحلوهُ . وترجمها او لخصها واسندها الى صاحبها . فكتابهُ ، اذا كان النقل امينًا والاختيار صائبًا ، خلاصة طيبة لهذه المؤلفات النفيسة . ونحن لا نملك كلَّ هذه المؤلفات ؛ ولا الوقت لمراجعة ما نقل وكيف نقلهُ . وانما نعلم ان طائفة من ثقات المشتغلين بالفلسفة في مصر راجعوا فصول الكتاب وامدّوا المؤلف بآرائهم ، وهذا جلُّ ما يستطيعهُ مؤلف لتأدية الامانة العلمية حقها

والكتاب جزآن فالاول يشتمل في قسمهِ الاول على تاريخ الفلسفة من بدء ظهورها الى نهاية المدرسة الفلسفية باثينا في سنة ٥٢٩ ب . م . اما القسم الثاني فيتناول الفلسفة في القرون الوسطى . والجزء الثاني افرد لتاريخ الفلسفة في العصور الحديثة

وهذا الكتاب ميزتان ظاهرتان . الاولى عدم الدعوى . فالمؤلف يعترف في مقدمتهِ بأن ليس لهُ في هذا الكتاب الاَّ الاغلاط . وبعضهم يعمد الى هذه الحيلة ليجرّد الناقد من سلاحهِ ولكنا نعلم حقًّا ان المؤلف يعترف بانهُ طالب علم ، فقولهُ المذكور في مقدمتهِ صادر من صميم نفسهِ . والصفة الثانية انهُ مجرّد في تصنيف كتابه عن النعرات القومية والجنسية والسياسية والدينية بل عن النعرات الفلسفية فانهُ لم يرجح رأيًا ولم ينتسب الى مدرسة فلسفية بعينها . فالقارىء يطالع اقوال الفلاسفة وآراء اشهر مؤرخي الفلسفة فيها

وليس الكتاب تراجم الفلاسفة بل تاريخ الفكر الفلسفية . فقد أوجز في سير الفلاسفة واسهب في شرح مذاهبهم وآرائهم . ولاسيما كبارهم الذي دعاهم فلاسفة الادهار فهم ثمانية ضمَّ اليهم فيلسوفين من فلاسفة الاسلام هما ابن سينا وابن رشد ، وجمع ما كتبهُ عنهم في كتاب على حدة في نحو مائة صفحة

فالكتاب محاولة طيبة لوضع تاريخ للفلسفة باللغة العربية . وما زلنا لا نجد من المشتغلين بالفلسفة من يتصدّى لتأليف مثل هذا الكتاب وبسط المذاهب الفلسفية وتطورها وتلاقحها فلعلَّ خير سبيل الى النهوض بما نريد هو السبيل الذي سلكهُ الاستاذ خباز

فنحن نحث الخاصة من متأدبي العالم العربي على اقتناء هذا الكتاب النفيس . فالفلسفة اساس لكل نهضة فكرية صحيحة وهالامة — قال فولتير — متى بدأت تفكر فقد بدأت تحيا»

كتاب الفلاحة لابن العوام

وضع هذا الكتاب الشيخ الفاضل ابن زكريا يحيى بن محمد بن أحمد بن العوام الاشبيلي في القرن الثاني عشر عن مختلف المباحث الزراعية (من زراعة وبساتين وحيوان) ورغم قدمه فانهُ ما زال حجة في كثير من الامور ويبلغ من تقدير العلماء لهُ أن اهتمت الحكومة الاسبانية بطبعهِ على نفقة المكتبة الملكية بمدريد عام ١٨٥١ باللغة العربية مع ترجمته الاسبانيولية كما ترجم الى اللغة الفرنسية وطبع مع النص العربي سنة ١٨٦٤ ونشر لهُ تلخيص بالالمانية

وقد جاء عن هذا الكتاب في قاموس لاروس الشهير ما ترجمتهُ : « هذا الكتاب شيق عظيم الخطر ويحتوي على احسن المعلومات الزراعية المعروفة عن مختلف الشعوب في العصر القديم والقرون الوسطى وفيهِ اسانيد من أكثر من مائة كاتب يوناني ولاتيني وكلداني وفارسي ومغربي وعربي اسباني »

ويقع الكتاب المذكور في جزئين من الحجم الكبير وتبلغ صفحاته ١٤٥٤ صحيفة بما فيها الفهرست

ولما كان هذا الكتاب في الواقع ذخيرة تاريخية عظيمة القيمة فضلاً عن قيمته من الوجهة العلمية خصوصاً من وجهة المصطلحات الفنية التي يتخبط الكثير في استنباطها مع انها موجودة في مثل هذا الكتاب فان من واجب مصر بصفة كونها بلاداً زراعية وبحكم مركزها في زعامة العالم العربي أن تعمل على اعادة طبع هذا الكتاب القيم النادر الوجود

وقد أخذت جمعية خريجي مدرسة الزراعة بالجيزة على عاتقها هذا العمل وعضدتها الجمعية الزراعية الملكية في مهمتها هذه فتبرعت لهذا الغرض بمبلغ مائة جنيه وان هذه المنحة من الجمعية الزراعية وعلى رأسها سمو الامير الجليل عمر طوسون لدليل قوي على مثابرتها في تعضيد النهضات الزراعية للبلاد ايًّا كانت مناحيها. وان اعانتها في طبع هذا الكتاب تقدير قيم للمباحث النفيسة التي احتواها وللكاتب العربي الذائع الصيت الذي وضعه في عصر كان فيهِ العالم الغربي ما زال مغموراً في جهالته

وتود جمعية خريجي مدرسة الزراعة الوقوف من حضرات الباحثين فيما ترك لنا السلف هل كان لهذا الكتاب نسخ خطية في مصر وهل ترجم الى لغات اخرى غير الاسبانيولية والى اي اللغات ترجم . ويهم الجمعية ايضاً استيفاء المعلومات الخاصة بمؤلف هذا الكتاب حتى يمكن الاشارة الى هذه الموضوعات في مقدمة الكتاب

وللجمعية كبير الامل في ان يتفضل من كان عنده معلومات في هذا الموضوع بموافاتها بها او نشرها على صفحات الجرائد حتى يمكن الرجوع اليها

الورد الابيض

مجموعة اقاصيص مصرية وصور من الفن القصصي الحديث بقلم محمد امين حسونة
٢٣٥ صفحة من القطع المتوسط

تفضل المستر باكستون الاستاذ بالجامعة المصرية بالتمهيد لهذه المجموعة من الاقاصيص المصرية فاشار في اول مقدمته الى اقصوصة « في الواحة » فكان اول ما اتجه نظري الى هذه القصة فقرأتها بشغف ولذة لانها في الواقع قصة مصرية كاملة تظهرنا على اوجه عديدة من الانقلاب الفكري الحديث في مصر . فبطلها عربي صميم تعلم في انجلترا وفتاتهُ أمريكية نشأت في الدنيا الجديدة . وفي هذا فكرة طريفة في ان الشرق والغرب قد يلتقيان ان لم يكن في عالم العمل ، فعلى الاقل في عالم الانسانية التي تشترك احاسيسها ومراميها النفسية العليا التي لا يمكن ان يفرق بينها اعتبار من الاعتبارات التي اقامها الغربيون بين الشرق والغرب في العصر الاستعماري الحديث خدمة لمآرب التجارة والسياسة الانتاجية

ولقد رأيت في هذه القصة ترابطاً بين حوادثها وتسلسلاً في فكرتها لم اشهده في قصة اخرى من قصص الكتاب . فالقصة الاولى « لورد الابيض » تحتاج الى كثير من حسن التخلص في مواقف كثيرة . فان القارىء يشعر بكثير من التعسف في الانتقال من حادثة الى اخرى ومن موقف الى آخر ، كان من الممكن ان يتلافاه المؤلف بقليل من الاسترسال في الوصف ، او الاستطراد في التعبير عن الحالات النفسية التي تلابس ابطاله

اما الظاهرة الغريبة التي لحظتها في هذه القصص فغرام المؤلف بقتل ابطاله . فترك كوثر في قصة الورد الابيض في قرافة الامام الشافعي . وترك ماري في قصة « الواحة » دفينة بين الرمال لا يعرف لها احد مقراً . وترك « فيفي » على فراش الموت . وهو ليس اقل غراماً بقتل ابطاله . فقتل منهم عدداً لا يستهان به . وكم شعرت بكثير من الاسف والاسى على قتل ماري في قصة الواحة ، وكم كنت ارغب في ان يعود عدنان من رحلته فينقذها ويعيشا عيشة سعيدة تحت النخيل وفي ظلال السرو والحور ، وبين غدران الواحة الخصيبة . ولا اعلم لماذا يقتل الاستاذ حسونة هذه الفتاة الفتنة الاهاب من غير ان يكون في حاجة الى قتلها . والحياة فيها كثير من خيبة الامل ، وما كل خيبة امل تقضي الى نبذ الحياة وصرم حبلها والا فأيُّ وزن يقام لمعاني الرجولة والارادة والامل التي يسمو بها فوق سخرية الحياة وجورها

ولو عني المؤلف قليلاً باسلوبه لاضاف الى قصصه روعة جديدة . فقوله مثلاً « واخذت دقات قلبه تثب في عنف وفورة » ص ١٩ ، وقوله « وقد اطلت في وجهها غياهب الكون كله » ص ٥٠ وقوله « يتبع كل منهم اثنان او اكثر من الخدم النوبيون » ص ٥٦ وغير ذلك ، يدل على افراط في عدم العناية بالدقائق اللغوية والنحوية والبيانية ، كان من الممكن ان يتلافاه المؤلف بقليل من العناية

***

الشعلة

مجموعة قصائد للدكتور احمد زكي ابي شادي . صفحاتها ١٣٦ حجم ابولو صغير مطبعتها وثمنه ٥ قروش

ذكر الدكتور ابو شادي في تصدير طريقتهُ في نظم الشعر قال : « ... وكل ما اعرفهُ ان العاطفة تجيش في نفسي ... لاثر او كان يغالبني فلا البث بعد زمن طويل او قصير ان اردّد صدى وقعهِ في قلبي بنغمة من النغمات ارتجالاً او رويًّا ، بسرعةٍ او ببطءٍ ، حسب فيضهِ وقوة ذلك الفيض . وربما كان الوقت الفاصل بين عامل التأثير وفرض الشعر من اثر ذلك الايحاء مديداً . وربما كان وجيزاً ، وكذلك وقت النظم ذاتهُ . وعندي انهُ لا يعني الفن شيءٌ من ذلك وانما يعنيهِ قيمة الاثر الفنّي وحدهُ الذي يخرجهُ الفنّان . واذا كنت سريع النظم اعتياداً فالحقيقة ان الزمن الذي أصبّ فيهِ هذا الشعر قد يتفق او لا يتفق والزمن الذي يخلق فيهِ الشعر في نفسي ، وليس لي حولٌ في صدّه بأية صورة من الصور ، فما تزال العاطفة تلحُّ بنفسي ثم تلجُّ حتى اعبّر عنها والاّ استولى عليّ الضيق والكمد . فهذه هي انفاسٌ وفلذات من صميم وجداني لا يجوز ان اسأل عن صورة خلقها ولا عن ظروفهِ ، وانما اقدمها في هيكل الفن قرابين وصلوات »

والواقع ان التطور في ترولوب كان سريع الانتاج في تأليف الروايات ، فأخذ ذلك عليهِ ، ولكننا نذكر ان ارنولد بنت ، وقد كان ناقداً ادبيًّا حصيفاً ، الى كونهِ روائيًّا ممتازاً ، ردّ على نقد ترولوب بما هو من قبيل قول أبي شادي «انهُ لا يعني الفن شيءٌ من ذلك وانما يعنيه قيمة الاثر الفني وحده» . ثم ان التعليل الذي اضافهُ أبو شادي معقول ، اذ ليس الوقت الذي يقضيهِ الشاعر في نظم قصيدة هو كلُّ الوقت الذي يتفقهُ عليها . فذهن الشاعر يحتضن المعاني والصور احتضاناً لاشعوريًّا (unconscious) فاذا سنحت الفرصة للنظم تسلسلت المعاني وتتابعت الصور كأنها بنت ساعتها . وليس المجال متسعاً لايراد الامثلة من القصائد التي أجاد فيها الدكتور ابو شادي فنكتفي بذكر بعض ما اختاره الدكتور ناجي في ما كتبهُ من نقد وملاحظات على هذا الديوان

قال استمع الى عابد الجمال في هذا الشعر الجميل

وانا العبد الذي ناجى الاله ورأى رؤيا عيانٍ منتهاه
ورأى ألف ذنوب وعذاب ورأى الغفران من بعد الحساب
ورأى المعبد في رقعة ارض ورأى الجنة في لمحة غمض

(على ان كلمة رؤيا تفيد ما يرى في المنام والصواب رؤية ولكن الوزن يختلُّ بها فلو قال مرأى عيانٍ لصلح الشطر لفظاً ووزناً)

وقال الدكتور ناجي

وان نفسهُ الصافية لمرآة للسكون وصورة للطبيعة فحين يراها قائمة في يوم مطير ينشد هذين البيتين الرائعين

فيا غمام أطلّ سحّا على زمنٍ الحسن والنور بعض من خواطره
انت الحريُّ بسكب الدمع في شجنٍ فقد صحبتَ قديماً غرس ساحره

وفجأة يترك كلّ هذا ليطرق بابا آخر ، ليريك لوناً من الفلسفة العالية العميقة

حرام ان تعدَّ الطرس ذخراً وان تعتزَّ من ملك القريض
مقاييس الزمان قد استحالت فما ادنى الحبيب الى البغيض

حقًّا ان كلمة «الشعلة» تجمع حياة ابي شادي في سبعة حروف

عنوان الاريب

عمن نشأ بالمملكة التونسية من عالم أديب

المطبعة التونسية — نهج سوق البلاط — نمرة ٥٢ بتونس

تقاطعت ارحامُ البلادِ العربية زمناً ليس بالقصير حتى استعجمت آثار هذه البلاد ، واتسعت شقة الخلاف في الرأي والمذهب بينها . وقد كان العهد الاول الى اواخر القرن الحادي عشر للهجرة عهد اتصال وتوادّ بين الامم العربية ، مع ما ألمَّ بها من ظلمات الجهل ، وسكرات الموت ، والظلام نور نجوم الهدى من العلماء والادباء والساسة . وكانت العلة قائمة بالرحلة من بلد الى بلد ، واستنساخ كتب تراجم العلماء ، وتداولها في كلّ بلدٍ من البلاد ، فتتعارف القومُ وإن لم يتلاقوا ، وتسامع الناس بأسماء العلماء في بلد بينهم وبينه عرض المشرق فتشوق العلماء بعضهم الى بعض وتراسلوا وأجاز بعضهم بعضاً واستحكمت العلة بين أمم العربية . والتراجم اهم ما يولّد في النفس الحنين الى معرفة آثار العلماء او لقائهم او الاتصال بهم ، وبهذا الاتصال يتسرب في دماء الامم الاحساس بالقرابة العلمية والادبية والدينية الى غير ذلك ، وهناك تكون النصرة حين يستنجد المظلوم والغضبة حين يغضب المتألم ، والعون حين تفرق الاعوان

وتونس بلد عربيٌّ قد ضرب فيه الاستعمار مضارب ، وقتل فيه من ابناء العربية طائفة عزيزة علينا كنا نرجوها لريب الزمان ، واستبد بها استبداد الظالم الغشوم المتقحم الذي لا يلتفت الى الحق ، ولا يبالي بالعاقبة ، ولا يعرف يوماً تنقلب فيه النفوس والاقدار . وقد شعّب الاستعمار علماءه وأدباءه ، وضرب بهم وجه الآفاق مطردين لا يجدون ملجأً الا العربية يحتمون بها ، ويستظلون بظلها ، ومن بقي منهم بتونس بقي مضروراً لا يستطيع لنفسه صرفاً ولا عدلاً

في هذا الكتاب « عنوان الاريب » الذي اصدره جزء من الاستاذ العلامة الشيخ «محمد النيفر» وجمع فيه تراجم أدباء تونس وعلمائها ، نجد رغبةً في انفسنا تتحقق في اتصالنا بأخبار علماء هذا البلد وادبائه وشعرائه من اول عهده الى الآن . ونرجو ان يوفق الاستاذ النيفر الى كتابة تاريخ تونس كتابة مستفيضة تذيع بين امم العربية في وقت قد تداعت فيه الامور الى التغاير والتناصر والتعارف من قريب وبعيد

شاهنامه نوبخت

او بهلوی نامه

طبع بمطبعة المجلس البارلمان بطهران صفحاته ٢١٥ من الحجم الكبير وعدد رسومه ٣٠

اصدر الشاعر « ميرزا حبيب الله خان نوبخت » ديواناً شعرياً بهذا الاسم يحتوي على تاريخ ايران ابتداء من انقراض اسرة الملوك الساسانيين حتى بزوغ الكوكب النير السلطان رضا شاه بهلوي شاهنشاه ايران وبلغت ابيات هذا الديوان النفيس ثلاثين الف بيت من الشعر الفارسي الحماسي الوطني وزينهُ بثلاثين رسماً خيالياً

ولا يخفى ان الشاعر الفارسي الكبير الحكيم أبو القاسم حسن الفردوسي الطوسي « نظم » تاريخ ايران القديم — حتى ظهور الاسلام — في ستين ألف بيت من الشعر وذلك على عهد السلطان محمود غزنوي احد ملوك الاسرة الغزنوية المتوفي سنة ٤٢١ هجرية وقد سبق للمقتطف وغيره من الصحف الشرقية والغربية ان نشرت نبذاً من تاريخ الفردوسي مع الاشارة الى ديوانه

ويقول العارفون ان ديوانه الجديد الذي نحن بصدده وهو شاهنامه نوبخت يجاري ديوان الفردوسي في حسن سبكه وقوة تعبيره ومتانة نظمه وهو يقع في ثلاثة مجلدات صدر منها الجزء الاول فاذا تمَّ وضع الجزءين الباقيين بلغت أبيات الاجزاء الثلاثة مائة ألف بيت . وكان أكبر حافز للشاعر ومشجع له في السير في عمله الادبي ما رآه من تشجيع حضرة صاحب الجلالة رضا شاه بهلوي للكتّاب والمؤلفين والمؤرخين وقد زين المؤلف صدر الكتاب بصورة جلالته وبديباجة في مآثره

رحلة الى الشرق

الشحر والمكلا

تأليف الاستاذ السيد محمد بن هاشم بن عبد الرحمن الشطري الحضرمي

مؤلف هذا الكتاب رجل من رجال العرب الناهضين الذين يبتغون اصلاح شؤون امتهم الداخلية عن القوة الظالمة التي تريد ان تجتاحهم من سبيلها عدواناً وضغينة ، وقد رحل الى اليمن فزار بالشرق العظيمين اتجارة بحر الهند وهما « الشحر » و « المكلا » فطُلب اليهِ ان يلقي محاضرة عن رحلته فألقاها وطبعها ، وهي وصف جيل لبلاد من بلاد العربية يجهلها كثير من الناس ، وذكر فيها كثيراً من عادات القوم هناك وما يعملون للنهضة على فقرهم وقلة ذات يدهم ، وذكر حالة اجتماعهم ، واسلوب حكمهم وسياستهم ، وعدد بعض رجالهم ، وعرَّف بمجهول ، واوضح مستغلقاً من امر هذه البلاد

الرسالة والثقافة

البلاد العربية الآن حبلى تتمخض ، فهي من آلام الوضع في حالات موسومة بتحاسين الحياة وتهاويل المرت . وأهل العربية مثلها بين شباب الرأي وتورده وجماله ، وبين هرم الفكرة وكلوحها ومحقها ، وبينهما « حيٌّ المخافة ميتٌ غير موؤود » . وستبقى هذه البلاد المسكينة ذلك أجل مسلوبة الطمأنينة ، محرومة من الاستقرار ، خائفة تتوجس في ميدان من المخافة لا اطمئنان فيه ، وأرض من الزلزل والاضطراب لا استقرار عليها ، حتى يحين يومها الذي تضع فيه أملها وفلذة كبدها ، وتلقي معهُ بأسباب آلامها وأوجاعها ، ومخافتها وفزعها ، ثم تتعهده بالرعاية حتى يشب ممتلئاً بحياة الشباب وشباب الحياة

وأهم هذا العصر من بلاد العربية بمنزلة القوابل يتكفلونها ويمرضونها بالراحة والدواء في حينه ووقته . وكل عمل لا تكون هذه نيتهُ فهو عمل أبتر لا يفيد ان لم يستجلب المضرة وقد كان بحاجة منها . وصدرت « مجلة الرسالة » في مصر وتلتها « مجلة الثقافة » في دمشق فجعلتا من أمرهما القيام على بعض شؤون هذه البلاد العربية في ثقافتها وأدبها . ونحن لا نشك في أمر هاتين المجلتين فان القائمين عليهما رجال من جلة أدباء الامة العربية عرفوا بالفكر الجميل والادب الحر والخلق العظيم وهذه الثلاثة هي الرجولة الجريئة في غير تهور ، السامية في غير تعال ، الناهضة في غير عجل . وتوفر هذه الثلاثة في مجلتي الرسالة والثقافة أمرٌ قويٌّ لا ينهار يبشر بتعالي البناء وقوته على مر الأيام

القراءة المفيدة — جزآن

جمعهُ وشرح غريبهُ شريف النشاشيبي مساعد مفتش المعارف في لواء الجنوب ببافا . وهو مختارات ادبية بين حكاية ونادرة وقطعة شعر ، وتتدرج صعوبةً كلما تقدم الطالب في فهم الالفاظ والعبارات . والكتاب تامُّ الشكل . وصفحات الجزئين معاً ٣٢٥ صفحة قطع وسط

بحث طريف في السلّ

للدكتور فيليب كفوري مباحث طريفة في مرض السلّ . وقد عني بالفحص عن اعراضه والتنقيب عن علاجه مدة طويلة يرجع مبدؤها الى عهد بعيد . واتصل بنا انه يلقي محاضرات وينشر تصانيف في هذا الباب . وآخر مصنف له يبحث في كيفية تشخيص مرض السلّ

جريدة جهره نماء

دخلت جريدة جهره نماء الفارسية الغراء في عامها الثلاثين سائرة على الخطة الرشيدة التي رسمتها لنفسها منذ نشأتها وهي توثيق صلات المودة والآخاء بين الفرس والشرقيين وجريدة جهره نماء من ارقى الجرائد الفارسية التي تصدر في ايران وخارجها لما تنشره من المقالات النفيسة في العلم والادب والتاريخ والسياسة المزدانة بالصور ولا غرو فصاحبها العلامة الحاج ميرزا عبد المحمد خان ايراني مؤدب السلطان ، واننا نتمنى لها سعة الانتشار وانفراد الرقي

باب الأخبار العلمية

مغامرات العلماء

كنا في محب من الادباء والعلماء نتحدث في الحماسة التي يندفع بها العالم الحقيقي الى الكشف عن الحقيقة وانهُ لا يضنُّ بحياته يبذلها في هذه السبيل . وكان احدنا طبيباً بكتريولوجيًّا بارعاً هو الدكتور جورج قصيري . فقصَّ علينا الحوادث التالية من تاريخ البحث الطبي ، فرأينا أن نثبتها هنا

بعد ما اكتشف كوخ ضمّات الكوليرا في سنة ١٨٨٣ حمي الجدل حولها بين الباحثين وهل هي حقيقة سبب الكوليرا او هي ميكروب لا صلة لهُ بالمرض . ولبيان الحقيقة شرب بيتنكوفر Pettenkofer وامريك Emmerich ملوثاً بضمات الكوليرا فاصيب كلاهما اصابة حادة كادت تودي بحياة احدهما

وبعد ما اثبت بروس Bruce واعوانهُ ان التريبانوزوم هو سبب مرض النوم الافريقي وان هذه الجراثيم توجد في دماء بعض حيوانات القنص على الاخص في دماء الظباء والثيران والماعز والغنم كان الرأي السائد ان جراثيم هذه القصيلة توجد كذلك في دماء الكلاب والبغال والخيل . ولكن عارض بعض الباحثين هذا الرأي الاخير ولاثبات صحة معتقدهم حقن توت Tanto وزملاؤه أنفسهم و ١٢٩ من الحمالين بدم مأخوذ من الكلاب والبغال وحافل بهذه الجراثيم فلم يصب أحدهم بشيء

وبعد ما اكتشف لافران Laveran سبب الملاريا وأثبت رونالد روس طريقة انتقال عدواها بواسطة البعوض ارادت مدرسة لندن لامراض البلاد الحارة ان تتثبت عمليًّا من هاتين الدعويين فتطوع اثنان من أطبائها وأحد المساعدين بالذهاب الى احدى بقاع ايطاليا (Campagna) الموبوءة جدًّا بهذا المرض . وفعلاً ذهب الثلاثة وبنوا كوخاً في وسط الغيطان حتى لا يدخله البعوض ، وكانوا يأوون الى هذا الكوخ قبل غروب الشمس ويخرجون للتريُّض وللاختلاط مع الاهالي في النهار اذ المعلوم ان بعوض الملاريا لا يلسع الانسان إلا ليلاً . ومع انهم مكثوا اكثر من ثلاثة أشهر فانهم لم يصابوا بالملاريا حالة ان الفلاحين المحيطين بهم كانوا فريسة لها . فلم يكتفوا بذلك بل ارسلوا الى لندن حيث لا توجد الملاريا طائفة من البعوض المأخوذ من هذه المقاطعة وحين وصوله الى لندن تطوع طبيب وهو المرحوم الدكتور مانسون ابن العلامة السر باتريك مانسون Manson رئيس المدرسة وأحد المساعدين لكي يلسعهم هذا البعوض فأصيبا بالملاريا وكاد الطبيب ان يفقد حياته

في سنة ١٩٢١ حضر الى القاهرة إثنان من أطباء معهد لستر في لندن للبحث عن

مساب انتيفوس وهذان الباحثان هما المرحوم الدكتور باكت Bacot والدكتور اركريت Archwright فكانا يجمعان القمل (وهو الوسيلة لانتقال العدوى الى الانسان) ويربيانه ويجربان تجاربهما بواسطته ومن حرص الدكتور باكت على هذا القمل كان يضعه في علبة ويضع هذه العلبة تحت إبطه ليكفل له الحرارة اللازمة . ويظهر انهُ تسرب هذا القمل اليهما فرضا بانتيفوس ومات المرحوم الدكتور باكت شهيد غيرته على العلم . ويقال انه وهو في النزع الاخير كان شديد العناية بتعبير مجموعة القمل التي جمعها ، فأوصى من حوله خيراً بها

الامواج القصيرة والراديو

ليست الامواج القصيرة — الكهربائية المغناطيسية — بالشيء الجديد ، في ميدان المواصلات الكهربائية . انها ترتدُّ الى العهد الذي كشفَ فيه عن الامواج الكهربائية ، واسطة تلك التجربة العلمية العظيمة التي قام بها هرتز الالماني سنة ١٨٨٦ . ثم ان مركوني نفسه استعمل أمواجاً قصيرة جدًّا في تجاربه الاولى ، ولكنه كف عن التجربة بها ، لانه تبين له ان التقدم في استعمال الأمواج الطويلة اسرع جدًّا ، اذا استعملت الآلات التي كانت سائدة في العقد الاخير من القرن التاسع عشر . فلما تقدمت المواصلات اللاسلكية بالامواج الطويلة التقدم المشهود في سعة انتشار الراديو وآلاته ، عمد مركوني ، وهو شديد الثقة بفائدة الامواج القصيرة ، الى تجربة التجارب بها

والحاجة شديدة الى معرفة كل ما يمكن أن يعرف عن الامواج القصيرة ، اذا أُريد للتلفزة ان ترتقي . فالامواج القصيرة لا تؤثر فيها العوامل الجوية الاَّ قليلاً ولا تصاب بما يضعفها وهي سائرة في الفضاء (fading) ثم ان آلة اطلاقها صغيرة ورخيصة والقوة الكهربائية اللازمة لارسالها في الفضاء قليلة جدًّا

وقد فسر ماركوني استعمال الأمواج اللاسلكية القصيرة فقال : « ان الأمواج اللاسلكية — اي الكهربائية المغنطيسية — التي يقل طولها عن متر ، تعرف عادة بالأمواج نصف الضوئية . ويظن انها لا تصلح للمخاطبة بين اثنين الا اذا كانا على مرمى النظر احدهما من الآخر ، واذن فنائدة هذه الامواج محصورة محدودة

ولكن خبرتي الطويلة قد علمتني ان لا أصدق دائماً الحدود التي تفرضها المعرفة النظرية — لأن للمعرفة النظرية سلبية في الغالب . على معرفة ناقصة لم تستتم كل العوامل التي لها دخل في الموضوع . ولذلك أجرب دائماً ابتداع طرق جديدة للتجربة ولو قال اصحاب المعرفة النظرية بعدم فائدتها

والواقع أنه لو اصغى ماركوني الى كل الطبيعيين سنة ١٩٠١ الذين اثبتوا أن الامواج اللاسلكية لا تستطيع أن تنحني مع انحناء الارض بل تنطلق الى الفضاء في خط مماس للارض لما أتم تجربته المشهورة التي أثبت فيها إمكان نقل

الحرف a من انكلترا الى اميركا نقلاً لاسلكياً

ولذلك شرع من نحو ١٨ شهراً في البحث المنظم في موضوع الامواج القصيرة ليعرف خواصها ومزاياها ، فاستنبط انابيب جديدة تولد امواجاً طولها اقل من نصف متر ، صنع مقياساً جديداً لقياس طول الامواج الى ان يصبح طولها ملليمتراً واحداً . وبدأ تجاربه في الاحوال التي لابد منها عند استعمال هذه الامواج ، وجعل مكان هذه التجارب على شواطىء ايطاليا . واستعمل عاكساً يعكس الأمواج اللاسلكية ويوجهها ، كالعاكس الذي يعكس الامواج الضوئية ويوجهها فيتكون « النور الكشاف » المعروف

وكانت التجربة الاولى في سنة ١٩٣١ بين مكانين على مقربة من جنوى المسافة بينهما ١٢ ميلاً . وقد اسفرت التجربة عن نجاح عظيم فقررت السلطات العليا في الفاتيكان استعمال هذه الطريقة بين مدينة الفاتيكان وقصر البابا بيوس الحادي عشر على مقربة من روما . وكان طول الموجة في مخاطبات الفاتيكان متراً واحداً

وفي يوليو الماضي خرج ماركوني على ظهر « الترا » وجعل يبعد عن محطة معينة على الشاطىء رويداً رويداً فلما صار على بعد ٢٩ ميلاً ظلت رسائل المحطة تلتقط ، مع ان مدى النظر بالنسبة الى تحدب الارض لا يزيد على ٢٤ ميلاً . ثم جرب تجربة اخرى كانت المسافة بين المحطتين فيها ١٦٨ ميلاً فالتقطت الاشارات واضحة . والبحث ماض الآن في هذا الميدان اللاسلكي الجديد

التحليق في الجو

يشتمل برنامج القسم العلمي في معرض شيكاغو على محاولة التحليق في الجو بمنطاد خاص الى احد عشر ميلاً او اثني عشر ميلاً فوق سطح الارض وينتظر ان تتم هذه المحاولة في يوم رائق في اواخر يونيو او اوائل يوليو

اما الكرة التي يجلس فيها الربان والعالم فقطرها سبع اقدام وهي مدلاة من كيس يحتوي عند انتفاخه على ٦٠٠ الف قدم مكعبة من الغاز . وينتظر ان يعين الكومندر ستل احد طياري البحرية الاميركية في منصب الربان . اما منصب العالم فيرجّح ان يختار له الاستاذ بيكار نفسهُ . وقد صنع الاستاذ كومملن عدّاداً دقيقاً ليستعملهُ الاستاذ بيكار ، او اي عالم آخر يحل محلّهُ ، في قياس الاشعة الكونية

والمعدن الذي تصنع منهُ الكرة ، هو خليط خاص يعرف بالدومتل Dowmetal — او معدن دَوْ لان شركة دَوْ الاميركية صنعتهُ — فهو اخف من الالومنيوم نحو ٣٠ في المائة . ولما كان الكيس الذي يحتوي على الغاز اكبر من كيس بلون الاستاذ بيكار ، فالوصول الى علو ١٢ ميلاً فوق سطح البحر مرجح او هو محتمل . وقد تمت المعدات التي تمكن الطيارين من ارسال انبائهم من الجو دقيقة دقيقة الى محطة لاسلكية على سطح الارض ومنها تذاع الى المحطات اللاسلكية الكبرى فتعيد هذه اذاعتها في اقطار المعمورة

الجزء الثاني من المجلد الثالث والثلاثين

صفحة

١٢٩ مصير العالم الاقتصادي (مصوّرة)
١٣٩ لامرتين في ربوع الشرق . لماريوس بك ثميل
١٥٠ جرازيلا . لجورج نيقولاوس
١٥٣ القضايا الاجتماعية الكبرى . للدكتور عبد الرحمن شهبندر
١٥٩ الاعضاء الاثرية (مصوّرة)
١٦٤ الفن والأدب في مصر . للآنسة « مي » زيادة
١٧٠ نوابغ العرب في العلوم الرياضية . لقدري حافظ طوقان
١٧٣ الحضارة والحاصلات الزراعية (مصورة)
١٧٨ السفياني . للاستاذ بندلي جوزي
١٨٣ فكرة اللانهاية . للدكتور علي مصطفى مشرّفة
١٨٨ نبذة عن البترول (مصوّرة)
١٩٦ اسرار السينما . لمحمود خليل راشد
٢٠٣ نبذة في تاريخ رسم المصاحف . لحفني بك ناصف
٢٠٧ تجار الحرب
٢١١ صانعة الدموع . لمحمود محمد شاكر
٢١٥ اللون الاحمر واللون الازرق

٢١٧ باب تدبير المنزل * دور المراهقة . محاضرة للدكتور شخاشيري
٢٢٣ باب المراسلة والمحاضرة * الرسالة العذراء . للاب انستاس الكرملي . مؤلف مختار الصحاح
٢٢٩ باب الزراعة والاقتصاد * صناعة الالبان في القطر المصري . للاستاذ مكفيترز . تسمين الماشية للذبح . لاحمد الالفي
٢٣٨ مكتبة المقتطف * العرس عند عرب الجاهلية . فن الصحة . في التربية والتعليم . شرح التكميل لخاتمة التسهيل . الفلسفة في كل العصور . كتاب الفلاحة لابن العوام . الورد الابيض والشلة عنوان الاريب . شاهنامة فردوسي . رحلة الى الكونغو . القراءة الفريدة — جزآن . بحث طريف في السل . الرسالة والقناعة . جريدة جيبه فتاه
٢٤٩ باب الاخبار العلمية .

سعادة حلاء بك فيصل